الطبعة الثانية

محمد إبراهيم مبروك

موقف الإسلام من:

الحب بين الرجل والمرأة





هذا الكتاب

قـد يكون هذا الكتاب هـو أكثر كُتب المفكر محمد إبراهيم مبـروك إثارة للجدل، ففضـلاً عـن القضية المحورية (موقف الإسـلام مـن الحب بين الرجـل والمرأة) التى يناقشـها نقاشًـا فقهيًا مسـتفيضًا مسـتندًا علـى العديد مـن الأحاديـث الصحيحة التى اسـتطاع جمعهـا فى هذا الشـأن وكذلك آراء كبـار الأئمة فى الموضـوع فإنه يتعرض بالنقـاش والجـدل لمختلف النظريات والأفكار فى الشـرق والغرب التى تتحدث عن معنى الحب وأسـبابه كنظريـات وأفكار ابن داودَ وابن حزم وابـن الجوزى وابن القيم وأفلاطون وفرويد وماكس شـلر وسـارتر، ثم يعرض لنظريته هو نفسه عن الموضوع، هـذا فضلاً عـن الكثير مـن القضايـا الأخرى كعلاقـة الحب بالجنس والقيـم النفعية المعاصـرة وموقف الإسـلام من الـزواج بالإكراه والـزواج من الزوانـي والموقف من العادات والتقاليد.

هذا الكاتب

أمـا الكاتب فهو المفكر المعـروف محمد إبراهيم مبروك الذي حقق شـهرة كبيرة وراسـخة من خلال كتبه العديدة ولقاءاته المتجـدده فى مختلف القنوات الفضائية فى شتى القضايا الفكرية والإنسانية المختلفة فهو مفكر مستقل له مشروعه الخاص الذي يجمع بين الأصولية والتجديد

الناشر





مَوقف الإسلام من الحب



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل.
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة.
- يسعى المركز إلى تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب، ونشره وتوزيعه.
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه.
- الآراء الواردة فى ما يصدر عن المركز تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية.

رئيس المركز

على عبد الحميد



مركز الحضارة العربية

4 ش العلمين – عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات – القاهرة

تليفاكس: 33448368 (00202)

www.alhdara-alarabia.com

E.mail: alhdara_alarabia@yahoo.com

alhdara_alarabia@hotmail.com

محمد ابراهيم مبروك

موقف الإسلام من الحب

ثورة ضد مادية العصر



الكتـــاب: موقف الإسلام من الحب
بين الرجل والمرأة
المؤلف: محمد إبراهيم مبروك
النـــاشر: مركز الحضارة العربية
الطبعة الأولى: القاهرة ٢٠١٥
الجمع والصف الإلكتروني: وحدة الحاسوب بالمركز
تصميم وجرافيك: محمد النوبي
0115 120 888 9
رقم الإيداع: ٢٠١٥/٤١٤٢
الترقيم الدولي: 7_184_496_977_978
مبروك، محمد إبراهيم
موقف الإسلام من الحب بين الرجل والمرأة: محمد إبراهيم مبروك. _ ط١. _ الجيزة: مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات، ٢٠١٥
٢٥٦ص؛ ٢٤ سم
تدمك: ٧ _ ١٨٤ _ ٤٩٦ _ ٩٧٧ _ ٩٧٨
١ _ قضايا اجتماعية (الإسلام).
أ_ العنوان ٢٥٢,٠٣

الإهداء

إلى رسول الله

الذي أرسله الله رحمة للعالمين

فكانت كلماته عن الحب

ومواقفه منه

بعضًا من هذه الرحمة

ثم إلى أول انسان

قرأ لي في الوجود

م. إ. م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

قال لي صديقي: أنت الآن مطالب بأن تكتب كتابًا عن موقف الإسلام من الحب.

شعرت بدبيب الخوف في قلبي وتأملت الأمر طويلًا ثم قلت: يبدو أنه ليس هناك مفرًا الآن من ذلك ما دمت أؤمن أن لي دورًا رساليًا حقًا.

إن اقتراب المفكر من هذه المنطقة المحرمة كهنوتيًا هو بمثابة إلقاء المرء بنفسه في النار.

فهل من الممكن أن تدافع عن أمر رسَّخ الكهنة والطواغيت في عقول الناس، بل في عقول الكثيرين من مثقفيهم أنه حرام في حرام ويسمعك أحد؟!.

إن غاية ما سيحدث أنهم سيخرجونك أنت نفسك من الإسلام.

وهذا ما جعلني أتهيب الكتابة في هذا الموضوع، رغم أنني كنت أفكر في ذلك منذ أكثر من خمس عشرة سنة.

وليس ما أفعله الآن نتيجة شجاعة، خاصة قد هبطت عليّ من السماء، ولكن هو نتيجة لتأكدي أن نقمة الجهلاء والكُهّان وحربهم الشعواء عليّ بسبب كتبي وأفكاري الأخرى قد وقعت. فلماذا لا أقول الحقيقة كلها الآن دون تأجيل.

وربما لو لم يكن هذا قد حدث لتهيبت الكتابة في هذا الموضوع فترة أخرى، فلقد رسخ في أذهان الناس أن التعقيد والجهامة سمة من سمات الدين وأن الشخص كلما كان محرمًا كلما كان متدينًا وربما كانوا يكرهونه، ولكنهم يظلون يحترمونه ويعتبرونه المثل والقدوة في الإسلام، وكل هذا جهل وتخريف وغباء ما أنزل الله

به من سلطان.

وهكذا يصنع الكهنوتيون باسم الدين.

إنهم يحطمون الحياة الداخلية للناس ويسممون نفوسهم ويفصلونهم شعوريًا عن كل مباهج الحياة ويأسرون إرادتهم كاملة ولا تدرى ما الذي يقدم للناس باسم الدين بعد ذلك سوى الاكتئاب.

ماذا يمكن أن يقدم لهم باسم الدين بعد أن سحبوهم من نعم الله في الدنيا لتكون مرتعًا للطواغيت يعيثون فيها فسادًا؟!

فهل كانت رسالة الأنبياء في الأرض هي ما يدعو إليه هؤلاء؟

أم كانت رسالتهم في الأساس هي تحطيم هؤلاء؟!..

إن الإنسان الذي كرمه الله وحمّله الأمانة التي أشفقت منها السماوات والأرض والجبال وجعله خليفة في الأرض يتم تجاهله تمامًا وتشحذ جهود المفكرين أو بمعنى أدق من يسمون كذلك حول قضايا السياسة والحكم فقط، حيث ينظر إلى الناس على أنهم جموع لا إرادة لها يسوقها السياسيون والمفكرون إلى حيث يشاءون.

ولست أدري كيف إذا لم نبدأ بتحرير إرادة الإنسان وتخليصها من أية قيود يمكننا أن نحي دينًا أو نصنع مجتمعًا أو نقيم حضارة أو نصنع أي شيء على الإطلاق. وإنما غاية ما سيحدث أننا سنظل نرزح في ذل العبودية إلى الأبد وسنظل نحيا في مجتمع يتدافع أبناؤه من أقصى الظلم إلى أقصى العبث.

والذي أراه أن كل من يحاول الحَجْر على إرادة البشر وحرمانهم مما أباحه الله لهم يجب أن يعامل معاملة المفسدين في الأرض ويحكم عليه بعقوبتهم.

لقد آليت على نفسي أن تكون اهتماماتي الفكرية هي القضايا الإنسانية في الأساس، أو بتعبير أدق ـ في هذا العصر المادى الذي يعمل على تفريغ الإنسان من مقوماته الحقيقية ـ بالقضايا الروحية والتي أعتقد أن أهمها هو تحرير الإرادة والحب والفن.

ولن يكون ذلك إلا بالدين ولن تكون هناك نهضة للمجتمع قبل نهضة الإنسان.

ولقد جاء كتابي "كن قويًا بالإيمان" من أجل دفع إرادة الإنسان من ظلمات عبودية الاستضعاف والجهل إلى نور الإيمان والعلم والحرية. وعن الفن كان كتابي "نظرية الفن الإسلامي". ثم كان كتابي هذا عن الحب.

والمشكلة أن الذين يتحدثون عن الحب جهلاء بحقيقته التي لا تدرك إلا بالمعاناة، كما يقول الإمام ابن حزم وجاهلون أيضًا بحقيقة رؤية الإسلام له، ولذلك تكون أحكامهم عليه غاية في الجهل والافتراء ويتخذهم الحاقدون وأصحاب الأغراض مطية للتسفيه من العشاق واتهامهم بالجنون وجعلهم سخرية بين الناس، وأخطر من كل ذلك اتهامهم ـ على الرغم من عفافهم ـ بالفسق والمجون والخروج عن الشريعة وليس للأحقاد موطنًا ترتع فيه خير من الجهل ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والمشكلة في الأساس تعود إلى المعايير المسبقة التي يحكم بها هؤلاء على مثل تلك الأمور بكل ثقة وثبات فيصبح الحلال حرامًا والحرام حلالًا دون أدنى تفكير أو استدلال وتكون الحقيقة أن هذه المعايير ما هي إلا معايير زائفة باطلة مفتراة أشاعها الكهنوتيون بين الناس ورسخوها في عقولهم وما أنزل الله بها من سلطان.

وحكاية أن الحب ليس إلا قلة أدب هي الشيء الذي في منتهى قلة الأدب وتطاول على الشرفاء والعلماء وافتراء على الله ورسوله ودينه الإسلامي الحنيف وأغرب الأمور أن يُشاع هذا في المجتمع ويتوحش المهوسون فيه ضد الحب في الوقت الذي يتغاضى فيه عن الفحشاء والفجور والعيث في الأرض فسادًا وتباع الفتيات للصوص في بغاء قهري مقنع بالشرعية يسمى زواجًا دون أن يثير ذلك استياء أحد!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!.

فالواقع الذي نعيشه هو واقع انسحاق الإنسان.. واقع تفريغه من الداخل واختزاله إلى عضو آلي في ميكنة الحياة المادية التي يقودها البرجماتيون والتي لا تهدف غير اللذة والاستهلاك بغير حدود أو سوقه إلى الذبح، حيث يقدم كوقود لتغذية تلك

الميكنة ذاتها.

والبرجماتيـون مجرمو هذا العصر ليس كمجرمي أي عصر سـابق إنهم لا يفعلون جرائمهـم على أنهـا مخالفة للحق ولكنهـم يفعلونها على أنها الحـق الحقيقة التي لا حقيقـة بعدها؛ لأنها الناتج الطبيعي للتفكير الواقعي السـليم الـذي تقتضيه المصلحة الخاصة، حيث أنهم لا يرون حقًا في العالـم سوى هذه المصلحة.

فالبراجماتيون النفعيون مجرمو هذا العصر قوم يعيشـون بعقل أفعى وقلب ذئب. ومـا نحياه الآن هو عالـم من الأفاعي والذئاب والعقول المسـمومة والقلوب الممزقة والأرواح التي تنزف بغير حدود.

وعندمـا يتفـق الطواغيـت والكُهّـان والبراجماتيـون فـإن الأرض تغـدو واديًا من الدموع.

ولهـذا فإنني أعتقد أن كتابًا مثل هذا الـذي أقدمه عن الحب ليس كتاب ترفه وإنما هو كتاب لو نجح مسعاه لمثل بذلك ثورة وانقلابًا ضد هذا العصر المادي بأكلمه.

هـا أنا قـد بلغ بي الجهد مبلغه ولم أقل كل الذي أريد أن أقول، ولكن شـفيعي في ذلك أن هذا الكتاب لن يكون كتابي الأخير عن الحب بإذن الله.

وعلى الله أتوكل وبه أستعين..

محمد إبراهيم مبروك

الجيزة في ١٢/ ٥/ ١٩٩٦

مقدمة الطبعة الثانية

(مقدمة ليست للعشاق)

حقًا هو نوع من الجنون أن أصدر كتابًا عن الحب الآن وفي هذا التوقيت بالذات هذا ما انتهيت إليه من حواري مع نفسي طيلة الشهور الأخيرة وأنا أفكر في إصدار هذا الكتاب.

ولكن أليس ما يطرحه هذا الكتاب من أفكار يتجاوز- على أية حال- ما تعارف عليه الناس من مفاهيم عن العقل في تلك القرون الأخيرة من تاريخنا الإسلامي. إذن فربما من كان مقبولاً لديه التجاوز الأول يكون مقبولاً لديه التجاوز الثاني. وقد يكون العكس بالعكس

ولم توجد سوى استثناءات قليلة جدا من دور النشر الإسلامية التي قبلت عرض هذا الكتاب في طبعته الأولى لديها والتي صدرت منذ سنوات طويلة. وأذكر أنني كنت قد أهديت كتابي هذا لأحد المستشرقين وكان قد عرفني عليه الدكتور عبد الوهاب المسيري -رحمة الله عليه- عند زيارته إلى القاهرة بعد أن استدل ببعض كتاباتي في دراسة له بإحدى المجلات المتخصصة ببلاده وبعد أن عاد إليها بفترة أرسل لى خطابا جاء فيه ان زميلا له حضر إلى القاهرة وأراد أن يشترى نسخة من هذا الكتاب من إحدى دور النشر الإسلامية التى تعرض كتبى فلم يجده وقالوا له أن كل كتبى جيدة إلا هذا الكتاب.

لقد كتب الإمام ابن حزم بضعة سطور من الفته للدفاع عن القضية الأساسية التى جاءت فى هذا الكتاب واحتاج الإمام ابن القيم إلى بضعة صفحات من الفقه لنفس السبب و على الرغم من أننى قد بدوت فى هذا الكتاب أكثر تشددًا منهما فقد كتبت

حوالى مائة صفحة من الفقه تتضمن ما كتبه الإمامان السابقان وغيرهما دفاعا عن نفس القضية ومع ذلك لم أسلم من الطعن والتجريح وكان من الطبيعى أن يجد بعض الأفاقين المدعين للعمل الاسلامى بغيتهم فى هذا الكتاب للإزراء بى فقام أحدهم فى إحدى الندوات -وكنت قد حذرت الناس منه طويلا ثم فضحته عند الناس تقلبات الأحوال فى المرحلة الأخيرة التى تراقص معها فوق قواعد الشرع والدين- وهاجم الكتاب على أساس انه يستند على الأحاديث الباطلة واستدل على ذلك بأحد الأحاديث الواردة بالكتاب. وكان هذا غاية الإفك لأن الحديث الذى ذكره ورد فى الكتاب بهدف ذكر بطلانه ومهاجمة من يستند عليه فكيف يتم إتهامى بالاستناد إليه والطعن على الكتاب كله ومحاولة إسقاطه باتهامه بالاستناد إلى أمثال هذا لاحديث .

ولا يعنى ما سبق المصادرة على حق خلق الله فى النقد فقد وجه لى أحد الزعماء السياسيين -الذين لاأشك فى نزاهتهم ولا فى تقديرهم لكتبى بوجه عام- نقدًا لاذعًا بسبب هذا الكتاب وهونفس الأمر الذى فعله آخرون بالنسبة لما كتبته عن نظرية الفن الإسلامى لدرجة إتهامى بالتناقض فكيف أجمع بين ما يرونه من أصولية فى الدفاع عن قواعد الإسلام وبين ما يرونه من مرونة - إن لم يكن أكثر من ذلك- فى التعامل مع أحكامه .

وما أراه أن المشكلة لا تتعلق بى وإنما بحالة التراجع الفكرى التى يمر بها العالم الإسلامى والتى رسخت فى عقول الناس بل وفى عقول نخبهم قوالب جامدة من التفكير فى تصوراتهم للقضايا المختلفة إلى الدرجة التى تجعلنى أزعم أن من أراد التجديد الإسلامى فعليه أن يمضى إلى الوراء لا إلى الأمام متجاوزًا الستة قرون ونصف الأخيرة ليصل إلى القرن الثامن الهجرى وما قبله أى عصر العز بن عبد السلام وابن تيمية وابن القيم وابن خلدون والشاطبي فإذا أراد التجديد الفكرى فليبدأ من هناك إلا بعض الاستثناءات النادرة التى ينبغى أن يلاحقها فى الشرق والغرب فى

القرنين الأخيرين والأشد ندرة فيما قبل ذلك .

وقد يكون القائمون على العمل السياسى هم الأشد حساسية تجاه كتاب مثل كتابى هذا لما يتصورونه من كون العمل السياسى يتطلب الكوادر الأشد انضباطا فى حياتها الشخصية ومن ثم فإن الأفكار الواردة هنا تمثل خطرًا بالنسبة إليهم وسوف نتعرض لذلك بالشرح داخل صفحات الكتاب . وعلى الرغم مما سبق فقد كان اشتباكى فى كتابى هذا مع أحد القيادات الفكرية لتيار ما هو اشتباك اقتضته الضرورة البحتة لكونه يكاد يكون الوحيد الذى خصص كتابا فى موضوعنا هذا (موقف الإسلام من الحب) فى العقود الأخيرة هذا الاشتباك الذى اقتضى توجيه بعض النقد للتيار الذى ينتمى إليه كما جاء فى الطبعة الأولى منذ سنوات طويلة دون أن يكون فى ذلك أي قصد منى فى التدخل فى صراع قائم بين طرفين إخترت أن يكون موقفى تجاهه هو الصمت.

وهكذا يتبين لدى القارئ أن الكتاب يشمل على قضايا أخرى أرى أن أكثرها خطورة هو عمق العلاقات الاجتماعية في الإسلام .

وما قمت به فى هذه الطبعة من الكتاب هو إضافة فصل جديد عن رؤية الفكر الغربى للحب ومناقشة ذلك وفصل صغير بعنوان الحب يخبو ويموت وفصل صغير آخر بعنوان الجمال والحب فضلت أن يأتى على صورة أشعار لى .

أما نظريتى الأساسية عن الحب فى الكتاب فلم أغير فيها شيئًا يذكر باستثناء إبراز بعض العناصر التى تتضمنتها.

محمد إبراهيم مبروك

الجيزة- فبراير ٢٠١٥

ت: ٠١٠٠١٤٩٠٤٩٩

كلمة عن منهج الكتاب

■ انتهجنا في الأبواب الفقهية في هذا الكتاب نهج علماء السلف فذكرنا أولًا النصوص الصحيحة ثم آراء الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين.

■ عند تناول موضوع مثل موضوع هذا الكتاب فإن الكاتب الجاد يمتزج لديه الفقه والفكر ومع ذلك فقد تغلبت لغة الفقه على بعض الفصول مثل:

_ موقف الإسلام من الحب.

_ بطلان الزواج بالإكراه.

_ تحريم الزواج من الزناة الفجرة.

وتغلبت لغة الفكر على الفصول التالية:

_ النظرية الإسلامية في الحب.

_ الفلسفة الغربية والحب.

_ الحب ليس ضعفًا أو مرضًا أو جنونًا.

_ الحب شيء آخر غير الجنس.

وتغلبت لغة المشاعر على الفصول التالية:

_ الحب في جحيم الاحتراق في بوتقة العجز.

_ لماذا لا يكون الانفجار بديلًا لنا من الاحتراق في صمت.

_ بيع الفتيات للصوص جريمة الجرائم.

■ كل الكلمات التي جاءت داخل هذين القوسين [ ] هي من كلمات المؤلف ويقصد بها شرح ما قبلها.

* * *

ما هو الحب؟

وهل هو حقيقة أم وهم؟

ما هو الحب؟

وهل هو حقيقة أم وهم؟

لم يكن أنطونيو فقط هو الذي ضحى بعرش أكبر إمبراطوريات العالم "الإمبراطورية الرومانية: أي ملك الدنيا" من أجل محبوبته كليوباترا، ولكن ملك إنجلترا أيضًا في بداية هذا القرن ضحى بعرش مملكة إنجلترا التي لا تغرب عنها الشمس من أجل محبوبته، وولي عرش إمبراطورية النمسا والمجر "الهايسنبرج" في خمسينيات القرن الماضي ضحى بعرشه من أجل محبوبته، وولي عرش إمبراطورية اليابان في خمسينيات هذا القرن "القرن العشرين" ضحى بعرشه من أجل محبوبته، ومع ذلك، فالكثيرون ما زالوا يقولون ليس هناك شيئًا يسمى الحب.

* * *

يحكي الأصمعي إنه سأل إعرابيًا عن العشق فقال: جل والله أن يرى وخفِيَ عن أبصار الوري، فهو في الصدور كامن ككمون النار في الحجر، إن قُدِحَ أورى، وإن تُرِكَ توارى.

وحكى ابن القيم[1] أن بعضهم وصف العشق فقال: "دق عن الأفهام مسلكه وخفي عن الأبصار موضعه وحارت العقول في كيفية تمكنه، غير أن ابتداء حركته وعظم سلطانه من القلب ثم يتغشى سائر الأعضاء فيبدي الرعدة في الأطراف والصفرة في الألوان والضعف في الرأي واللجاجة في الكلام والزلل والعثار حتى ينسب صاحبه إلى الجنون".

ولكن الإمام ابن الجوزي يفرق ـ من حيث تأثيره على العقل ـ بين مبتدئه ومنتهاه فيقول[2]:

١ـ روضة المحبين: ص: ١٤٠.

٢ـ ذم الهوى: ص: ٢٣١.

"فمبتدؤه يصفي الفهم ويهذب العقل، كما قال ذو الرياستين لأصحابه: اعشقوا ولا تعشقوا حرامًا، فإن عشق الحلال يطلق اللسان العيي، ويرفع التبلد، ويُسْخي كفّ البخيل، ويبعث على النظافة، ويدعو إلى الذكاء.

فإذا زاد مرض الجسد، فإذا زاد جَرح القلب وأزل الرأي واستهلك العقل، ثم يترقى فيصير ولهًا، ويسمى ذو الوله مدلهًا، ومستهامًا، ومستهترًا، وحيرانَ، ثم بعده ليتيم فيدعى متيمًا، والتتيم نهاية الهوى وآخر العشق. ومن التتيم يكون الداء الدوي والجنون الشاغل".

ويروي ابن القيم في الجواب الكافي أن البعض قد قال:

"العشق يشجع جنان الجبان ويصفي ذهن الغبي ويسخي كف البخيل ويذل عزة الملوك ويسكن توافر الأخلاق وهو أنيس من لا أنيس له وجليس من لا جليس له".

ويروي الإمام ابن الجوزي أنه:

"لما اجتمع ثمامة بن أشرس ويحيى بن أكثم عند المأمون، قال ليحيى: خبرني عن العشق ما هو؟

قال: يا أمير المؤمنين: سوانح تسنح للعاشق يُؤثرها ويقيم بها تسمى عشقًا. فقال له ثمامة: يا يحيى أنت في مسائل الفقه أبصر منك بهذا، فنحن بهذا أحذق منك. قال المأمون: فهات ما عندك، فقال: يا أمير المؤمنين إذا امتزجت جواهر النفوس بوصل المشاكلة نتجت لمح نور ساطع تستضيء به واصر العقول ويصدر من ذلك اللمح نور خاص بالنفس متصل بجواهرها يسمى عشقًا، فقال له المأمون: هذا وأبيك الجواب"[1].

وقيل ليحيىَ بن معاذ: إن ابنك قد عشق فلانة فقال: الحمد لله الذي صيره إلى طبع الآدمي.

١- ذم الهوى: ص: ٢٢٩.

وقال أبو إسحق بن إبراهيم: أرواح العشاق عطرة لطيفة وأبدانهم رقيقة خفيفة نزهتهم المؤانسة وكلامهم يحى موات القلوب ويزيد في العقول ولولا العشق والهوى لبطل نعيم الدنيا.

أما الإمام ابن حزم فيذهب إلى أن:

الحب أعزك الله _ أوله هزل وآخره جد. دقت معانيه لجلالتها عن أن يوصف فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة وليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة، إذا القلوب بيد الله عز وجل. وقد اختلف الناس في ماهيته وقالوا وأطالوا والذي أذهب إليه أنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع[1].

أما الإمام ابن الجوزي نفسه فيرى: أن العشق شدة ميل النفس إلى صورة تلائم طبعها فإذا قوي فكرها فيها تصورت حصولها وتمنت ذلك فيتجدد من شدة الفكر مرض.

ولا تحسبن أن هذا النزاع بين الإسلاميين يختلف عنه لدى الغربيين، بل أن النزاع بين الغربيين أشد وأعمق؛ لأن الإسلاميين في الأساس اتفقوا على أن الحب حقيقة وليس وهمًا، أما الغربيون فقد انقسموا بين الأمرين فذهب فريق منهم إلى أنه حقيقة وذهب الآخر إلى أنه مجرد وهم.

كما أن الإسلاميين دارت آراؤهم حول النظرية الإسلامية التي تفسر الحب على أنه مشاكلة بين نفوس العشاق والمستمدة من قول الرسول ﷺ: "الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف".

أما أن أهل الغرب فقد اختلفوا في تفسيره إلى مذاهب شتى لا تقوم على أي أساس مشترك.

يقول الدكتور زكريا إبراهيم عن ذلك في كتابه مشكلة الحب:

ألم يكتب في الحب كل من أفلاطون وأرسطو والقديس أوغسطين والقديس توما الإكويني وبوسيه وفنلون وإسبينوزا وملبرانش وروسو وفولتير وشوبنهاور وهارتمان

١- طوق الحمامة: ص ٦١.

ونيتشه وماكس شلروبرجسون وأوروتيجادي جاسيت وسارتر وجبريل مارسل وكارل ياسبرز وغيرهم؟

فهل استطاع كل هؤلاء الفلاسفة أن يتفقوا على تعريف واحد للحب أو أن يجمعوا على فهم واحد لماهية الحب؟.

وإذا كان هذا موقف الفلاسفة الغربيين فإن موقف العلماء الغربيين أشد غرابة يعبر عن ذلك الدكتور ليوفيليس بوسكا جيليا فيقول[١]:

من العجيب أن العلماء تجاهلوا الحب ولقد رجعت مع طلابي أثناء دراسة هذا الموضوع ـ إلى كتب علم النفس وإلى كتب ومراجع علم الاجتماع وإلى كتب ومراجع علم الأجناس البشرية وبذلنا جهودًا شاقة في الحصول ولو على إشارة كافية شافية لكلمة "حب" وأصبنا بصدمة لأننا نعلم علم اليقين أننا جميعًا في حاجة إلى الحب. وأننا جميعًا نبحث عنه، ومع ذلك فليست هناك دراسة أكاديمية عنه. وخُيل إلينا أنه شيء يأتينا من خلال قوى خفية في الحياة!.

والانقسام الغربي حول الإيمان بالحب أو إنكاره انقسام طبيعي؛ لأنه يرجع في الأساس إلى انقسامهم ما بين ماديين ومؤمنين، فالمادي الذي لا يؤمن بالله أو بأي شيء يتعلق بالروحانيات من الطبيعي جدًا أن لا يؤمن بالحب.

يقول الكاتب بيتريم سوروكين عن ذلك في كتاب بعنوان "مسالك الحب وطاقاته:

"من المؤكد أن العقل المادي الذي لا يؤمن إلا بالإدراك الحسي لا يعترف بسلطة الحب إنه يبدو لنا كشيء وهمي ونسميه بالخداع النفسي أو نصفه بخيبة الأمل ومخدر عقول الناس فهو هراء غير علمي وضلال عابث يرفضه العلم"[٢].

إن سوركين يذكر الكلام السابق معترضًا بقوة على موقف العقل المادي المصادر

١- الحب: ص ١١.

٢- نقلاً عن الحب: بوسكاجيليا ص ١٢.

لأي محاولة لتفسير ظاهرة الحب والذي يعمل على إنكار وجوده من الأساس وهو يتحدث عن هذا الموقف المسبق فيقول[1]:

"إننا نميل إلى معارضة جميع النظريات التي تحاول أن تثبت سلطان الحب في تحديد السلوك الإنساني والشخصية وفى التأثير على أسلوب النمو والتطور الحيوي الجسماني والاجتماعي والعقلي والأخلاقي وأيضًا في التأثير على اتجاه الأحداث التاريخية وعلى تشكيل المؤسسات الاجتماعية والثقافية وفى مجال الإدراك الحسي يبدو أن هذا التأثير غير مقنع ومن المؤكد أنه غير علمي وضار وخرافي. وفى تقديري أنه من هنا نبدأ: الحب عبث ضار، وخرافي غير علمي".

هذا الحصار الفكري للعقل المادي الغربي على كل من يحاول الاعتراف بالحب كحقيقة مستقلة جعل الدكتور صمويل صن يصرخ في كتابه الذي كتبه عن الحب وطبع خمس طبعات متوالية قائلًا[2]:

"أعلم أن زملائي الأساتذة بجامعة هارفارد سيظنون أنني فقدت عقلي! لكنني أريدهم أن يعلموا جيدًا أنني على العكس قد استعدته".

ومع ذلك يظل الاعتراف بالعجز عن فهم الحب قائمًا لدى الكثير من الغربيين.

ولعل هذا ما عناه مونتني حينما كتب يقول[3]: "لو أنهم ألحوا على قائلين: ولكن لم تحبه؟"، لما وجدت ردًا على هذا السؤال سوى أن أجيبهم بقولي: "إنني أحبه لأنني أنا من أنا، ولأنه هو من هو!". ومعنى هذا أن الحب يتجه نحو "الكينونة" etre لا نحو "الملك" avoir. وكل من يحب شخصًا لجماله، أو جاهه، أو مركزه، فإنه لم يعرف بعد معنى الحب: لأن هذه كلها ليست سوى صفات، فهي ليست بالشخص نفسه!. وأما الحب الحقيقي فإنه لا يحب الآخر لصفاته أو مميزاته، بل هو يحبه لذاته.

"وهنا يختلف الحب عن الاحترام أو التقدير أو الإعجاب، فإن لغة الحب

١- كتاب الحب مرجع سابق.
٢- نقلاً عن المرجع السابق: نفس الصفحة.
٣- نقلاً عن دكتور زكريا إبراهيم: مشكلة الحب.

شخصية محبوبة بأكملها، ويقبل كل ما تنطوي عليه من محاسن وعيوب".

وكما يقول الدكتور زكريا إبراهيم[1]:

"وعلى حين أن هناك "هواة" amateurs في الحب يعرفون كيف يصنفون طبائع النساء، وكيف يأخذون من هذه بطرف، ومن تلك بآخر، نجد أن جماعة المحبين amants هم على العكس تمامًا من جماعة الهواة! وآية ذلك أن الحب ليس عملية "اختيار" "انتقاء" selection لبعض الصفات أو الطباع في كل واحد، بل هو "انتخاب" إجمالي election massive لهذا الكل باعتباره شخصًا حيًا هو غاية في ذاته.

وإذن فإن المحب يتقبل شخصية محبوبة بأكملها، أو يريد موضوع حبه كما هو عليه، دون أن يقف من محبوبه موقف المصلح أو المرشد أو الناصح! ولعل هذا ما عبر عنه ماكس شلر حينما كتب يقول: "إن الحب الحقيقي يتميز على وجه التحديد بأننا "نرى" فيه "العيوب" المجسمة لموضوعات حبنا ولكننا مع ذلك نحب تلك الموضوعات على الرغم مما فيها من عيوب".

ومن أعجب الأشياء أن واحدًا من أبرز الفلاسفة الماديين في القرن العشرين وهو الفيلسوف الفرنسي جارودي ينهي ما كتبه عن سيرته الخاصة "فى كتابه جولتي في العصر متوحدًا" بعد أن بلغ من العمر عتيا قائلًا: " لا يستطيع أحد أن يعرف ما هي الأسباب التي تدعوه إلى حب امرأة بالذات".

وفى الحقيقة فإن كثيرًا من المفكرين الماديين الصرحاء مع أنفسهم يقفون عاجزين عن تفسير ظاهرة الحب.

أما الأدباء وهم أكثر الناس تعمقًا في فهم النفس البشرية، فالحب لدى الأغلب الأعم منهم هو الحقيقة التي تفرض نفسها على كل الحقائق الأخرى وهو القانون الذي تتحطم أمامه كل القوانين، وحين يتناولون علاقة حب عميقة في أعمالهم الكبرى فإنهم

١- المرجع السابق.

يسردون أحداث هذه العلاقة سردًا عاجزًا عن أي تفسير سوى التسليم بها على أنها قضاء الله لا مرد له.. تجد هذا عند هوميروس مثلما تجده عند شكسبير مثلما تجده عند فيكتور هوجو مثلما تجده عند دستويفسكي مثلما تجده عند سومرست موم.

وأعجب الأمثلة لدى الأدباء العرب هو نجيب محفوظ؛ فعلى الرغم من موقفه المعروف من الغيبيات بوجه عام، إلا أنه لا يتناول موضوع الحب في رواياته ولا يتحدث عنه إلا على أنه ظاهرة لا يمكن تفسيرها، بل ويقدم قصة حبه هو نفسه بكل ما فيها من غرابة في روايتيه "قصر الشوق والسكرية".

ومن أغرب الأشياء، أنه بالرغم من الهجوم الشديد على الحب في هذا العصر المادي، فإن نسبة الحديث عنه في وسائل الإعلام وأحاديث الناس تكاد تمثل الجانب الأعظم ممايكشف عن التناقض الكبير في حياة الناس الآن.

والمشكلة في حقيقتها لا تبدأ من حيث الإيمان بالحب أو إنكاره، ولكنها ترجع في الأساس إلى الإيمان بالروحانيات بوجه عام أو إنكارها، بل أن السؤال العميق الذي يختبيء وراء المسألة هو السؤال المصيري: هل الله موجود أم لا؟

ومن الطبيعي أن المؤمنين يؤمنون بالحب لتعلقه بالروحانيات بوجه عام ولنفس السبب فإن الماديين ينكرونه، ولكن الإشكال الأكبر هو أن الحب ذاته حالة خاصة لها متعلقاتها من الظواهر والآثار التي تحطم كل القواعد والمفاهيم المادية التي يقيم الماديون على أساسها أفكارهم بشكل صارخ، ومن ثم اتخذت مواقفهم في العداء له تلك اللهجة المتشنجة الممتلئة بالحقد والغيظ. فالحب في ذاته حالة فلسفية فريدة في كونها، فمن العجب العُجاب أنه يمثل شاهدًا محسوسًا على وجود الروحانيات.. شاهدًا قائمًا بذاته ـ من الممكن معايشته وتحسسه والاحتراق به ـ على أن هناك أمورًا غيبية تتعدى قدرات الإدراك الإنساني وتستطيع أن تحطم قواعد القوانين المادية التي يتعايش على أساسها البشر.

وكنه الحب هو شيء يعجز عن إدراكه البشر مثله في ذلك مثل كل الروحانيات،

وأقصى ما نستطيع تقديمه هو وصف أهم الظواهر المتعلقة به فإذا أردنا وضع تعريف له فإننا لا نستطيع ذلك إلا من خلال وصف أهم ظاهرة من الظواهر المتعلقة به وعلى هذا نستطيع أن نقول:

الحب هو: شعور لا إرادى بالانجذاب الشديد نحو شخص ما.

ما هو هذا الشعور؟...

لماذا يكون؟....

ما مصيره؟

أسئلة كثيرة سنحاول أن نجيب عليها في هذا الكتاب.

* * *



الحب شيء آخر غير الجنس

الحب شيء آخر غير الجنس

لـو قلنـا أن الحب هو الجنس لطابقنا بين المحبوب وبيـن طبق من الطعام يختلف الانـجـذاب إليـه بحسـب جودته، لكـن الواقع ذاته يقـدم الدليل علـى المفارقة ما بين الأمرين لأنك إذا تناولت طعامك الذي تشتهيه حتى شبعت تفقد شهيتك إليه وتزيحه من أمامك وهو نفس الأمر الذي يحدث عند اشتهاء شخص لآخر.

أما العاشـق فحتى عند اضطجاعه مع حبيبته لدرجة الإشـباع جنسيًا، فإن ذلك لا يقلل من درجة توهجه بمن يحب، بل يزيد ولا يستطيع مفارقته أبدًا، وأنت لا تستطيع أن تتعلـق بطعام مـا وأنت تدري أنك لن تأكله، ولكن المحـب لا يخفت توهجه بمن يحـب حتـى ولو كان يعلم عـدم تمكنه من وطئه لـه وقد يعتاض الإنسـان عن الطعام الذي يريد بطعام مقارب له، ولكن العاشق لا يعتاض عمن يحب بأحد غيره مهما كان يفوقه جمالًا، بل إن ما يحدث أنه يعزف عن كل النسـاء بسـببها حتى ولو كان يعلم أنه لن ينالها شـهوة، بل نكاد أن نقول أن ابتسـامة الحبيبة لدى العشـاق أفضل لديهم من مضاجعة كل حسناوات العالم، هذه أمور يلتمسها كل من يستقرىء الواقع والتاريخ.

ففي كل ما سبق يمكن المطابقة بين اشـتهاء امرأة واشتهاء طبق من الطعام، أما الحب ذاته فهو شـيء يختلف عنهما تمامًا. ولكن هل يعني ذلك أن هناك مجافاة بين الحب والجنـس، أقـول لا، بـل إن الجنس يدخل فـي نطاق الحب وهو الأمر الذي يفسـر ما يذهـب إليـه علماء الطـب والنفس والجنس بأن لذة المتعة الجنسـية بيـن المحبين لا يمكـن مقارنتها بمـا يحدث بين الآخرين الذين ليس بينهـم علاقة الحب هذه فالحب ليـس الجنس، ولكنه يشـتمل عليه، وقد نحاول تبسـيط ذلك مع الفـارق بهذا المثال، فعلى فرض أن أحد الأشـخاص يعشـق بسـتانًا فهو يصل إلى سـعادته داخل البسـتان حتى ولو لم يأكل من شجرة يشتهيها، ولكن تبلغ قمة سعادته لو أكل من تلك الشجرة،

ولكن على فرض أنه سيأكل من تلك الشجرة دون أن يدخله فلن تتحقق سعادته التي ينشدها بحب هذا البستان.

يقول عالم النفس الكبير أوسفلد شفارتس في كتابه الرائع "علم النفس الجنسي":

"ينتمي الدافع الجنسي إلى الناحية البيولوجية "العضوية" بينما ينتمى الحب إلى الناحية الشخصية من وجودنا. وهذا فرق لم نعترف به حتى الآن بصورة عامة، بالرغم من أنه فرق أساسي. وقد أعاق تقدم البحث في هذا الميدان ـ لسوء الحظ ـ الرأي الذي قال به رجلان من أعظم الرجال خبرة بالمسائل الجنسية وهما هفلوك اليس وسيجموند فرويد. فهما يدعيان أن الحب يمكن أن يولد من الدافع الجنسي ثم يعود إليه. ويجب أن نلاحظ، على عكس هذه النظرية، أن الدافع الجنسي يشبع رغبة فردية وأنه لهذا لا يتخطى الفرد الذي يشعر بهذه الحاجة، بينما يخرج بنا الحب عن ذواتنا ليدفع بنا نحو كائن آخر.

فمتى تم إشباع الغريزة كفت هذه الغريزة عن الإلحاح بينما الحب على العكس من ذلك؛ لأنه ميل مستمر، ولهذا فهو يوجد رابطة دائمة، ذلك لأن الحب ليس حالة ثابتة جامدة، بل هو نشاط متجدد دائمًا.. لما كان الحب لا يسعى إلى امتلاك الآخر كما أنه لا يستطيع الاكتفاء بهذا الامتلاك فإنه نشاط يكتفي بذاته. ويتعارض إشباع الرغبة الجسدية مع ميل الحب المستمر. ولهذا فإن المضاجعة الجسدية الصرفة [أي العملية الجنسية البحتة بين شخصين لا تربط بينهما علاقة حب] لا بد أن يتبعها إحساس بالتعب واللامبالاة والملل الذي ينشأ عن الشبع.

أما المحبان العاشقان فإنهما يشعران حين يستيقظان من نشوتهما [أي بعد انتهائهما من العملية الجنسية] بأنهما قد تجددا وبُعِثا من جديد، فإذا بهما ينظر كل واحد منهما

إلى الآخر وقد تملكتهما الدهشة كما لو أنهما كانا غريبين كل منهما عن الآخر.

فالدافع الجنسي دافع أعمى يحمل الذكر على الاتصال بالأنثى وهذا يعني أن أية امرأة تتصل بأي رجل وأن أي رجل يمكنه الاتصال بأية امرأة. ويتم هذا الاتصال، على الرغم من جهل كل منهما بالآخر. أما الحب فإنه يهب البصيرة إلى الرجال ويفتح أعيننا على الجوهر الحق والى القيم الشخصية الداخلية في الكائن المحبوب.

وبالرغم من أن الحب والدافع الجنسي يختلفان تمامًا في طبيعتهما فإنهما مرتبطان بعلاقة متبادلة تجعل كلًا منهما يتعلق بالآخر ويتممه. فإذا كان لابد من أدلة على ذلك فقد أدلنا علم الأمراض الجنسية بعدد من الأدلة المقنعة. فالاضطراب الجنسي الأكثر انتشارًا عند الرجال هو العجز عن انتصاب العضو الجنسي[1].

وليس لهذه الظاهرة أية صلة بنقص في تكوين هذا العضو، بل هي نتيجة لبعض العقد التي لا نعيها تمامًا والتى تحول دون قيام الأعضاء التناسلية بوظيفتها بانتظام.

ولهذا كان لا بد للرجل البالغ السوي _ الذي يعرف عن طريق التجربة البيولوجية اتحاد كل من الروح والجسد _ أن يؤدي به الأمر _ وبسبب معرفته لهذا الكمال في الاتحاد _ إلى الفشل إذا ما استسلم لعلاقات جنسية خالية من الحب وانحط إلى انتهاج مسلك جسدي صرف ليس له أي صدى انفعالي. ذلك لأن العملية الجنسية هي الوظيفة الوحيدة التي لا تكذب لأننا مضطرون إلى أن نكون "صادقين" في حياتنا الجنسية ولو كان ذلك رغمًا عنا.

ويذهب شفارتس إلى أنه من الممكن أن تقوم هناك علاقة حب بين ذكر وأنثى خالية من الجنس، وعلى الرغم من اقتناعنا بالتباين الشديد بين الحب والجنس، إلا أننا لا نستطيع تصور خلو الحب _ ذى المعنى الشائع المرتبط بالعشق _ من الجنس لأن هذا الحب يعني جنوح الإنسان بكل كينونته الإنسانية نحو امرأة معينة وهو أمر

١- راجع العلاقات بين فقدان واصابة الرجل بعدم الانتصاب والمرأة بالبرود الجنسي الكتب التالية:
التوافق الجسدى: د. محمد فتحى. الزواج المثالى: د. محمد فتحى. الصحة والجنس.

يدخل فيه الجنس بلا شك؛ وإن كان الدافع الجنسي لا يمثل أرقًا كبيرًا لدى العاشق بالنسبة إلى المشاعر الأخرى التي ترتبط بمدى الانسجام النفسي بين العاشقين. أما إذا خلا الحب من الجنس تمامًا فإن ذلك يدخل في باب المودة التي من الممكن تصور وجودها بين الإنسان وأي شخص آخر سواء كان من جنسه أو من الجنس الآخر وهذا موضوع يخرج عن نطاق موضوع الحب المرتبط بالعشق الذي نتناوله هنا.

ويقول الدكتور لاجاش "أستاذ علم النفس بالسربون"[١]:

"إنه لا سبيل لنا إلى تفسير الحب تفسيرًا صحيًا لو أننا اقتصرنا على إرجاعه إلى مجرد حاجة جنسية والواقع أن الحب إنما يتجاوب مع الترقي النفسي للموجود البشري من حيث أن هذا الموجود هو في حاجة إلى أن يحب وأن يحب أعني أنه في حاجة إلى موجود بشري آخر وقل ما تفعله يقظة الغرائز الجنسية هو أنها تساعد على خلق الجو النفسي الملائم لمولد الحب وإذًا فإن الدلالة الحيوية للحب لا يمكن أن تكون هي التناسل أو التفريغ الجسمي، بل هي التحرر من العزلة النفسية".

ومن الممكن أن يُقال في هذا السياق المراد به التفرقة بين الحب والجنس أن الشخص المراد بالجنس تنتهي الرغبة فيه بقضاء الوطر منه وهو الأمر الذي يتعداه الحب تمامًا والأمثلة المشاهدة من الواقع خير دليل على ذلك ومن الأمثلة التاريخية التي يمكن ضربها على ذلك أن القائد الروماني الكبير أنطونيو على الرغم من زواجه من كليوباترا ملكة مصر لسنين طويلة، إلا أنه فقد اتزانه تمامًا عندما علم برحيلها عنه في معركته مع القادة الرومان "وكانت قد اعتقدت موته" فإذا به يمضي وراءها ذاهلًا عن كل شيء فاقدًا بذلك إمبراطورية كاملة كانت تحكم أغلب العالم القديم هي الإمبراطورية الرومانية مما جعل المؤرخ الروماني بلوتارك يعلق على ذلك قائلًا: إن أرواح العشاق تسكن في أجساد من يعشقون.

وفي تاريخنا العربي تطالعنا قصة قيس بن ذريح وهو غير قيس بن الملوح الشهير

١- مشكلة الحب ص ١٨٩.

بالمجنون بنفس المعنى، فبعد زواجه من لبنى وتمتعه بها وقع الخلاف بينها وبين والديه بسبب عدم إنجابها حتى أصر الأخيران على تطليقه لها ووقف الأب تحت الشمس معلنًا أنه لن يدخل حتى يطلق ابنه امرأته وبعد أن استسلم قيس في النهاية لذلك ورحلت هي عنه طار عقله وراءها.

ومن أغرب الأحداث التاريخية التي تؤيد ما نذهب إليه تلك القصة التي وقعت في حوالى القرن الثانى عشر للفيلسوف إبلار وتلميذته هلويز فقد كان إبلار فيلسوفًا وقسًا وكانت هلويز إحدى الراهبات التي تتلمذت على يديه ووقع الحب بينهما وما كانا ليستطيعا الزواج لوضعهما الكنسي الذي يمنع الزواج عليهما وحدث أنهما قد وقعا في الخطيئة فانتقم عم هلويز من إبلار بأن سلط عليه بعض البلطجية ليضربونه حتى فقد القدرة الجنسية ومع ذلك فقد ظلت هلويز على حبه حتى شاب شعرها. ومن الواضح جدًا أن كل هذه الأمور لا علاقة لها بالجنس كرغبة تنتهي بقضاء الوطر من الشخص المرغوب فيه.

وفرويد كعادته في نظرياته فإن مذهبه في هذا الموضوع شديد التعقيد وضارب ضربًا شديدًا في التخمين وإذا أردنا أن نبسط نظريته هنا ـ تبسيطًا نرجو ألا يكون مخلًا بحقيقتها ـ نقول أنه يرى أن الحب ناتج عن تلاقي شعور كامن في النفس البشرية "وكان قد نتج عن حدث قديم" مع شعور جديد صنعه واقع جديد في الحياة.

ومعنى ذلك أن هناك حادثة ما تحدث للمرء في طفولته القديمة وهذه الحادثة يترسب عنها شعور خاص في نفسه ومع أنه ينسى ذلك تمامًا إلا أن هذا الشعور يظل كامنًا في عمق نفسه أو فيما ابتدعه. فرويد وسماه باللاشعور ثم يقع للمرء حادث جديد يقع عنه شعور جديد يتلاقى مع هذا الشعور القديم فيجد الإنسان لذلك شعورًا شديدًا بالنشوة التي يسميها حبًا وضربًا في الشطط الأسطوري الذي يتميز به فكر فرويد فإنه يرى أن الذكور يحبون شبانه أمهاتهم والإناث تحب شبائه آبائهم، وهذا مبنى على نظرياته الخاصة في حب الابن لأمه "عقدة أوديب" وحب البنت لأبيها

"عقد إلكترا".

والواقع الذي نشاهده كلنا أنه قد يحب عدد من الأشخاص امرأة واحدة ويكون هؤلاء الأشخاص مختلفين من حيث الشكل عن بعضهم اختلافًا شديدًا مما يعني اختلاف أمهاتهم في الشكل عن بعضهم اختلافًا شديدًا.

فهل من الممكن أن يقال عند ذلك أنهم أحبوا تلك المرأة التي أحبوها لا لشيء إلا لأنها تشبه أمهاتهم، فكيف من الممكن أن تشبه كل هؤلاء الأمهات المختلفات في الشكل في نفس الوقت.

إن إحسان عبد القدوس يقول أن الحب تعود، بل ليس هناك حب أصلًا، ولكن البعض هو الذي يوهم الآخرين بأن هناك حبًا؟؟. كيف يكون هذا الشعور ناتجًا عن تعود ما وأغلب الذين تحدثوا عن الحب في التاريخ كله يقولون أنه يبدأ من أول نظرة وإذا لم نتفق معهم في ذلك فإنه مما لا شك فيه أن الإعجاب الذي تصنعه أول نظرة له أثره الشديد في استفحال الشعور بالحب بعد ذلك فأين التعود في هذا وحتى لو فرضنا أن هناك تعودًا يصنع الشعور بالجاذبية الخاصة التي تسمى حبًا، فلماذا يكون التعود مع هذا الشخص وليس أحدًا غيره هو الذي يفرز هذا الشعور ولا يستطيع إحسان أو غيره أن يثبت أن الاحتكاك الأكثر بشخص ما دون غيره هو الذي يصنع ذلك التعود، ومن ثم الشعور بالحب؛ لأن هذا لا علاقة له بالواقع على الإطلاق، وفرض كهذا يجعل الأمر حديثًا عن تمرين رياضي أو على الأكثر عن إدمان وليس عن حب. إن أنيس منصور على الرغم من أن ثقافته تكاد تتفق في اتجاهها مع ثقافة إحسان عبد القدوس، ولكنه يذهب إلى أن الحب شيء آخر غير الجنس ويضع هذه المعادلة.

الحب = الصداقة + الجنس.

فهو يفصل الحب عن الجنس بفارق الصداقة وإن كنا نختلف معه في هذا المسمى، إلا أن المعنى المقصود قريب.

حدود العلاقة

بين الرجل والمرأة في الإسلام

حدود العلاقة

بين الرجل والمرأة في الإسلام

هدى الإسلام في كل شيء هو سد الذرائع عن الوقوع في الفاحشة فكانت الحدود التي وضعها بين الرجل والمرأة تهدف في الأساس إلى عدم الوقوع في ذلك.

فخير الهدي في ذلك هدي محمد ﷺ وهدي خلفائه الراشدين وأصحابه المهديين.

والناظر في هذا الهدي يرى أن المرأة لم تكن مسجونة ولا معزولة كما حدث ذلك في عصور تخلف المسلمين.

وكانوا في أول الأمر يدخل الرجل والنساء من أي باب اتفق لهم، فيحدث نوع من التزاحم عند الدخول والخروج، فقال ﷺ: "لو أنكم جعلتم هذا الباب للنساء". فخصصوه بعد ذلك لهن، وصار يعرف إلى اليوم باسم "باب النساء".

وكان النساء يحضرن كذلك صلاة العيدين، ويشاركن في هذا المهرجان الإسلامي الكبير، الذي يضم الكبار والصغار، في الخلاء مهللين مكبرين.

روى مسلم: عن أم عطية قالت: "كنا نؤمر بالخروج في العيدين، والمخبأة والبكر" وكان النساء يحضرن دروس العلم، مع الرجال عند النبي ﷺ، ويسألن عن أمر دينهن مما قد يستحي منه الكثيرات اليوم. حتى أثنت عائشة على نساء الأنصار، أنهن لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين، فطالما سألن عن الجنابة والاحتلام والاغتسال والحيض والاستحاضة ونحوها.

بل صح أن نساء بعض الصحابة شاركن في بعض الغزوات والمعارك الإسلامية بحمل السلاح، عندما أتيحت لهن الفرصة. ومعروف ما قامت به أم عمارة نسيبة بنت

كعب يوم أُحد، حتى قال عنها ﷺ: "لمقامها خير من مقام فلان وفلان".

وكذلك اتخذت أم سليم خنجرًا يوم حنين، تبقر به بطن من يقترب منها.

وفى الحياة الاجتماعية شاركت المرأة داعية إلى الخير، آمرة بالمعروف، ناهية عن المُنكر، كما قال تعالي: {الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ} [التوبة: ٧١].

ومن الوقائع المشهورة رد إحدى المسلمات على عمر في المسجد في قضية المهور، ورجوعه إلى رأيها علنًا، وقوله: "أصابت المرأة وأخطأ عمر". وقد ذكرها ابن كثير في تفسيره سورة النساء، وقال: إسنادها جيد.

وقد عين عمر في خلافته الشفاء بنت عبد الله العدوية محتسبة على السوق.

والمتأمل في القرآن الكريم وحديثه عن المرأة في مختلف العصور، وفى حياة الرسل والأنبياء لا يشعر بهذا الستار الحديدي الذي وضعه بعض الناس بين الرجل والمرأة.

فنجد موسى ـ وهو في ريعان شبابه وقوته ـ يحادث الفتاتين ابنتي الشيخ الكبير، ويسألهما وتجيبانه بلا تأثم ولا حرج، ويعاونهما في شهامة ومروءة، وتأتيه إحداهما بعد ذلك مرسلة من أبيهاه تدعوه أن يذهب معها إلى والدها، ثم تقترح إحداهما على أبيها بعد ذلك أن يستخدمه عنده؛ لما لمست فيه من قوة وأمانة.

لنقرأ في ذلك ما جاء في سورة القصص: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ "٢٣" فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ "٢٤" فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ "٢٥" قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} [القصص: ٢٣ ـ ٢٦].

وفى قضية مريم نجد زكريا يدخل عليها المحراب، ويسألها عن الرزق الذي يجده عندها: {كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [آل عمران: ٣٧].

وفى قضية ملكة سبأ نراها تجمع قومها تستشيرهم في أمر سليمان: {قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ "٣٢" قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ "٣٣" قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ} [النمل: ٣٢ _ ٣٤].

وكذلك تحدثت مع سيمان عليه السلام وتحدث معها: {فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ "٤٢" وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ "٤٣" قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [النمل: ٤٢ _ ٤٤].

إن إمساك المرأة في البيت، وإبقاءها بين جدرانه الأربعة لا تخرج منه اعتبره القرآن _ في مرحلة من المراحل تدرج التشريع قبل النص على حد الزنى المعروف _ عقوبة بالغة لمن ترتكب الفاحشة من نساء المسلمين، وفى هذا يقول تعالى في سورة النساء: {وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا} [النساء: ١٥].

وقد جعل الله لهن سبيلًا بعد ذلك حينما شرع الحد، وهو العقوبة المقدرة في الشرع حقًا لله تعالي، وهى الجلد الذي جاء به القرآن لغير المحصن، والرجم الذي جاءت به السنة للمحصن.

فكيف يستقيم في منطلق القرآن والإسلام أن يجعل الحبس في البيت صفة

ملازمة للمسلمة الملتزمة المحتشمة، كأننا بهذا نعاقبها عقوبة دائمة وهي لم تقترف إثمًا؟[1].

والخلاصة كما يقول الدكتور يوسف القرضاوي:

"أن اللقاء بين الرجال والنساء في ذاته ليس محرمًا، بل هو جائز أو مطلوب إذا كان القصد منه المشاركة في هدف نبيل، من علم نافع أو عمل صالح، أو مشروع خير، أو جهاد لازم، أو غير ذلك مما يتطلب جهودًا متضافرة من الجنسين، ويتطلب تعاونًا مشتركًا بينهما في التخطيط والتوجيه والتنفيذ.

ولا يعني ذلك أن تذوب الحدود بينهما، وتنسى القيود الشرعية الضابطة لكل لقاء بين الطرفين، ويزعم قوم أنهم ملائكة مطهرون لا يخشى منهم ولا عليهم، يريد أن ينقلوا مجتمع الغرب إلينا. إنما الواجب في ذلك هو الاشتراك في الخير، والتعاون على البر والتقوى، في إطار الحدود التي رسمها الإسلام، ومنها:

١ ـ الالتزام بغض البصر من الفريقين، فلا ينظر إلى عورة، ولا ينظر بشهوة، ولا يطيل النظر في غير حاجة، قال تعالي: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ "٣٠" وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ} [النور: ٣٠].

٢ ـ الالتزام من جانب المرأة باللباس الشرعى المحتشم، الذي يغطى البدن ما عدا الوجه والكفين، ولا يشف ولا يصف، قال تعالي: {وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} [النرر: ٣١].

٣ ـ الالتزام بأدب المسلمة في كل شيء، وخصوصًا في التعامل مع الرجال:

(أ) في الكلام، بحيث يكون بعيدًا عن الإغراء والإثارة وقد قال تعالى: {فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا} [الأحزاب: ٣٢].

(ب) في المشي، كما قال تعالي: {وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ

---

١ - راجع د. يوسف القرضاوى. فتاوى معاصرة.

زِينَتِهِنَّ} [النور: ٣٢]. وأن تكون كالتي وصفها الله بقوله: {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ} [القصص: ٢٥].

(جـ) في الحركة، فلا تتكسر ولا تتمايل، كأولئك اللائي وصفهن الحديث الشريف بـ "المميلات المائلات" ولا يصدر عنها ما يجعلها من صنف المتبرجات تبرج الجاهلية الأولى أو الأخيرة.

٤ ـ أن تتجنب كل ما شأنه أن يثير ويغرى من الروائح العطرية، وألوان الزينة التي ينبغي أن تكون للبيت لا للطريق ولا للقاء الرجال.

٥ ـ الحذر من أن يختلى الرجل بامرأة وليس معهما محرم، فقد نهت الأحاديث الصحيحة عن ذلك، وقالت: "أن ثالثهما الشيطان" إذ لا يجوز أن يخلى بين النار والحطب.

٦ ـ أن يكون اللقاء في حدود ما تفرضه الحاجة، وما يوجبه العمل المشترك دون إسراف أو توسع يخرج المرأة عن فطرتها الأنثوية، أو يعرضها للقيل والقال، أو يعطلها عن واجبها المقدس في رعاية البيت وتربية الأجيال[1].

ويقول الشيخ سيد سابق عن زي المرأة وتعطرها:

"وتجرد المرأة من ملابسها، وإبداء مفاتنها يسلبها أخص خصائصها من الحياء، والشرف، ويهبط بها عن مستواها الإنساني، ولا يطهرها مما التصق بها من رجس، سوى جهنم؛ يقول الرسول ﷺ: "صِنفان من أهل النار لم أرهما؛ رجال بأيديهم سياط كأذناب البقر، ونساء كاسيات، عاريات، مائلات، مُمِيلات، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليُشَمّ من مسافة كذا وكذا"[2].

١- فتاوى معاصرة:

٢- مسلم: كتاب الجنة، وصفة نعيمها وأهلها ـ باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، برقم "٥٢" "٤ / ٢١٩٢"، وكتاب اللباس والزينة ـ باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات، برقم "١٢٥" "٣ / ١٦٨٠"، وأحمد، بلفظ متقارب "٢ / ٣٥٦، ٤٤٠"، وموطأ مالك، مختصرًا: كتاب اللباس – باب ما يكره للنساء لبسه من الثياب، برقم "٦" "٢ / ٩١٣".

وفي عهد النبوة كان رسـول اللّه ﷺ يرى بعض مظاهر التبرج، فيلفت نظر النسـاء إلـى أن هذا فسـق عـن أمر اللّـه، ويردهن إلـى الجادة المسـتقيمة، ويحمـل الأولياء، والأزواج تبعة هذا الانحراف، وينذرهم بعذاب اللّه.

١ـ عن موسـى بن يسـار ﷺ قال: مرت بأبـي هريرة امرأة، وريحهـا تعصف، فقال لهـا: أيـن تريدين يا أمَـة الجبار ؟ قالت: إلى المسـجد. قـال: وتطيّبـتِ؟ قالت: نعم. قال: فارجعي واغتسـلي؛ فإني سـمعت رسـول اللّه ﷺ يقول: "لا يقبل اللّه صلاة من امرأة خرجت إلى المسـجد، وريحها تعصف، حتى ترجع فتغتسـل"[1]. وإنما أمرت بالغسل؛ لذهاب رائحتها.

٢ـ وعـن أبـي هريرة ﷺ قال: قال رسـول اللّه ﷺ: "أيما امـرأة أصابت بخورًا، فلا تشهدن العشاء". أي؛ الآخرة. رواه أبو داود، والنسائي.

* * *

---

١ - أبو داود: كتاب الترجل باب ما جاء في المرأة تتطيب للخروج، برقم "٤١٧٤" "٤ / ٤٠١"، وابن ماجه: كتاب الفتن ـ باب فتنة النساء، برقم "٤٠٠٢" "٢ / ١٣٢٦"، ورواه ابن خزيمة، في "صحيحه"، قال الحافظ: إسناده متصل، ورواته ثقات.



علاقة المرأة بالأجانب عنها

علاقة المرأة بالأجانب عنها

يقول تعالي:

{وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: ٣١].

وعن جابر أن النبي ﷺ قال:

"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها، فإن ثالثهما الشيطان". رواه الإمام أحمد.

وعن عقبة بن عامر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إياكم والدخول على النساء".

فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟

قال: "الحمو الموت". متفق عليه.

قال الفقهاء وأهل اللغة: الحمو: قريبُ الزوج كأخيه وعمه وابن أخيه وابن أخته وهذا الموضوع غاية في الخطورة لما تفشى في الناس من جهل وإهمال لهذه المسألة بما يتبعه ذلك عادة من مصائب وحسرات.

وكون اختلاء الرجل بالمرأة هو طريق إلى الفاحشة أمرًا استقر في الضمير البشري في الدنيا كلها وليس رأيًا للإسلام فقط ولأن الإسلام يعمل على سد الطرق إلى الفواحش، فلقد اهتم بهذه المسألة اهتمامًا كبيرًا فبعد أن عدّد محارم المرأة من الرجال حذر هذا التحذير الشديد القاطع من اختلاء رجل بامرأة من غير هؤلاء

المحارم، ولهذا فقد أراد أحد الرجال أن يستوثق من كون هذا الحكم يطبق على أشد الرجال قرابة للزوج وهم من يتوقع منهم عادة الدخول والخروج في دار الزوج فأجابه الرسول ﷺ تلك الإجابة القاطعة والمحذرة في نفس الوقت من أن هؤلاء الأقارب بالذات هم أشد جهة يأتي منها هذا الخطر الداهم فقال: "الحمو الموت".

ومن الجهل المستشري في بلادنا هو أنهم قد يأخذون في الاعتبار عدم اختلاء الزوجة مع أخ زوجها أو ابن عمه في مكان مغلق من غير محرم، ولكنهم لا يلقون بالًا في هذا الأمر بالنسبة إلى ابن أخيه أو ابن أخته، بل أحيانًا ما يوصي الزوج بوجود أمثال هؤلاء مع زوجته في غيابه للاطمئنان عليها وذلك أنهم ينظرون إلى المسائل باعتبار السن والتقاليد وليس باعتبار الدين الإسلامي، على الرغم من وضوح حكمه في كون ابن الأخ وابن الأخت ليسا من المحارم، ومن ثم ينطبق عليهما أشد ما ينطبق قول الرسول ﷺ: "الحمو الموت".

وكم خربت بيوت وضاعت أسر بسبب إهمال هذا الأمر، بل وكثير ما تقع مثل هذه المصائب ويتكتم عليها بين العائلات ثم تظهر آثارها كوارثًا بعد ذلك.

* * *

موقف أئمة الإسلام من الحب

موقف أئمة الإسلام من الحب

1 _ رأي الإمام بن داوُد الظاهري:

ذكـر أحد الصالحين أن الإمام محمـد بن داؤد الظاهري "إمام المذهب الظاهري" كان يدخل الجامع من باب الوراقين ثم عدل عن ذلك، وجعل دخوله من غيره وكنت مجرئًا عليه فسألته عن ذلك وهذا دليل على مدى مهابة الإمام التي تطلبت القدرة على الاجتراء عليه لمجرد سـؤاله عن تغيير الباب الذي يدخل منه فقال: يا بني. السـبب فيه أني في الجمعة الماضية أردت الدخول منه فصادفت عند الباب عاشقين يتحدثان فلما رأياني، قالا: أبو بكر قد جاء فتفرقا فجعلت في نفسي أن لا أدخل من باب فرقت فيه بين عاشقين.

ويقول ابن القيم عنه:

وهذا أبو بكر بن داؤد الظاهري العالم المشهور في فنون العلم: من الفقه والحديث، والتفسير، والأدب، وله قوله في الفقه، وهو من أكابر العلماء وعشقه مشهور.

قال نفطوية: دخلت عليه في مرضه الذي مات فيه، فقلت: كيف نجدك؟

فقـال: حب مـن تعلم أورثنـي ما تـرى، فقلت: وما يمنعـك من الاسـتمتاع به مع القـدرة عليه؟ فقال: الاسـتمتاع علـى وجهين: أحدهمـا: النظر المبـاح، وآخر: اللذة المحظـورة، أما النظر المباح فهو الذي أورثني ما ترى، وأما اللذة المحظورة فيمنعني منهـا ما حدثني أني، حدثنا أبي سـويد بن سـعيد، حدثنا مسـهر عن أبـي يحيي القتاب عن مجاهد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يرفعه: "من عشـق وكتم وعف وصبر، غفر الله له وأدخله الجنة".

وجاءته يومًا فتيا مضمونها:

يا ابن داود، يا فقيه العراق أفتنا في قواتل الأحداق
هل عليها بما أتت من جناح أم حلال لها دم العشاق؟

فكتب الجواب بخطه تحت البيتين:

عندي جواب مسائل العشاق فاسمعه من قرح الحشا مشتاق
لما سألت عن الهوى هيجتني وأرقت دمعًا لم يكن بمراق
إن كان معشوقًا يعذب عاشقًا كان المعذب أنعم العشاق.

* * *

٢ _ موقف الإمام ابن حزم:

يقول الإمام ابن حزم:

"الحب _ أعزك الله أوله هزل وآخره جد دقت معانيه لجلالتها عن أن توصف فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة. وليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة، إذ القلوب بيد الله عز وجل. وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثير، ومن الصالحين والفقهاء في الدهور الماضية والأزمان القديمة من قد استغنى بأشعارهم عن ذكرهم: وقد ورد من خبر عبد الله بن عتبة بن مسعود وشعره ما فيه الكفاية وهو أحد فقهاء المدينة السبعة وقد جاء من فتياه [يقصد إفتاء] ابن عباس ﷺ ما لا يحتاج معه إلى غيره حين يقول: "هذا قتيل الهوى لا عقل ولا قود".

ويستدل الإمام ابن حزم على موقفه هذا من الحب بما رواه بسنده _ في موضع آخر من كتابه طوق الحمامة _ أن رجلًا قال لعمر بن الخطاب ﷺ: يا أمير المؤمنين إني رأيت امرأة فعشقتها. فقال عمر: "ذلك مما لا يملك".

ومن الواضح أن الإمام ابن حزم تعامل مع موضوع الحب كبديهة لا تحتاج إلى جدل كبير، فلم يهتم لذلك بحشد أكبر قدر من النصوص للدفاع عنه والاستدلال على إباحته.

ونحن لا نتفق مع الذين ذهبوا إلى اتهام الإمام ابن حزم بانتهاك أحكام الدين بسبب ما أورده عن أفعال العشاق في كتابه طوق الحمامة؛ لأنه كما نعلم من قواعد الدين أن ناقل الكفر ليس بكافر والإمام ابن حزم كتب هذا الكتاب بروح المفكر والأديب كما كتبه بروح الفقيه والجانبان الأولان يقتضيان عليه استقصاء الأمور في كل ما يتعلق بالعشق أو يشتبه به من أمور أخرى سواءً كان هذا عفافًا أم فجورًا أو ضلالًا وهذا ما فعله الإمام ابن حزم دون أن يقتضي ذلك موافقته على الأمور الخارجة عن

أحكام الدين فيما ذكره وإن كنا نذهب إلى أن روح التسامح والتيسير الذي اتسم بها الفقة الأندلسي بوجه عام كانت على الإمام ابن حزم في نظرته إلى الأحكام المتعلقة بالعشق ونستشف ذلك بوجه خاص في موقفه المتشدد من الوشاة ولكن على التوازي من ذلك التسامح فقد شدد الإمام ابن حزم على إظهار فضل العفاف والتشنيع من جريمة الزنا فوازن بذلك بين التسامح مع العشق كحالة خاصة ترتبط أساسًا بالعاطفة القلبية وبين التشدد بالنسبة إلى ابتغاء الشهوات والسقوط في الفجور.

* * *

٣ _ موقف الإمام الجوزي من الحب:

اختلف الناس في العشق، هل هو ممدوح أو مذموم؟

فقال قوم: هو ممدوح لأنه لا يكون إلا من لطافة الطبع، ولا يقع عند جامد الطبع حبيسه، ومن لم يجد منه شيئًا، فذلك من غلط طبعه.

فهو يجلو العقول ويصفي الأذهان ما لم يفرط. فإذا أفرط عاد سُمًا قاتلًا، وقال آخرون: بل هو مذموم، لأنه يستأثر العاشق، ويجعله في مقام المستعبد.

قلت: وفصل الحكم في هذا الفصل أن نقول: أما المحبة والود والميل إلى الأشياء المستحسنة والملائمة فلا يذم. ولا يعدم ذلك إلا الحبيس من الأشخاص.

فأما العشق الذي يزيد على حد الميل والمحبة فيملك العقل ويصرف صاحبه على غير مقتضى الحكمة، فذلك مذموم، ويتحاشى من مثله الحكماء.

وأما القسم الأول فقد وقع فيه خلق كثير من الأكابر، ولم يكن عيبًا في حقهم.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال حدثنا أبو الفضل محمد بن الفضل، قال حدثني محمد بن سعيد القزاز قال: حدثنا أبو أمية، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد الهذلي عن هشيم، عن مجاهد، عن الشعبي أنه كان يقول:

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فأنت وعير بالفلاة سواء

وقد روى أبو عبد الله المرزباني، أن أبا نوفل سئل: هل فلت أحد من العشق؟ فقال: نعم الجلف الجافي الذي ليس فيه فضل ولا عنده فهم، وأما من في طبعه أدنى ظرف، أو معه دمائة أهل الحجاز ورقة أهل العراق فهيهات.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا المبارك، قال أنبأنا القاضي أبو القاسم علي الحسن التنوخي، قال حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن أحمد المازني، قال حدثنا الحسن بن القاسم بن جعفر الكوكي، قال: حدثنا عيسى بن محمد بن ناظرة

الدوسي، قال: قبيصة بن محمد المهلبي، قال: أخبرني اليمان بن عمرو مولى ذي الرياستين، قال: كان ذو الرياستين يبعثني ويبعث أحداث أهله إلى شيخ بخراسان، له أدب وحسن معرفة بالأمور ويقول لنا: تعلموا منه الحكمة فإنه حكيم.

فكنا نأتيه، فإذا انصرفنا من عنده سألنا ذو الرياستين واعترض ما حفظناه فيخبرونه.

فقصدنا ذات يوم إلى الشيخ، فقال: أنتم أدباء وقد سمعتم ولكم وجدات ونعم، فهل فيكم عاشق؟ فقلنا لا. فقال: اعشقوا، فإن العشق يطلق اللسان العيي ويقدح حيلة البليد والمختل، ويبعث على التنظيف وتحسين اللباس وتطييب المطعم، ويدعو إلى الحركة والذكاء، ويوقظ الهمة، وإياكم والحرام.

فانصرفنا من عنده إلى ذي الرياستين، فسألنا عما أخذنا في يومنا ذلك، فهبنا أن نخبره، فعزم علينا، فقلنا: إنه أمرنا بكذا وكذا، قال: صدق والله.

اما القسم الثاني من الشعق فمذموم لا شك فيه

وبيان ذلك أن الشيء إنما يعرف ممدوحًا أو مذمومًا بتأمل ذاته وفائدته في النفس الناطقة، والعشق هو أثر غلبة النفس الشهوانية، لأنها لما قويت أحبت ما يليق بها.

ألا ترى أن الصبيان يحبون التماثيل واللعب أكثر من محبتهم للناس، لضعف نفوسهم وكونها مماثلة للصور لخلوها عن رياضة، فإذا ارتاضت نفوسهم ارتفعت هممهم إلى ما هو أعلى، وهو حب الصور الناطقة، فإذا ارتاضت نفوسهم بالعلوم والمعارف، ارتفعت عن حب الذوات، ذوات اللحم والدم، إلى ما هو أشرف منها. وأتم أحوال النفس الشهوانية وجودها مع شهواتها من غير منغص. وأتم أحوال النفس الحيوانية وجود غرضها من القهر والرياسة، وأتم أحوال النفس الناطقة وجودها مدركة لحقائق الأشياء بالعلم والمعرفة.

* * *

٤ ـ موقف الإمام ابن القيم من الحب:

يقول الإمام ابن القيم في كتابه روضة المحبين ونزهة المشتاقين:

اختلف الناس في العشق هل هو اختياري اضطراري خارج عن مقدور البشر؟ وفصل النزاع بين الفريقين أن مباديء العشق وأسبابه اختيار داخلة تحت التكليف [أي أن الأسباب الأولى للعشق اختيارية] فإن النظر والتفكر والتعرض للمحبة أمر اختياري فإذا أتى بالأسباب كان ترتب المسبب عليها بغير اختياره [أي أن النتيجة المترتبة على هذه الأسباب من وقوع المحبة غير اختيارية] ولهذا إذا حصل العشق بسبب غير محظور لم يُلم عليه صاحبه [أي أنه لو كانت الأسباب الأولى للعشق مباحة فإن وقع العشق بعد ذلك لا يلام عليه صاحبه كمن كان يعشق امرأته أو جاريته] وطبعًا يقاس على نفس الأمر من خطب امرأة أو أراد خطبتها ونظر منها ما يشجعه على خطبتها كما ذكرنا فيما سبق من حديث الرسول ﷺ: ثم فارقها ويبقى عشقها غير مفارق له فهذا لا يلام على ذلك" كما تقدم في قصة بريرة ومغيث] وكذلك إذا نظر نظرة فجائته ثم صرف بصره وقد تمكن العشق من قلبه بغير اختياره [ومن الواضح أن عليه مدافعته وصرفه عن قلبه بضده فإذا جاء أمر يغلبه فهنا لا يُلام بعد بذل الجهد في دفعه].

ويقول في موضع آخر:

"العشق لا يحمد مطلقًا ولا يذم مطلقًا، وإنما يحمد ويذم باعتبار متعلقه فإن الإرادة تابعة لمرادها والحب تابع للمحبوب فمتى كان المحبوب مما يحب لذاته أو وسيلة توصله إلى ما يحب لذاته لم تذم المبالغة في محبته، بل تحمد وصلاح حال المحب كذلك بحسب قوة محبته...

والعشق إذا تعلق بما يحبه الله ورسوله كان عشقًا ممدوحًا مثابًا عليه وذلك أنواع:

أحدها محبة القرآن.. وكذلك محبة ذكره سبحانه وتعالي.. وكذلك عشق العلم النافع وعشق أوصاف الكمال من الكرم والجود والعفة والشجاعة والصبر ومكارم الأخلاق...

بقى ها هنا أوصاف قسم آخر وهو عشق محمود يترتب عليه مفارقة المعشوق كمن يعشق امرأته أو أمته فيفارقها بموت أو غيره فيذهب المعشوق ويبقى العشق كما هو فهذا نوع من الابتلاء إن صبر صاحبه واحتسب نال ثواب الصابرين وإن سخط وجزع فاته معشوقه وثوابه وإن قابل هذه البلوى بالرضا والتسليم فدرجته فوق درجة الصبر".

ثم يذكر الإمام ابن القيم أن نصر بن حجاج بعد أن أخرجه عمر بن الخطاب من المدينة بسبب خوف افتتان النساء به لشدة جماله وأتى البصرة وكان يدخل على مجاشع بن مسعود وكانت له امرأة جميلة فأعجبها نصر، فأحبها وأحبته فكان يقعد هو ومجاشعًا يتحدثان والمرأة معهما. فكتب لها جواب كلام وكان مجاشع لا يكتب والمرأة تكتب فدعا بإناء فألفاه على المكتوب أي أنه طلب إناء كبير غطى به المكتوب على الأرض ودعا كاتبًا كي يقرأ له المكتوب فقرأه فإذا هو:

إني لأحبك حبًا لو كان فوقك لأظلك ولو كان تحتك لأقلك "أي لحملك ورفعك"

وبلغ نصرًا ما فعل مجاشع فاستحيا ولزم بيته وضنى جسمه حتى كان كالفرخ فقال مجاشع لامرأته: اذهبى إليه فأسنديه إلى صدرك وأطعميه الطعام بيدك فأبت فعزم عليها فأتته فأسندته إلى صدرها وأطعمته الطعام بيدها فلما تحامل خرج من البصرة.

إن الذين بخير كنت تذكرهم هم أهلكوك وعنهم كنت أنهاكا

لا تطلبن شفاءً عند غيرهم فليس يُحيك إلا من توفاكَ

فإن قيل "والكلام للإمام ابن القيم": فهل تبيح الشريعة مثل ذلك؟

قيل: إذا تعين طريقًا ونجاة العبد من الهلكة لم يكن بأعظم من مداواة المرأة للرجل الأخنين ومداواته لها ونظر الطبيب إلى بدن المريض ومسه بيده للحاجة. وأما

التـداوى بالجمـاع فلا تبيحه بوجه ما [أي بأي وجه] وأمـا التداوى بالضم والقبلة فإن تحقق الشـفاء به كان نظير التداوى بالخمر. عند من يبيحه، بل هذا أسهل من التداوى بالخمر فإن شربه من الكبائر وهذا الفعل من الصغائر، والمقصود أن الشفاعة للعشاق فيما يجوز من الوصال والتلاقي سنة ماضية وسعي مشكور" أهـ.

وأنـا أذكر هـذا الرأي للإمام ابن القيـم نكاية في المتنطعين الذيـن يريدون الحجر على الدين نفســه ومبالغة في الغيظ لهم، ومع ذلـك فإنني أختلف مع الإمام ابن القيم فيما ذهب إليه في هذا الرأي؛ لأن العشـق المتمكن الذي ندافع عنه هو عشـق روحي في الأساس وجراح ما هو روحي لا يكون دواؤه منه إلا فيما هو روحي أيضًا، فالقرب من المحبوب أو الأمل في القرب منه هو دواء اليأس القاتل في العشـق وليس التمتع الجسـدي بـه والنفع الذي حـدث في الحالة التي ذكرها ابن القيم سـببه في الأسـاس قرب المحبوب، وليس التمتع به والدليل الحاسـم علـى ذلك أنه لو خُير المحب بين هذا التمتع المؤقت مع الفراق والحرمان منه مع قرب المحبوب لاختار المحب تقديم الحرمان مع القرب على التمتع المؤقت مع الفراق بلا تردد. وإذا كان من قواعد الدين أن الديـن أو الضرورات تبيح المحظورات فإنـه من قواعده أيضًا أن الضرورة بقدرها وفى المثال السـابق فإنه كان يكفى أن يرى العاشـق المضني حبيبته في حشـمتها وأن تطلب منه أن يشـرب الدواء ويأكل الطعام والعاشـق الحقيقي لا يسـتطيع أن يرد طلبًا ممن يحب وماكان الأمر ليقتضي التجرؤ على حرمات الدين .. والله أعلم.

وأيـا كان موقفنـا فإنه من الخير للنـاس أن نظهر لهم مدى اجتهاد أئمة المسـلمين من أجل التيسـير عليهم واقرأوا معي هذه المسـألة للإمام ابن القيم لتدركوا أن التنطع والجمـود هـو أبعد مـا يكون عن الفهم الحقيقي لتناسـب أحكام الفقـه مع مقتضيات الظـروف المتغيـرة "نذكر ذلك حتى ولو كنا نختلف مع ما ذهـب إليه الإمام ابن القيم في هذه المسألة" يقول الإمام ابن القيم:

أما مسـألة من خاف تشـقق أنثيـه وأنه يباح لـه الوطء في رمضان فهـذا ليس على

إطلاقه، بل إن أمكنه إخراج مائه بغير الوطء لم يجز له الوطء بلا نزاع، وإن لم يمكنه ذلك إلا بالوطء المباح فإنه يجرى مجرى الإفطار لعذر المرض ثم يقضي ذلك والإفطار للمرضى لا يتوقف على خوف الهلاك فكيف إذا خاف تلف عضو من أعضائه القاتلة، بل هذا نظير من اشتد عطشه وخاف إن لم يشرب أن يحدث له داء من الأدواء أو يتلف عضو من أعضائه فإنه يجوز له الشرب ثم يقضي يومًا مكانه.

* * *

تعليق على موقف الإمام ابن القيم من الحب:

من يتابع الإمام ابن القيم في كتبه يجد أنه قد اهتم بالحب اهتمامًا عظيمًا حتى أنك لا تكاد تجد له كتابًا من كتبه الشهيرة إلا وقد تناول فيه هذا الموضوع منها: زاد المعاد _ إغاثة اللهفان _ الداء والدواء _ أخبار النساء. حتى توج ذلك بأن أفراد لهذا الموضوع مجلدًا كبيرًا هو كتابه "نزهة المشتاقين وروضة المحبين" ومع أن ابن القيم يدافع عن الحب دفاعًا عظيمًا إلا أن المتنطعين يجدون في كتبه أيضًا مادة عظيمة للاستناد عليها في اتهاماتهم للعشاق بأشنع التهم التي قد تصل إلى حد الكفر.

ومرد ذلك هو إلباسهم الحق بالباطل بتعميمهم ما خص به الإمام ابن القيم أنواعًا معينة من العشق بهذا الهجوم الشديد. فالعشق كما يقول الإمام ابن القيم لا يمدح مطلقًا ولا يذم مطلقًا. وإنما هو بحسب متعلقه من حيث الحل والحرمة. فإذا هاجم ابن القيم الأقسام المذمومة في العشق أخذوا هجومه الضاري هذا وهاجموا به العشق بوجه عام.

وإذا تحدثنا عما جاء في كتبه من آراء في هذا الموضوع قلنا: أنه في زاد المعاد أدرج الموضوع في باب الأمراض، ومن ثم فقد تناوله من ذلك الجانب من حيث التحذير من المخاطر التي تنجم عنه، وكذلك من حيث محاولة علاجه أو التخفيف من آثاره.

أما في إغاثة اللهفان فقد شن هجومه الضاري على العشق، ولكن مع ذلك فقد كان من الواضح لمن يبحث عن الحقائق في تناول الأمور أن هجومه هذا هو يرتبط بمدى شناعة الأمور المقصودة بهذا الهجوم وهي كما أوردها:

- شيوع ذلك الفعل الشنيع من عشق المردان "الصبيان" ومحاولة البعض التحايل على الشريعة وادعاء إباحته، وقد أكد الإمام ابن القيم على أن الفعل نفسه من

أكبر الفواحش، أما ادعاء إباحته فهو كفر صريح.

- أن يكون متعلق العاشق من المعشوق هو فعل الفاحشة فيه وفى الحقيقة فإن هذا النـوع من العشـق لا علاقة له بالموضوع الذي نتناوله فـي هذا الكتاب؛ لأن من به هذا التعلق الحســي والجرأة على فعل الفاحشــة لا يحتاج إلى أن يفرد له كتابًا كما أنه لا يحتاج أن يسمعنا أصلًا.
- أن يتحول الأمر إلى عبودية وإلى الدرجة التي يصرح فيها العاشـق لمن يعشقه؟ إنــي أعبدك وهذا أمر تالله عظيم ويخرج بالإنســان من دائـرة الإيمان والتوحيد إلى دائرة الكفران والشرك.

* * *

النصوص الإسلامية

التى جاءت في الحب

النصوص الإسلامية التي جاءت في الحب

عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن رجلًا قال:

- يا رسول الله! في حجري يتيمة قد خطبها رجل موسر ورجل معدم فنحن نحب الموسر وهي تحب المعدم. فقال رسول الله ﷺ:

"**لم نر للمتحابين مثل النكاح**".

قال الألباني: الحديث أخرجه ابن ماجة والحاكم والبيهقي والطبراني وغيرهم وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. صحيح السلسلة الصحيحة ٦٢٤ صحيح ابن ماجه ١٤٩٧.

- قال عمرو بن العاص: بعثني رسول الله ﷺ على جيش وفيهم أبو بكر وعمر فلما رجعت:

قلت: يا رسول الله من أحب الناس إليك؟

قال: عائشة.

قلت: إنما أعني من الرجال.

قال: أبوها.

الحديث: صحيح رواه البخاري ومسلم.

- قالت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا:

أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة بنت النبي ﷺ فدخلت وهو مضطجع معي في مرطي؛ فقالت: يا رسول الله! إن أزواجك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة "المقصود السيدة عائشة" وأنا ساكتة فقال رسول الله ﷺ:

ألست تحبين ما أحب؟!

قالت: بلى.

قال: فأحبي هذه.

الحديث: رواه مسلم ولانسائي.

■ وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ويقول: اللهم هذا فعلي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك.

الحديث: رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه.

■ عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: "قال لى رسول الله ﷺ: أريتك في المنام يجيء بك الملك في سرقة من حرير فقال لي: هذه امرأتك فكشفت عن وجهك الثوب فإذا أنت هي فقلت: إن يك هذا من عند الله يُمضيه".

رواه البخاري.

قال الزهري: "أول حب كان في الإسلام حب النبي ﷺ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وكان مسروق يسميها: حبيبة رسول الله ﷺ".

روى ذلك الإمام ابن القيم في نزهة المتسابقين ص: ٢٧٧.

■ قال أبو هريرة رضي الله عنه كنت مع النبي ﷺ فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار فقال رسول الله ﷺ: أنظرت إليها؟

قال: لا.

قال: فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئًا.

الحديث: رواه مسلم والنسائي والطبراني.

■ وعنه ﷺ أنه قال:

"إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل".

الحديث: رواه أبو داود والطحاوى وأحمد وابن ماجه.

■ وعن سهل بن أبي خيثمة أنه قال: رأيت محمد بن مسلمة يطارد بثينة بنت الضحاك فوق أجنار لها ببصره طردًا شديدًا فقلت: أتفعل هذا وأنت من أصحاب رسول الله ﷺ؟!

فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا أُلقي في قلب امريء خطبة امرأة لا بأس

أن ينظر إليها".

الحديث: رواه أحمد وابن ماجه والطحاوي.

■ وفي الصحيح: كان مغيث يمشي خلف زوجته بريرة بعد فراقها له وقد صارت أجنبية عنه ودموعه تسيل على خديه: فقال النبي ﷺ:

يا ابن عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثًا! ثم قال لها: لو راجعته.

فقالت: أتأمرني؟!

فقال: إنما أنا شافع.

قالت: لا حاجة لي فيه.

الحديث رواه البخاري.

■ قال الإمام ابن حجر العسقلاني "شارح البخاري تعليقًا على هذا الحديث:

فيه أن فرط الحب يذهب الحياء لما ذكر من حال مغيث وغلبة الوجد عليه حتى لم يستطع كتمان حبها، وفي ترك النكير عليه بيان جواز قبول عذر من كان في مثل حاله ممن يقع منه ما لا يليق بمنصبه إذا وقع بغير اختياره.

فتح الباري ج ٩ ص ٣٢٥.

وقال الإمام الصنعاني في تعليقه عليه أيضًا:

ومما ذكر في قصة بريرة أن زوجها كان يتبعها في سكك المدينة ينحدر دمعه لفرط محبته لها قالوا [يقصد العلماء]: فيؤخذ منه أن الحب يذهب الحياء وأنه يعذر من كان كذلك إذا كان بغير اختيار منه.

سبل السلام: ج ٣ ص ٢٧٨.

■ شكا إلى النبي ﷺ رجل أن امرأته لا ترد يد لامس فقال: طلقها.

قال: إني أخاف أن تتبعها نفسي.

فقال: استمتع بها.

الحديث رواه الإمام أحمد والنسائي.

قال الإمام ابن كثير تعليقًا على هذا الحديث: رواه النسائي وأبو داود عن الحسين بن حريث أخبرنا الفضيل بن موسى أخبرنا الحسين بن واقد عن عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ فذكره وهذا الإسناد جيد، ثم ذكر في تفسير الحديث: قال ابن قتيبة إنما أراد إنها سخية لا تمنع سائلًا وحكاه النسائي في سننه عن بعضهم فقال: وقيل سخية تعطي. ورُدّ هذا بأنه لو كان المراد لقال لا تردّ ملتمس. وقيل المراد أن سجيتها لا ترد يد لامس لا أن المراد أن ذلك واقع منها وأنها تفعل الفاحشة فإن رسول الله ﷺ لا يأذن في مصاحبة من هذه صفتها فإن زوجها والحالة هذه يكون ديوثًا وقد تقدم الوعيد على ذلك، ولكن لما كانت سجيتها هكذا ليس فيها ممانعة ولا مخالفة لمن أرادها لو خلا بها أحد أمره رسول الله ﷺ بفراقها فلما ذكر أنه يحبها أباح له البقاء معها؛ لأن محبته لها محققة ووقوع الفاحشة منها متوهم فلا يصار إلى الضرر العاجل لتوهم الآجل.. والله سبحانه وتعالى أعلم"[١].

- راجع تفسير سورة النور لابن كثير. الحديث: رواه البخاري والنسائي وابن ماجة.

- وفي الحديث الشهير جدًا الذي يروي فيه الرسول ﷺ قصة الثلاثة الذين أواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالى بصالح أعمالكم فدعا الأول بما يعني تفانيه في خدمة والديه ابتغاء وجه الله فانفرجت الصخرة شيئًا لا يستطيعون الخروج منه ودعا الثالث بما يعني أنه استثمر أمانة عنده فربحت أموالًا طائلة، وعلى الرغم من ذلك رد الأمانة وما ربحت من الأموال الطائلة لصاحبها ابتغاء وجه الله فانفرجت الصخرة حتى خرجوا يمشون من المغارة، ولكن الذي يهمنا هنا في هذه القصة الشهيرة التي رواها الرسول نفسه ﷺ هو ما يتعلق بالرجل الثاني: ماذا دعا الله تعالى بصالح أعماله؟ قال الرسول ﷺ:

قال الآخر: اللهم كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إليّ "وفي رواية كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء" فأردتها على نفسها [أي أراد مواقعتها] فامتنعت مني حتى

١- راجع تفسير سورة النور لابن كثير.

ألمت بها سنة من السنين [أي ضاقت بيا الظروف لمصيبة أصابتها] فجاءتني فأعطيتها عشرين ومئة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها [أي تسلم له نفسها] ففعلت حتى إذا قدرت عليها "وفي رواية: فلما قعدت بين رجليها" [وأنا لا أتحرج هنا أن أقول للقارىء أن ينتبه للغاية لمعنى هذا الذي يرويه الرسول ﷺ لأهميته الشديدة] قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه [أي لا تذيل غشاء البكارة إلا بعقدة الزواج] فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليّ وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة.

الحديث متفق عليه أي رواه البخاري ومسلم.

- قال رجل لعمر بن الخطاب ﷺ: يا أمير المؤمنين إني رأيت امرأة فعشقتها فقال عمر: ذاك مما لا يُملك رواية ابن حزم بسنده في طوق الحمامة.
- قال عمر بن الخطاب: لو أدركت عفراء وعروة لجمعت بينهما.

رواه ابن الجوزي بسنده: وعروة عاشق عذري وعده عمه بالزواج من ابنته عفراء بعد عودته من سفره للتجارة ثم زوجها لرجل من الأثرياء.

- قال هشام بن عروة عن أبيه: مات عاشق فصلى عليه زيد بن ثابت "أحد المبشرين بالجنة وأحد كُتّاب الوحي وجامع القرآن الكريم" فقيل له في ذلك فقال: إني رحمته.

رواية ابن القيم في روضة المحبين ونزهة العاشقين.

- يروي ابن حزم في طوق الحمامة: أنه قد جاء من فتيا ابن عباس في العشق ما لا يحتاج معه إلى غيره حين يقول:

هذا قتيل الهوى لا عقل ولا قود.

* * *

الأحكام العامة المأخوذة من النصوص

١ ـ أن الحب شيء لا يُملك وإنما هو أمر بيد الله فإذا كان، هو كذلك فكيف يحاسبنا الله على أمر يملكه هو ولا نملكه نحن.

٢ ـ ورود لفظ الحب كثيرًا على لسان الرسول ﷺ في مناسبات مختلفة يعني أنه لم يكن شيئًا يعيب الحديث عن ذلك.

٣ ـ أن الرسول ﷺ أحب السيدة عائشة حبًا مختلفًا عن باقي أزواجه من أمهات المؤمنين وأخبر عن ذلك أنه شيء يملكه الله ولا يملكه هو ﷺ إذن فالحب في ذاته ليس حرامًا ولا عيبًا ولا مرضًا ولا ضعفًا من وجهة نظر الإسلام؛ لأنه لا يجوز أي شيء من ذلك على الرسول ﷺ.

٤ ـ أن الرسول ﷺ وجه أصحابه عند انتوائهم لخطبة أحد من النساء أن ينظروا إليها وأن المقصود بذلك النظر المتتابع حتى ولو كانت لا تعلم ذلك، فكان من الصحابة من يطاردها بعينه طردًا شديدًا، وكان هناك من يختبيء لها وراء شجرة. ومما لا شك فيه أن ذلك النظر المتتابع قد يؤدي إلى الحب من الطرف الناظر وقد لا تتم الخطبة، رفض أهل الطرف الآخر ولظرف غالبًا ما يكون أو تتم الخطبة فتدعم الحب لدى الطرف الناظر "وهناك فروض أخرى لا داعي للاستطراد فيها" وقد لا يتم الزواج وينقض الموضوع كله. فهل في هذه الحالة يكون شعور الطرف الأول بالحب وهو أمر لا يملكه حرامًا مهما كان مصير الطرف الآخر؟ لا يمكن أن يجيب عاقل عن ذلك إلا بالنفي؛ لأن الله لا يحاسبنا على ما لا نملك.

٥ ـ حديث مغيث وبريرة يحسم أمورًا كثيرة:

أولًا: أن الرسول ﷺ تعاطف مع المحب ولم ينهه عن حبه.

ثانيًا: أن الرسول ﷺ بلغ تعاطفه من المحب أن تشفع له بنفسه عند من يحب

"وهذا أمر تثقل به الجبال".

ثالثًا: أن الرسول ﷺ لم ينه مغيثًا عن حبه لبريرة حتى بعد أن رفضت بريرة الزواج منه أي أنه لم يحرم حبه لها، وكيف يحرم هذا الأمر وهو يقول عنه أنه لا يملك؟!

رابعًا: إن مغيث كان يمشي وراءها ويبكي وليس من المعقول أنه كان يمشي وراءها مغمض العينين إذا هو كان ينظر إليها ويراها ولم ينهه الرسول ﷺ عن ذلك وهو أمر لم يتركه [إلا مع هذا المحب وهو أمر يرتبط بالمحب ارتباطًا لا إراديًا فلا يستطيع المحب أن يمر من يحبه أمامه ولا ينظر إليه.

خامسًا: أن قول الرسول ﷺ لابن عباس: "ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثًا" قول لا يكاد أن يكون له مثيل أفلا يكون ذلك سندا لنا على أن الحب أمر عجيب وسر من أسرار الله؟! وسنعود إلى هذا الحديث في أمور أخرى إن شاء الله".

٦ ـ أيًا كان تفسير العلماء لما حُكي عن زوجة الرجل التي "لا ترد يد لامس" فالحد لأدنى للتفسير أن الرجال يتحسسون جسدها وتسكت عن ذلك، وهذا أمر تستشيط له العقول، ومع ذلك أقر الرسول ﷺ الرجل على زوجته عندما قال له: أخاف أن تتبعها نفسي. وفى هذا تقرير رائع من الرسول "هو أهله" لحالة هذا المحب فسمح له بهذا الأمر الشديد الجسامة أي أن حالة الحب "التي لا تملك" تضع خصوصية في الأحكام الشرعية بحسب الضرورة "والضرورة تقدر بقدرها" فدفع الرسول الضرر الأكبر الذي به تذهب نفس الرجل "سواء بالموت أو الجنون" بالسماح بالتمسك بامرأته التي لا ترد يد لامس بما في ذلك من ضرر كبير للغاية.

ودفع الضرر الأكبر بالضرر الأقل منه قاعدة شرعية يصطلح عليها الفقهاء.

٧ ـ ولأن الرسول ﷺ يرى أنه ليس للمتحابين مثل الزواج فإنه ليس فقط يفضل للفتاة المسلمة خطبة المعدم الذي تحبه على الموسر الذي يريده أهلها.

ولكنه في حديث آخر يهدر نكاح الأب زوج ابنته لشخص هي كارهة له وإهدار

الرسول لهذا الزواج يعني أنه جعله كأن لم يكن وزوجها ممن تحب.

ولو قلنا نحن هنا بعد أربعة عشر قرن مما فعله الرسول ﷺ لو قلناه فقط باللسان ولم نفعل ما فعل "مع أننا مأمورون باتباع ما يفعل" لأهدر الناس دمنا واتهمنا المتنطعون بالفسق والفجور ولذلك فإن الذي يجب أن يتعلمه المسلمون أن ارتقاءهم الحضاري ليس فيما يفعله الناس كلما مضت القرون ولكن يجيء كلما اقتربوا أكثر من عصر الرسول ﷺ واقتدوا بما فعله هو وأصحابه والوعي الحقيقي بالإسلام هو أن يكون الاقتداء بهم أساسًا في مواقفهم من هذه القضايا الكبرى التي تصنع مصائر البشر وليس مجرد الاقتداء بهم في الأمور الشكلية فقط.

٨ ـ قول الرسول ﷺ: "الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف" يقرر حقيقة قامت عليها النظرية الإسلامية في الحب في التراث الإسلامى كله وهى حقيقة أن الحب يقوم على المشابهة الروحية" بين المحب والمخبوب على قدر من الخلاف بين أئمة المسلمين في تفسير هذه النظرية وهو أمر سنخصص له فصلًا.

٩ ـ تفسير بعض السلف قوله تعالى إخبارًا عن المؤمنين: {رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ} [البقرة: ٢٨٦]. بالعشق كما أخبر بذلك ابن القيم في "روضة المحبين ونزهة المشتاقين"؛ لأن العشق مما لا طاقة للعبد له كلام فيه نظر؛ لأننا لو دققنا في الأمر لوجدنا أن المقصود ليس الحب في ذاته ولكن وجود الحب مع الحرمان من المحبوب؛ لأننا كما ذكرنا في البند الثاني أن الأحاديث أثبتت أن الرسول ﷺ كان يحب فكيف يتفق ذلك مع دعوة المؤمنين لله بألا يحملهم ما لا طاقة لهم به ولم يكن الله ليحمل الرسول ﷺ ما لا طاقة له به، إذن المقصود هو ألا يحملهم الله الحب مع الحرمان من الحبيب فذلك هو ما لا طاقة للإنسان به فليس هناك من يدعو الله بألا يحمله الحب مع وجود المحبوب، ولكن ألا يحمله الحب مع الحرمان من المحبوب،

ولم تكن هناك مشكلة لدى مغيث في حب بريرة وهو زوجها، ولكن المشكلة أتت مغيثًا من استمرار حبه لها وهو أمر لا يملكه في الوقت الذي قد فقدها فيه.

١٠ _ حديث عائشة "أريتك في المنام" يعني أن الرسول ﷺ أحب عائشة قبل أن يتزوجها.

١١ _ ذكرت الأحاديث عن المرأة أنها تحب وتريد أن تتزوج ممن تحب ولا عيب في ذلك، وكلنا نذكر تقدم السيدة خديجة لخطبة الرسول ﷺ.

١٢ _ أما حديث الثلاثة أصحاب الغار فله دلالات كثيرة سنذكرها إن شاء الله تعالى في فصل الرد على الأستاذ عبد الله علوان.

* * *

الحب والعبودية وأحكام أخرى متعلقة بالحب

من قال لمحبوبه: "أعبدك" فقد كفر.

أما من قال له: أنا عبدك فهو على نيته فإن كان يقصد من ذلك أنه بمثابة المملوك له لم يكفر وإن كان ذلك لا يتفق وعزة النفس في الإسلام.

أما إن كان يقصد من قوله ذلك أن محبوبه إلهه وأنه عبد لهذا الإله فقد كفر.

وإن أطاع محبوبه فيما يخالف شرع الله مع اعتقاده ببطلان ذلك فقد عصى وإذا أطاع محبوبه فيما يخالف شرع الله وهو يعتقد بصحة ذلك أي أنه مقتنع بصحة تقديم ما يريده محبوبه على ما يريده الله فقد كفر. وعلى القاريء أن يراجع العلاقة بين تقديم طاعة الغير على طاعة الله بالشرك والكفر في رسالة العبودية للإمام ابن تيمية على وجه الخصوص، وكذلك كتب العقيدة الأخرى مثل:

- معارج القبول: لحافظ بن أحمد حكمي.
- شرح العقيد الطحاوية: للعز الحنفي.
- فتح المجيد: لآل الشيخ.

وللحب أنواع مختلفة..

ولا تعارض بين هذه الأنواع بحيث تؤدى شدة هذا النوع من الحب إلى ضعف ذاك، فلا تعارض بين حب الله وحب ذوى القربى وحب الإخوة وحب العلم وحب الحبيبة بحيث يُقال أن شدة حب الحبيبة يؤدي إلى ضعف حب الله أو حب العلم مثلًا، بل إن كل الأنواع من الحب باستثناء حب الله فروع من شجرة الروحانية.

أما حب الله فيعتبر بمثابة الساق التي تغذي كل أنواع الحب الأخري.

* * *

ما قاله ابن القيم وابن الجوزي

فى شفاعة الصحابة للمحبين

هـذا الفصل ليس فيه أدنى تدخل منى وإنما هـو على غرابته "طبعًا بمنظور الجهل الـذي نعيش فيه في هـذا العصر" مأخوذ حرفيًا من كتابـى الإمامين ابن الجوزي وابن القيـم "ذم الهوى، ونزهة المشـتاقين" فمن أراد أن يوجه اللوم اعترضًا على ما جاء فيه فـلا يوجهه لنا، وإنمـا يوجهه إلى هذين الإمامين العظيمين اللذيـن يندر أن نجد لهما شبيهًا في فهم الإسلام والحفاظ على أحكامه على امتداد التاريخ الإسلامى كله.

قال الله تعالي: {مَنْ يَشْـفَعْ شَـفَاعَةً حَسَـنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْـفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا} [النساء: ٨٥].

وكل من أعان غيره على أمر بقوله أو فعله فقد صار شفيعًا له، فدخل في حكم هذه الآية كل متعاونين على خير أو شر. بقول أو عمل. ونظيرها قوله تعالي:

{وَتَعَاوَنُـوا عَلَـى الْبِرِّ وَالتَّقْـوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُـدْوَانِ} [المائدة: ٢]. وفى الصحيح عنه ﷺ أنه كان إذا جاءه طالب حاجة يقول: "اشـفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسـان رسـوله ما أحب"، وفى صحيح البخاري أن بريرة لما أعتقت اختارت نفسـها فكان زوجها يمشـى خلفها ودموعه تسـيل على لحيته، فقال لها النبي ﷺ: لو راجعتيـه فإنـه أبو ولـدك فقالت: أتأمرني؟. قـال: لا إنما أنا شـافع. فقالت: فلا حاجة لى فيه والحديث رواه الشـيخان وأبو داود والترمذى والنسـائي فهذه شـفاعة من سيد الشـفعاء لمحب لـدى محبوبته، وهى من أفضل الشـفاعات وأعظمها أجـرًا عند الله فإنها تتضمن اجتماع محبوبين على ما يحبه الله ورسوله، ولهذا كان أحب ما لإبليس وجنوده التفريق بين هذين المحبوبين. وتأمل قوله تعالى في الشفاعة الحسنة {يَكُنْ لَهُ

نَصِيبٌ مِنْهَا} وفى السيئة {يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا}. فإن لفظ الكفل يشعر بالحمل والثقل، ولفظ النصيب يشعر بالحظ الذي ينصب طالبه في تحصيله، وإن كان كل منهما في الأمرين عند الانفراد، ولكن لما قرن بينهما حسن اختصاص حظ الخير بالنصيب وحظ الشر بالكفل.

وفى صحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلا على عهد رسول الله ﷺ زوّج ابنة له وكان خطيبها قبل ذلك عم بنتها، فبلغ النبي ﷺ أنها كارهة هذا الذي زوّجها أبوها، وأنه كان يعجبها أن يتزوجها عم بنتها، فأهدر النبي ﷺ نكاح أبيها وزوّجها عم بنتها والقصة في البخاري والنسائي وابن ماجة وقد تقدم حديث عمرو بن دينار، عن طاوس، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رجلا قال: يا رسول، في حجرى يتيمة قد خطبها رجل موسر ورجل معدم، فنحن نحب الموسر وهي تحب المعدم. فقال رسول الله ﷺ: "ليس للمتحابين مثل النكاح" رواه سليمان بن موسى ﷺ.

وقد جاء عن غير واحد من الخلفاء الراشدين ومن بعدهم أنهم شفعوا هذه الشفاعة.

فقال الخرائطي: حدّثنا عليّ بن الأعرابي، حدثنا أبو غسان النهدى قال: مر أبو بكر الصديق ﷺ في خلافته بطريق من طرق المدينة فإذا جارية تطحن برحاها وهى تقول:

وهَويتُه مِن قبل قطع تمائمى ... متمايسًا مثل القضيب الناعم

وكأنَّ نُورَ البدْرِ سُنَّة وَجْهِهِ ... يَنْمِي وَيصعد في ذُؤابة هاشم

فدق عليها الباب فخرجت إليه فقال: ويلك أحرة أم مملوكة؟

فقالت: بل مملوكة يا خليفة رسول الله ﷺ، قال: فمن هويت؟

فبكت ثم قالت: بحق الله إلا انصرفت عني، قال: لا أريم أو تعلمينى فقالت:

وأنا التي لعب الغرام بقلبها ... فبكت لحب محمد بن القاسم

فصار إلى المسجد وبعث إلى مولاها فاشتراها منه، وبعث بها إلى محمد بن القاسم

بن جعفر بن أبي طالب وقال: هؤلاء فتن الرجال، وكم قد مات بهن من كريم، وعطب عليهن من سليم.

ويذكر عن عثمان بن عفان أنه جاءته جارية تستعدي على رجل من الأنصار فقال لها عثمان: ما قصتك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين كلفت بابن أخيه، فما أنفك أراعيه، فقال له عثمان: إما أن تهبها لابن أخيك أو أعطيك ثمنها من مالي، فقال: أشهدك يا أمير المؤمنين أنها له.

وأتي على بن طالب بغلام من العرب وجد في دار قوم بالليل فقال له: ما قصتك؟ فقال: لست بسارق ولكني أصدقك.

تعلقت في دار الرياحي بخودة يذل لها من حسنها الشمس والبدر
لها في بنات الروم حسن ومنصب إذا افتخرت بالحسن صدقها الفخر
فلما طرقت الدار من حر مهجة أتيت وفيها من توقدها جمر
تبادر أهل الدار لي ثم صيحوا هو اللص محتومًا له القتل والأسر

فلما سمع علي شعره رق له وقال للمهلب بن رباح: اسمح له بها ونعوّضك عنها، فقال: يا أمير المؤمنين سله من هو لنعرف نسبه؟ فقال: النهّاس بن عيينة العجلي، فقال: خذها فهي لك.

وذكر التميمي في كتابه "امتزاج النفوس" أن معاوية بن أبي سفيان اشترى جارية من البحرين فأعجب بها إعجابًا شديدًا فسمعها يومًا تنشد أبياتًا منها:

وفارقته كالغصن يهتز في الثرى طريرًا وسيمًا بعد ما طر شاربه

فسألها فقالت: هو ابن عمي، فردها إليه وفى قلبه منها.

وذكر الخرائطى أن المهدى خرج إلى الحج حتى إذا كان بزُبالة جلس يتغذّى فأتى بدوي فناداه: يا أمير المؤمنين إني عاشق، قال: أدخوله، فأدخلوه عليه فقال: مَن عشيقتك؟ قال ابنة عمي، قال: أَوَ لها أب؟ قال: نعم، قال: فما له لا يزوّجك إياها؟ قال: إنه عندنا عيب، فأرسل في طلب أبيها فأتى به، فقال: هذا ابن أخيك؟ وكان من

ولـد العباس عنده جماعة، فقال: هؤلاء كلهـم بنو العباس وهم هُجُن ما الذي يضرّهم من ذلك؟ قال: هو عندنا عيب، فقال له المهدي: زوجه إياها على عشرين ألف درهم، عشـرة آلاف للعيـب، وعشـرة آلاف مهرها، قال: نعـم فحمد الله وأثنـى عليه وزوجه إياها، فأتي ببدرتين فدفعهما إليه فأنشأ الشاب يقول:

إبْتَعـتُ ظَبْيَـة بالغَـلاءِ وإنمـا يُعْطِـي الغلاء بمثلهـا أمثالي
وتركـت أسـواق القِباح لأهلها إن القِبـاح وإن رَخُصْـنَ غَوَالِي

وعـرض خالد بن عبد الله القسـرى سـجنه يومًـا وكان فيه يزيد بن فـلان البجلي، فقال له خالد: في أي شيء حُبست يا يزيد؟ قال: في تهمة _ أصلح الله الأمير _ قال: أفتعـود إن أنا أطلقتك؟ قال: نعم، وكره أن يعرّض بقصته لئلا يفضح معشـوقته، فقال خالـد: أحضـروا رجال الحي حتى نقطع يده بحضرتكم، وكان ليزيد أخ فكتب شـعرًا ووجه به إلى خالد:

أخالد قد أعطيـت في الخلق رتبة وما العاشـق المسكين فينا بسارق
اقـر بمـا لـم يأتـه المـرءُ إنـه رأى القطع خيرًا من فضيحة عاشق
ولولا الذي قد خفت من قطع كفه لألفيت في شـأن الهوى غير ناطق
إذا بـدت الرايات للسـبق في العُلى فأنـت ابـن عبـد اللـه أول سـابق

فلمـا قرأ خالد الأبيات علم صدق قوله، فأحضر أولياء الجارية فقال: زوّجوا يزيد فتاتكـم، فقالـوا: أما وقد ظهر عليه ما ظهر فلا، فقال: لئن لم تزوّجوه طائعين لتزوجته كارهين، فزوّجوه ونقد خالد المهر من عنده.

وذكر الزمخشـرى في "ربيع الأبرار" أن زُبيدة بنت أبي جعفر قرأت في طريق مكة على حائط:

أمـا فـي عبـاد اللـه أو فـي إمائه كريم يجلي الهم عن ذاهب العقل
لـه مـقـلـة أمـا الـمـآقـي فقرحة وأما الحشا فالنار منه على رجل

فـنـذرت أن تحتال لقائلهمـا حتى تجمع بينه وبين من يحبـه، قالت: فإني لبمزدلفة

إذا سمعت من ينشدهما، فاستدعيت به فزعم أنه قالهما في بنت عم له وقد حلف أهلها ألا يزوجوها منه، فوجهت إلى الحي وما زالت تبذل لهم المال حتى زوجوه. وإذا المرأة أعشق من الرجل، [أي أكثر عشقًا من الرجل] فكانت زبيدة تعده في أعظم حسناتها وتقول: ما أنا بشيء أسر مني بجمعي بين ذلك الفتى والفتاة.

قال الزمخشري: وَهَوِيَ أحمد بن أبي عثمان الكاتب جارية لزبيدة اسمها "نعم" حتى مرض وقال فيها أبياتًا منها:

وإني ليُرضيني المرور ببابها   وأقنع منها بالشتيمة والزجر

فوهبتها له.

وذكر الخرائطي أنه كان لبعض الخلفاء غلام وجارية من غلمانه وجواريه متحابين، فكتب الغلام إليها يومًا يقول:

ولقد رأيتك في المنام كأنما   عاطيتني من ريق فيك البارد
وكأن كفك في يدي وكأننا   بتنا جميعًا في فراش واحد
فطفقت يومي كله متراقدًا   لأراك في نومي ولستُ براقد
ثم انتبهت ومعصماك كلاهما   بيدي اليمين وفي يمينك ساعدي

فأجابته الجارية:

خيرًا رأيت وكل ما أبصرته   ستناله مني برغم الحاسدِ
إني لأرجو أن تكون معانقي   فتبيت مني فوق ثدي ناهدِ
وأراك بين خلاخلي ودمالجي   وأراك بين ترائبي ومجاسدي
ونبيت ألطف عاشقين تعاطيا   طرف الحديث بلا مخافة راصدِ

"والدمالج هي الحلى التي تحيط ابالعضد والترائب بعض عظام الصدر والمجاسد هي الأثواب الملامسة للجسد".

فبلغ الخليفة خبرهما فأنكحهما وأحسن إليهما على شدة غيرته.

وقال أبو الفتوح بن الجوزي رحمه الله تعالي: سمع المُهلب فتى يتغنى بشعر في

جارية له فقال المهلب:

لعمرى إنـي للمحبين راحم وإني بستر العاشقين حقيق

سأجمع منكم شمل ود مبدد وإنـي بما قد ترجـوان خليق

ثم وهبها له ومعها خمسة آلاف دينار.

وقال الخرائطي: كان رجل نخاس عنده جارية لم يكن له مال غيرها، وكان يعرضها في المواسـم فتغالى الناس فيها حتى بلغت مبلغًـا كثيرًا من المال وهو يطلب الزيادة، فعلقهـا [أي أحبهـا] رجـل فقير فكاد عقـلـه أن يذهب، فلما بلـغــه ذلـك وهبها له، فعوتب في ذلك فقال: إني سـمعت الله تعالى يقول: {وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} [المائدة: ٣٢]. أفلا أحي الناس جميعًا؟

وكان أبو السـائب المخزومـي أحد القراء والفقهـاء، فرؤي متعلقًا بأسـتار الكعبة وهـو يقول: اللهم ارحم العاشـقين، واعطـف عليهم قلوب المعشـوقين. فقيل له في ذلك فقال: الدعاء لهم أفضل من عمرة من الجعرانة. "موضع بين مكة والطائف".

ويروي ابن الجوزي بسنده عن عمر بن الخطاب أنه قال: لو أدركت عروة وعفراء لجمعت بينهما.

* * *

ماذا كتب السيد عبد اللّٰه ناصح علوان

عن موقف الإسلام من الحب

ماذا كتب السيد عبد اللّه ناصح علوان

عن موقف الإسلام من الحب والرد عليه

هـل مـن الممكن أن نقـارن بين أعلام الفكـر الأوائل في التاريخ الإسـلامى وبين المفكرين في هذا العصر الحالي؟

فى الحقيقة فإنني أحد التمحسرين على هؤلاء الأعلام القمم وأجد نفسي وأنا في الأعوام الأخيرة من القرن العشـرين أوجه عشـاق الحقيقة إلى التعلم من هؤلاء الذين تعمقوا في حقائق الأمور فظل وعيهم بها حتى الآن أكثر هداية للناس من مفكري هذا العصر الذي نعيشه، الذين لا يكتبون إلا ما يراد منهم أن يكتبوا، بل ولا يفكرون أصلا إلا فيما يُراد أن يفكروا ولم يكتسـبوا هذه الصفة "صفة المفكر" لا لشـيء إلا لأن من وراءهم من السياسيين الذين أرادوا لهم هذا الدور قد ألصقوا بهم تلك الصفة.

إن الشروط التي لا يمكن التنازل عنها في المفكر لكي يكون كذلك أن يكون على وعي عميق بتراثه الإسـلامى وبالتراث الفكري الإنساني بوجه عام وعلى التوازي من ذلك يكون ذا تجربة إنسـانية عميقة صقلت بالخبرات الإنسـانية المكثفة من الغوص في نفوس الناس والتعمق في أحوالهم ومشاكلهم والتعمق أيضًا في دقائق الأمور في العلاقات البشرية المعقدة.

إنها مهمة شديدة التعقيد ولكن لها أهلها الذين أرادهم الله لذلك.

وليـس الأمـر مجرد عبقرية وإن كانت العبقرية شـرطًا لازمًا لا بـد منه لتحمل هذه المسـئولية، ولكـن بالإضافة إلـى ذلك لا بد من الوعي بالدور الرسـالي الذي يقوم به الفمكر بما يعنيه ذلك من تحمل للجهاد الشاق الذي يقتضيه هذا الدور.

إقـرأ لابن حـزم وابن تيمية وابـن القيم وابن خلـدون تدرك الوعى الشـديد بعلوم

دينهم وبالتراث الإنساني بوجه عام وتدرك أيضًا مدى وعيهم بالخبرات الإنسانية المكثفة.

اقرأ لأولئك المعاصرين الذين أشرت إليهم لا تجد شيئًا من ذلك وإنما الأمر لا يعدو سوى تطبيقات هندسية متوقعة لمواقف سياسية مسبقة وإنني لأجد فيما كتبه السيد عبد الله ناصح علوان عن الإسلام والحب خير نموذج لما أتحدث عنه.

ومن يضطلع بالكتابة عن موضوع كهذا لا بد أن يقدم الدراسة المتعمقة المتشعبة التي يتطلبها هذا الموضوع، فماذا قدم السيد عبد الله ناصح علوان؟!

أنك إذا أردت أن تشوه اتجاهًا ما فما عليك إلا أن تتخذ الشاذين فيه النماذج التي يحاكم على أساسها هذا الاتجاه أما الصالحون فيه فعليك أن تلتمس لهم السقطات التي لا يكاد لا يقع فيها بشر ثم تجعل من هذا وذاك حجتك في تشويه الاتجاه بالكامل واتهام أهله بكافة التهم وهذا ما فعله السيد عبد الله علوان[*] بالضبط.

لقد عرف الحب العذري بأنه: "أن يحب الرجل امرأة حبًا خالصًا عفيفًا منزهًا عن الشهوة، بعيدًا عن الخنا، مجردًا من الفحش وبالاختصار أن يحبها للحب دون غرض وأن يُتيَّم بها لخصال رآها دون شهوة والدافع لهذا الحب عند كثير من الأدباء هو التقوى وبتأثير من مفهوم الحب في الإسلام".

فهل شفعت تلك العفة وتلك التقوى عند العشاق العذريين لدى السيد عبد الله ناصح علوان؟

أبدًا لقد جردهم لأبسط الأسباب من كل عفة وتقوى ووصمهم بأقبح الصفات التي من بينها التحلل والفجور والخنوع والهوس والجنون.

ويبدو أنهم كذلك لا شيء إلا لأمر واحد! هو أنهم لا يصلحون لأن يكونوا أفرادًا آليين في التنظيم السياسي الذي يتصوره لنهضة الإسلام في هذا العصر.

---

* أستاذ عبد الله علون رحمة الله عليه مرب فاضل وله مؤلفات كثيرة جيدة كداعية ولكن المشكلة التي نؤاخذه عليها هنا أنه قد تعرض لهذا الموضوع الشائك الذى يقتضي شروط فكرية خاصة لمن يتعرض له. ولم نكن نعلم بوفاته حين صدور هذا الكتاب فى طبعته الأولى.

ندع السيد عبد الله علوان يعبر عن رأيه أولًا فهو يتساءل: "هل كل من كثيّر عزة، وجميل بثينة وقيس لبنى ومجنون ليلى وعبد الرحمن القس وعروة.. هل كل واحد من هؤلاء كان في حبه عذرِيا وهل كان في علاقته مع محبوبته إنسانًا عفيفًا تقيًا؟

الجواب حتمًا لا؛ فما أكثر ما احتال العشاق الذين رفعوا لواء الحب العذري ليدخلوا بيوتًا غير بيوتهم فيقضوا فيها وجهًا من الليل أو طرفًا من النهار يسمرون ويتحدثون مع عشيقاتهم في بيوت أزواجهن حينًا وفى خلوات الفلاة أحيانًا وفى أماكن خاصة يتواعدون فيها تارة وفى مناسبات يلتقون فيها تارة أخرى.. وربما أدى الأمر بهؤلاء العشاق إلى أحوال من قضاء الوطر والولوغ في الحرام بما لا يتفق مع خلق ولا مع دين!! وما أكثر ما أرسل أحدهم رسولًا للإيقاع بين المحب ومحبوبته وزرع العداوة والشحناء بينهما كالذي يروى عن سعى كثير بين جميل وبثينة وسعى قيس بن ذريح بين المجنون [يقصد قيس بن الملوح] وليلاه [لا أدرى ما معنى هذا؟. هل كان سعى هؤلاء من أجل زرع العداوة أو من أجل نسج الوصال]..

وهذا ـ ولا شك ـ يتنافر مع أبسط مباديء التقوى، بل هذه الأعمال بجملتها تتناقض مع مستلزمات الإيمان وأخلاقيات الإسلام!!...

حتى ما يروى عن عبد الرحمن بن عمار الجشمى الملقب "بالقس" لشدة ورعه وتقواه، فقد رويت عنه وعن محبوبته "سلامة" أمور لا تمت إلى التقوى بصلة ولا ترتبط بالورع بأي حال نسب!!...

فما رواه الأصفهاني في صاحب الأغاني في ج ٨ صفحة ٦: "أن "سلامة" قالت له يومًا: أنا والله أحبك.

قال: وأنا والله أحبك!

قالت: وأحب أن أضع فمى على فمك.

قال: وأنا والله أحب ذاك!

قالت: فما يمنعك فوالله إن الموضع لخال.

قـال: إني سـمعت الله عز وجل يقـول: {الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} [الزخرف ٦٧] وأنا أكره أن تكون خلة ما بيني وبينك تؤول إلى عداوة ثم قام وانصرف وعاد إلى ما كان عليه من نسك؟

ويعلق على ذلك عبد الله علوان فيقول:

أي نسك هذا؟ وأية تقوى هذه؟ وقد خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا!!..

خلـط عملا صالحًـا لكونه لم يلبِّ رغبـة محبوبته في قبلة أو عنـاق!! وخلط آخر سـيئًا لكونـه خلا بها في موضع لـم يرهما فيه أحد ولكونه يحدثهـا عن الحب والقبلة وتحدثه أيضًا عنهما وهو أجنبي عنها وهي أجنبية عنه!!

فمن أبسـط مقتضيات الورع أن يغض المسـلم نظره عن المرأة الأجنبية امتثالًا لقوله تبـارك وتعالى في سـورة النور: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ "٣٠" وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ} [النور ٣٠ _ ٣١].

ومن أظهر مستلزمات التقوى ألا يخلو الرجل بامرأة لا تحل له لما رُوي الشيخان عن النبي ﷺ أنه قال: "لا يخلون رجل بامرأة ولا تسافرن إلا ومعها ذو محرم".

فكيف استباح القسّ لنفسه أن تغازله "سلامة" ويغازلها؟...

وكيف كان يخلو معها في مكان لا يراهما فيه أحد؟ وكيف كان يظهر الرغبة القلبية في تقبيلها؟

أليس هذا كله يتناقض مع منهج الإسلام في العفة؟

ويتعارض مع مباديء الشريعة في التسامي؟ ثم لماذا رضي على نفسه أن يسمى بالقسّ أليسـت هذه تسـمية نصرانية؟ أليسـت الرهبانية تتصادم مع الفطرة الغريزية التي ركبها الله في الإنسـان؟ فهؤلاء العذريـون إذن هم بعيدون عن حقيقة التقوى التي يأمر بها الإسـلام ولو كانوا متحلين بالتقوى فعلا لالتزموا منهج الإسـلام في العفة، ولطبقوا منهة الشـريعة في التسامح...

ومنهج الإسلام في العفة كما هو معلوم ــ هو غض البصر عن المحرمات هو عدم الخلوة بالمرأة الأجنبية، هو البعد عن الغزل والتشبيب بامرأة معينة...

ومبادىء الشريعة في التسامي هي التحرر من فتنة النساء، هي الانصراف إلى الخالق سبحانه دون المخلوق، هو عدم الانسياق وراء غانية أخذت عليه عقله ولبه!!

فهؤلاء العذريون لم يتحلوا بشيء من هذا، افتتنوا بالنساء فعلا، وانصرفوا بكليتهم إلى المخلوق دون الخالق، وانساقوا وراء الغواني والحسناوات وقد أخذن عليهم عقولهم وألبابهم، وتغزلوا بالعشيقات دون حياء ولا خجل واختلوا بالنساء الأجنبيات دون رادع من دين، أو زواجر من تقوى..

نعم قد يوجد في هؤلاء العذريين من انصرف عن الفاحشة بدافع الإيمان، وابتعد عن الحرام بزواجر التقوى.. ولكن هؤلاء كغيرهم من المؤمنين الصادقين المخلصين الذين يراقبون الله عز وجل في السر والعلن، ويخشونه في المنقلب والنوى..

أسماء كبيرة تميزهم عن عامة المؤمنين المتقين، وترفعهم إلى مقام الأبرار والقديسين؟ المسلم الحقيقي هو من التزم هدى الله قولًا وعملا، ومن أخذ بتعاليم الإسلام جملة وتفصيلًا، ومن سار على مقتضى الشريعة منهاجًا وأحكامًا.. سواء أكان هذا المسلم عاملًا أو موظفًا، أديبًا أو عالمًا، حاكمًا أو محكومًا، جاهلًا أو مثقفًا.، فهؤلاء جميعًا يكونون أتقياء تقاة ما داموا على الهدى والصراط المستقيم!!

أما عن العذريين الذين تتناقل أخبارهم دواوين الشعر وكتب الأدب.. كأمثال قيس وليلى، وجميل وبثينة، وكثير عزة، وغيرهم فهؤلاء في تقديرى قد وقعوا ــ إن شاءوا أو أبوا ــ في كثير من المحظورات الشرعية في علاقاتهم مع العشيقات، وفى ارتباطاتهم بالنساء الأجنبيات. وسبق أن ذكرنا طرفًا منها.

ثم ماذا عن شخصية هؤلاء العذريين؟...

لو تتبعنا كتب الأدب، وتصفحنا سيرة أولئك الشعراء الذين اشتهروا بالحب العذري. بماذا نحكم على تصرفاتهم وأقوالهم ومواقفهم؟ أو بعبارة أوضح ماذا نقول عن توازنهم

وشخصياتهم؟ نقول قد اعترى شخصيتهم الخلل والقصور والتميع لماذا؟

فأنى لهؤلاء أن يتطلعوا في حياتهم إلى هدف أقدس ومثل أعلى؟ وأنَّى لهم الرشد والاتزان وهم على هذه الحال من الحب المتيم، والغرام المشبوب؟

وكيف يستطيع أولئك أن يبنوا لأمتهم مجدًا، وأن يشيدوا لمجتمعهم حضارة؟

وقد صدرت عنهم أفعال تنبيء عن اختلالهم في الشعور، وفقدان في التوازن..

وقد أصيبوا بالنحول، والأسقام، وشدة الخفقان..

وقد تعرضوا لمخاف القتل، وإنذارات الوعيد والتهديد..

وقد تنازلوا عن رجولتهم الإنسانية وكرامتهم الآدمية...

وقد انصرفوا عن الحب الأعلى المتمثل في حب الله والرسول والجهاد.. إلى الحب الأدنى المتمثل في حب غانية لا تحل لهم..

وقد عطلوا طاقاتهم البشرية..

فلا يمكنهم بحال أن يسعوا إلى مجد مؤثل، وعزّ مشيد، وحضارة مرموقة.. وهم على هذه الحال من الانهيار العصبي والمرض النفسي، والتميع الخلقي.

بقي السؤال الآن:

ما موقف الإسلام من رجل تعلق قلبه بامرأة، وفشل في الزواج منها، ولم يملك أية وسيلة أو حيلة في دفع هذا الميل، ورد هذا الحب، وبقي على هذه الحال متعففًا حتى وافته المنية؟

سبق أن ذكرنا أن الإسلام دين الواقعية، وشريعة الحياة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فمن واقعيته أنه لم يقف من الغريزة الجنسية موقف الكبت والمعاداة، وإنما شرع الزواج استجابة للغريزة، وتمشيًا مع الميل الجنسي الذي ركبه الله في الإنسان.. فقد روى البيهقي في حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة"، وروى الطبراني والبيهقي عن رسول الله ﷺ قوله: "من

كان موسرًا لأن ينكح ثم لم ينكح فليس مني"، وهو القائل للثلاثة الذين جاءوا يسألون عن عبادته عليه الصلاة والسلام ـ كما روى الشيخان ـ: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له لكني أصوم وأُفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني".

ومن واقعية الإسلام أنه لم يؤاخذ إنسانًا على الميل القلبي الذي يأتي للمرء رغمًا عنه، ولا يملك لدفعه أية حيلة أو سبب.. قال تعالى في سورة النساء: {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ} [النساء: ١٢٩]. فمعنى هذه الآية القرآنية ـ كما أجمع على تفسيرها العلماء: "لن تستطيعوا ـ أن تسووا بينهن في المحبة والاستمتاع ولو حرصتم وبذلتم كل جهدكم؛ لأن التسوية في المحبة وميل القلب ليس بمقدور الإنسان، ولا يدخل في حيز طاقته وإمكانه.. فإذا كان الأمر كذلك فلا تميلوا كل الميل عن المرغوب عنها فتجعلوها ـ أي الزوجة المرغوب عنها ـ كالمعلقة التي ليست بذات زوج، وليست مطلقة..".

وهذا رسول الله ﷺ كان يميل قلبيًا إلى السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أكثر من باقي الزوجات لكونه عليه الصلاة والسلام بشرًا، ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه ما لا يستطيعه ولا يملكه، فقد روى الإمام أحمد وأصحاب السنن عن عبد الله بن يزيد عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: "اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا أملك".

وروى ابن كثير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير قوله: {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ} "أي لن تستطيعوا ـ أيها الناس ـ أن تساووا بين النساء من جميع الوجوه، فإن وقع القسم الصوري ليلة فليلة.. فلا بد من التفاوت في المحبة والجماع".

ومن واقعية الإسلام: أن من ابتلى بحب امرأة، وما استطاع أن يصل إليها بعقد أو زواج، فعليه أن يتشاغل عنها وينساها، فإن بقيت حاضرة في ذهنه، وماثلة

في تصوره فعليه أن يبذل قصارى جهده، وغاية سعيه في ولوج طريق التسامي والاستعفاف، عسى أن يجعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا. فإن بقي على هذه الحال، ولم ينس ذكرها، ولم تغب عن ذهنه صورتها. حتى وافاه الأجل.. فالإسلام في واقعيته ودفعه للحرج، واعترافه بالضعف البشري الخارج عن حدود الطاقة يعتبر هذا الإنسان العاشق المتيم شهيدًا لكونه عف فكتم فصبر حتى أدركه الموت وهو على ذلك.. وقد أطلق عليه رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه اسم الهشيد، وذلك في الحديث الذي رواه الحاكم، والخطيب، وابن عساكر، والديلمي، وغيرهم: "من عشق فعف فكتم فمات فقد مات شهيدًا"، وفي رواية لبعضهم: "من عشق فعف فصبر فمات مات فهو شهيدًا"، ذلك لأن هذه الحالة النفسية التي أصيب بها العاشق خرجت عن إمكان إرادته الإنسانية، وجاوزت حدود طاقاته البشرية.. فمبدأ الإسلام العام الذي لا يتبدل: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة: ٢٨٦]، وشعاره الدائم الذي لا يتغير: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج: ٧٨].

أما العاشق الذي لا يتحلى بالعفة، ولا يتسامى عن الحرام، ولا يصبر على المصيبة.. فما أراه إلا والجًا طريق الغواية، وسالكًا سبيل الفاحشة، وصادرًا في متاهات الهواجس والأفكار.. وربما قتل نفسه فانتحر، أو قتل غيره فشفى وفجر، أو توغل في الفاحشة فشذ وانحرف! أو أضناه السقام فعجز وقعد!!...

والذي أخلص إليه بعد ما تقدم:

إن الإسلام بواقعيته الملائمة للفطرة لم يتجاهل غريزة الجنس التي ركبها الله في الرجل والمرأة، ومن أجل هذا شرع لهما الزواج..

ولم يتجاهل الإسلام أيضًا الميل القلبي اللاإرادى في ميل الزوج إلى زوجته دون أخرى، ومن أجل هذا لم يؤاخذ الله الأزواج إن مالوا قسرًا إلى إحدى الزوجات.

ولم يتجاهل الإسلام كذلك ظاهرة العشق الخارجة عن الإرادة البشرية، ومن

أجل هذا اعتبر من ابتلي بالعشق شهيدًا إذا مات العاشق مصابرًا عفيفًا كتومًا...

هذا هو الإسلام في واقعيته، ومسايرته للفطرة الإنسانية..

فما أعظم تشريع الإسلام!! وما أسمى مبادئه الخالدة على مدى الزمان والأيام!!

* * *

مناقشة ما قاله

السيد عبد اللّٰه ناصح علوان

عن موقف الإسلام من الحب

مناقشة ما قاله السيد عبد الله ناصح علوان

عن موقف الإسلام من الحب

عفة العشاق

لقد أقام السيد عبد الله علوان الدنيا وأقعدها؛ لأن العشاق ينظرون إلى من يعشقون واتخذ ذلك حجة له للتشنيع عليهم وكأنه لم يقرأ الحديث الذي رواه البخاري وذكرناه آنفًا عن مغيث وكيف كان يمشي خلف بريرة يتحدر دمعه لفرط محبته لها دون أن ينهه الرسول ﷺ عن ذلك وكيف علق العلماء على ذلك أنه يعذر من كان في مثل حاله أن يحدث منه ذلك "راجع الفصل السابق".

إن عفة العشاق لا يمكن أن تضارعها عفة غيرهم. فإخلاصهم لمن يعشقون يجعلهم يعفون عن الاقتراب من غيرهم من النساء فهم في هذا أكثر الناس ابتعادًا عن الحرام هذا من ناحية.

ولكن من الناحية الأخطر من ذلك كثيرًا هي عفتهم عن الاقتراب من الحرام مع من يعشقون، وهذا أمر هو بالضبط بمنزلة القبض على الجمر؛ لأن شوق العشاق إلى الامتزاج الكامل بمن يعشقون أقرب إلى البركان في اندفاعه. صحيح أن الحب غير الجنس، لكن تلك الرغبة في الامتزاج الكامل تجعل الفعل الجنسي بمنزلة التتويج الرائع لذلك الحب ومن الطبيعي أن تكون الطاقة الجنسية الكامنة فيهم بسبب ابتعادهم عن أي نوع من العلاقات مع غير من يعشقون هي عندهم أقوي كثيرًا مما عند غيرهم فيكون ضغطها أشد عليهم من غيرهم إذا توجه شعورهم إلى هذا النوع من الميل بالنسبة إلى من يعشقون.

لكن ومع ذلك فإن الذي يحدث أن شعورهم لا يتوجه أساسًا نحو هذا الاتجاه

في تعاملهم مع من يعشقون؛ لأن الشوق الداخلي لديهم للوصال الروحي هو الذي يمتلك شعورهم بالكامل.

فإذا حدث وهيأت لهم الظروف فرصة لذلك وامتنعوا عنه فهذا معناه أنهم قد قبضوا على جمر النار وقاوموا في جهاد مريع اندفاع براكين النار حتى لا يقعوا في الحرام. لماذا يفعلون كل ذلك إلا خوفًا من الله العلي القدير وطاعة لأحكامه؟!

وهل يعني هذا شيئًا سوى أنهم يقدمون حب الله على حبهم أي شيء آخر حتى مع من يعشقون؟!

ألم يعلمنا الرسول ﷺ أن الإيمان الحقيقي هو أن نحب الله ورسوله عمن سواهما؟! وما آية ذلك الحب إلا طاعة أحكام الله وتقديم تلك الطاعة على أي شيء آخر.

هل تعرف يا سيد عبد الله معنى هذه الطاعة؟!

هل تعرف معنى أن يحيا العاشق عمره في صحراء حارقة وعندما يجد النبع لا يشرب منه إذا كان في ذلك معصية لأحكام الله؟!!

إذا كنت لا تعرف ذلك فاتق الله ولا تفتر على الله وتتحدث فيما لا تستطيع معرفته وتتجنى على المؤمنين الأتقياء بهذا البهتان لمجرد أنهم خرجوا قليلا بغير إرادة منهم على بعض الأحكام مثل نظرهم لمن يعشقون مع أن الرسول ذاته قد عفى عن مغيث في عشقه لبريرة في مثل ذلك، وكما جاء في البخاري على لسان ابن عباس ﷺ أنه واعتبره كل الفقهاء المعلقين على هذا الحديث عفوًا عن العشاق الذين لم يجدوا لعشقهم دفعًا "راجع ما أوردناه تعليقًا على ذلك عند !الإمام ابن حجر العسقلانى والإمام الصنعاني في الفصل الذي قدمناه عن حكم الحب في الإسلام".

هذا الذي اعتبره هذا الرجل خلاعة وفجورًا انظروا ماذا اعتبره الرسول نفسه ﷺ في حديث غاية في الشهرة رواه الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما والحمد لله أننا نعتمد فيما نقول على الأحاديث الصحيحة في البخاري ومسلم وليس كما فعل هذا الرجل في اعتماده في هجومه على عبد الرحمن القس وزملائه على ما جاء عنهم

في كتاب الأغاني للأصفهاني والذي يعلم كل أهل العلم ما فيه من الباطل وأنه لا قيمة على الإطلاق لكل الروايات التي جاءت فيه من حيث الصحة.

هـذا الحديث الشـهير للغاية هـو الحديث الذي يـروي قصة الثلاثـة الذين آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسـدت عليهم الغار فقالوا: إنه لا ينجيكـم مـن هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالى بصالـح أعمالكم فدعا الأول بما يعنـي تفانيـه في خدمة والديه ابتغاء وجه الله. فانفرجت الصخرة شـيئًا لا يسـتطيعون الخروج منه ودعا الثالث بما يعني أنه اسـتثمر أمانة عنده فربحت أموالًا طائلة، وعلى الرغـم من ذلـك رد الأمانة ومـا ربحته من الأمـوال الطائلة لصاحبها ابتغـاء وجه الله فانفرجت الصخرة حتى خرجوا يمشون من المغارة.

ولكن الذي يهمنا هنا من هذه القصة الشـهيرة التي رواها الرسـول نفسه ﷺ هو ما يتعلق بالرجل الثاني: ماذا دعا الله تعالى بصالح أعماله؟!

قال الرسول ﷺ:

قال الآخر: "اللهم كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إلي" وفى رواية: "كنتُ أحبها كأشـد ما يحب الرجال النسـاء" فأردتها [أي أراد مواقعتها] فامتنعت مني حتى ألمت سـنة من السنين [أي ضاقت بها الظروف لمصيبة أصابتها] فجاءتني فأعطيتها عشرين ومئة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها [أي تسلم له نفسها] ففعلت حتى إذا قدرت عليهـا، وفى روايـة: "فلما قعدت بين رجليهـا" [وأنا لا أتحرج هنـا أن أقول للقارىء أن ينتبه للغاية لمعنى هذا الذي يرويه الرسـول ﷺ لأهميته الشـديدة] قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه [أي لا تُزل غشـاء البكارة إلا بعقد الزواج] فانصرفت عنها وهى أحب الناس إليَّ وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة" هذا الرجل دفعه حبه الجارف إلى العديد من الأخطاء. لقد اسـتغل الموقف واختلى بحبيبته وقعد بين رجليها هل تفهم يا سيد عبدالله علوان كيف أنه بعد ذلك بلغ ضغط عشقه عليه أقصى ما يمكن أن يبلغه

ولكنـه مع هذا، وفي آخـر لحظة اتقي الله فبلغت عفته في هـذا الموقف العصيب في العصيب في السيطرة على إرادته أقصى ما يمكن أن تبلغه العفة فاحتسب له ذلك من صالح الأعمال التي يتشفع بها عند الله.

ولـو قال مثل هذا الـكلام الإمام محمد بن داود الظاهـري لربما افترى عليه بعض المتفقهين وقالوا: هو عندنا متهم.

ولـو قالـه إمـام جليـل كابن حـزم لربمـا تطاولـوا عليـه وقالـوا: هذه شـطحة من شطحاته.

ولو قاله إمام تأخذ عنه أغلب أمة لا إله إلا الله دينها كالإمام ابن القيم لربما قالوا: لعله أخطأ.

لكن الذي قال هذا الكلام هو الرسول نفسه ﷺ في حديث صحيح رواه البخاري ومسلم فليحذروا ما يقولون اعتراضًا على ذلك وإلا يكفروا.

موقف قال عنه الرسول ﷺ إنه من صالح الأعمال التي يتقرب بها إلى الله وموقف أقل منه بالنسبة لموضوع عبد الرحمن القس مع سلامة ومع ذلك اتهم الرجل بالفسق والفجور فعمن يا ناس نأخذ ديننا؟

لا بـد أن نسـتوعب حقيقـة ديننا الـذي أنزله اللـه العليم بموطن الضعف البشـري الرحيـم بهـا ونفرق بين ذلـك وبين العقليات السـاذجة التي تريد الحكـم على الناس بأبشـع التهـم؛ لأن مواقفهم لا تتوافـق مع كتالوجات بتصورونها عمـا ينبغي أن يفعله الناس في المواقف المختلفة تلك الكتالوجات التي ليس لها وجود إلا في رووسـهم فقط وديننا الإسلامي الذي جاء رحمة للعالمين بريء منها تمامًا.

ومـن الطبيعـي ألا يفهـم مما أقول أو بمعنـى أصح مما قاله الرسـول ﷺ أن الدين يسـمح بالوقوع فـي هذه الأخطاء كالاختـلاء بالحبيبة أو تقبيلهـا أو احتضانها أو مثل ذلك ليس لإثم ذلك في ذاته فقط، ولكن في الأسـاس سـدًا للذرائع لعدم الوقوع في الفاحشة في هذه المواقف.

ولكن المقصود مع ذلك أيضًا أنه عند وقوع الحدث بشكل عام فإن الدين ينظر في الأساس إلى الموقف الكلي ويرجح العفة على الأخطاء ويرفعها إلى درجة عظمى هي درجة صالح الأعمال التي يتشفع بها عند الله ولم يقل الدين عن العشاق الذين يعيشون ذلك أن حبهم هذا أذهلهم عن حب الله فقدموا حبهم للحبيبة على حب الله لم يقل الدين هذا الكلام الساذج؛ لأن هذه العفة الرائعة التي يلتزمون بها ويقاومون بها النيران المندفعة من نفوسهم لا معنى لها إلا أنهم يقدمون طاعة الله على عشقهم وهذه الطاعة لا معنى لها إلا أنهم يحبون الله عمن سواه وإلا ما كانوا التزموا بهذه الطاعة التي في أقرب ما تكون إلى القبض على جمر النار.

صبر العشاق

وعلى الرغم من هذه الدرجة البالغة التي تحتسب للمحبين على عفتهم فهناك درجة أكبر منها تحتسب لهم هي صبرهم على ما أصابهم من الابتلاء.

فما تواضع عليه البشر منذ التاريخ أن ابتلاء فقدان المحبوب هو أشد الابتلاءات التي من الممكن أن يتعرض لها العاشق وعلى قدر صبره على هذا الابتلاء يكون الجزاء، كما قال الرسول ﷺ: "إن عظم الجزاء مع عظم البلاء فمن رضى فله الرضى ومن سخط فله السخط". وبمقدار ما يكون صبر العاشق على هذا البلاء الشديد بقدر ما يكون إيمانه العميق بالله.

وقد قال الإمام ابن القيم عن ذلك "كما ذكرنا سابقًا": "هذا نوع من الابتلاء إن صبر صاحبه واحتسب نال ثواب الصابرين وإن سخط وجزع فاته معشوقه وثوابه وإن قابل هذه البلوى بالرضا والتسليم فدرجته فوق درجة الصبر؛ لأن العاشق لم يتمكن من الصبر على هذا الابتلاء إلا إذا كان إيمانه من القوة على قدر تحُّمل هذا الابتلاء.

توحيد العشاق وإيمانهم

ولقد هاجم السيد عبد الله علوان هؤلاء العشاق على ما جاء في أشعارهم من مبالغات مع أن هذا أمر يتعلق بالفن الشعرى ولا يمكن أن يتخذ منه مستندًا للاحتكام الديني إلا عند الجهلاء فقط.

ومع ذلك فقد سجل بعض هؤلاء العشاق في أشعارهم من قواعد التوحيد ما أتحدى به السيد عبد الله علوان أن يكون الكثيرون من تياره ملتزمًا به:

يقول قيس بن الملوح الذي يصفونه بمجنون ليلي:

وانت التي إن شئتِ أشقيت عيشتي وإن شئتِ ـ بعد الله ـ أنعمتِ باليا

ويقول أبو فِراس الحمداني:

وقالت: لقد أزرى بك الدهر بعدنا فقلت: معاذ الله بل أنتِ لا الدهر

فهل يدرك القاريء ما في هذين البيتين من توحيد وإيمان بالقضاء والقدر وما الذي يعنيه التزامهما بإثبات ذلك في أشعارهما مع أنه أمر صعب للغاية.

العشاق يصنعون الحضارة

ثم لنأت إلى حكاية اتهامه لهم بالاختلال في الشعور وفقدان الاتزان إلى الدرجة التي استحوذت على نفوسهم وطغت على رشدهم وصوابهم ثم سخريته منهم على هذه الأحوال إلى الدرجة التي أشفق من ذكرها، وتساؤله كيف يستطيع أولئك أن يبنوا لأمتهم مجدًا وأن يشيدوا لمجتمعهم حضارة؟...

فعلى فرض أنهم وصلوا إلى هذه الدرجة "وهذا الأمر في الحقيقة يعتري العشاق بعض الأوقات ولا يكون في الأغلب الأعم من حياتهم وذلك لما يقتضيه عشقهم

نفسه من أن يكونوا على درجة كبيرة من القوة والتيقظ لنجاح مساعيهم في الاقتران بمن يعشقون ويستثنى من ذلك قلة قليلة منهم" أقول على فرض ذلك ألم تسلم أنت نفسك أن سبب ذلك هو معاناتهم التي تخرج عن حدود الطاقة البشرية". وهو ما ذكره أهل العلم أنه قدر الله وأنه لا يملك. فهل تسخر من هؤلاء الناس لابتلائهم بقدر الله. هل يجوز لنا مثلًا أن نسخر ممن أصابه الحزن والنحول لفقدان ولده" وهذا الابتلاء لدى العارفين بالأمور أقل أثرًا من فقدان المحب لمحبوبه "كيف يجوز لنا أن نسخر من ذلك والرسول ﷺ يقول: "بحسب امريء من الإثم أن يحقر أخاه المسلم".

ألم يكن من الأولى لك أن تشفق لحالهم وترحمهم.

يروي ابن القيم عن هشام ابن عروة عن أبيه أنه قال: مات بالمدينة عاشق فصلى عليه زيد بن ثابت فقيل له في ذلك فقال: إني رحمته.

وروى أيضًا أنه قد رؤي أبو السائب المخزومى ـ وكان من العلم والدين بمكان ـ متعلقًا بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم أرحم العاشقين وقوِّ قلوبهم واعطف عليهم قلوب المعشوقين فقيل له في ذلك فقال: والله للدعاء لهم أفضل من عمرة من الجعرانة "موضع بين مكة والطائف يعتمر البعض بدءًا منه"[1].

هذا ما كان يفعله السلف الصالح فهل نمتثل بهذا الذي كانوا يفعلونه أم نمتثل بأقوال السيد عبد الله علوان ونحقر إخواننا المسلمين على ابتلاء الله لهم؟!

أما قوله عنهم أنهم بلا كرامة فسأترك الإمام بن حزم الأندلسي وهو الوزير بن الوزير ليرد عليه حيث يقول في أشعاره:

ليس التذلل في الهوى يستنكر فالحب فيه يخضع المستكبر

"راجع في هذا الموضوع فصل الحب والكرامة في هذا الكتاب".

أما حكاية تساؤله كيف يستطيع أولئك أن يبنوا لأمتهم مجدًا وأن يشيدوا لمجتمعهم حضارة؟ فأعتقد أن هذا بيت القصيد في غضب الأستاذ عبد الله علوان من هؤلاء

١- روضة المحبين ونزهة المشتاقين: ص ١٤٤.

العشاق؛ لأنه من اليقين أن شخصية أمثال هؤلاء العشاق تختلف عن الكتالوج الذي يتصور من خلاله الأشخاص الذين ينبغى عليهم أن يبنوا المجد وأن يشيدوا الحضارة كما يتفق مع التيار السياسى الذي ينتمى إليه ومن هنا كانت نقمته الشديدة عليهم وتحذيره الشديد للشباب الذين ينتمون إلى تياره من أن يكونوا مثلهم ولكن ليس هكذا تحسب الأمور على الدين أو على الوعى الواقعى بالأشخاص الذين يصنعون الحضارات بالفعل.

فإن كان أمثال هؤلاء الناس لا تتفق شخصياتهم مع كتالوج الشخصيات التي تنتمى إلى تياره، "ولسوف أذكر بعد قليل بإذن الله مفاجأة خطيرة في هذه النقطة بالذات؛ وإن تكن في الحقيقة لا هي مفاجأة ولا حاجة للكثير من المثقفين" فليس معنى ذلك أنهم شخصيات خارجة عن دائرة الملتزمين بالدين أو عما كانوا عليه الرجال صناع الحضارة في الواقع وليس في الخيال أو الكتالوج..

فبالنسبة إلى ديننا الإسلامى ليس من المعقول أن نفتئت عليه بأن نجعل ملا يتفق مع منظورنا للتنظيم السياسى الذي ننتمى إليه لا يتفق مع منظور الدين. إن ديننا الإسلامى أكثر رحابة للبشر من هذه المفاهيم الضيقة وإنه يتسع لكل المؤمنين والأتقياء أيًا كانت صفاتهم الأخرى.

أما كون العشاق "الذين قصد الهجوم عليهم في الأساس وقد اتخذ الأمثلة السابقة ذريعة لهذا الهجوم" لا يصلحون لأن يبنوا لأمتهم مجدًا وأن يشيدوا لمجتعهم حضارة، فهذا أمر يكذبه التاريخ البشري كله!!!

فأعظم الأحداث في التاريخ صنعها في الأساس عشاق، بل والأعمال الحضارية العظيمة التي تضرب مضرب الأمثال صنعها العشاق.

شاه جيهان . الإمبراطور المغولي المسلم باني تاج محل "أحد عجائب الدنيا السبع" لحبيبته ممتاز محل.

السلطان ملكشاه السلطان السلجوقى المسلم الذي كان يسمى في عصر بسلطان

العالم.

يوليوس قيصر الذي بنى الإمبراطورية الرومانية كان عاشقًا لكليوباترا.

نابليون بونابرت الذي بنى أكبر إمبراطورية ومجد لفرنسا في التاريخ كان عاشقًا لجوزفين.

أبو فراس الحمداني المسلم العاشق الفارس أمير الدولة الحمدانية وأحد أكبر المشاركين في صنع مجدها كان عاشقًا لنجلاء والأمثلة في ذلك لا تعد ولا تُحصي.

وعنترة العبسي لولا حبه لعبلة لما خاض الأهوال وحقق البطولات التي ثارت مضرب الأمثال، بل ولا ذاع بين الناس ذكر قبيلة عبس أصلًا.

أما العلماء والفلاسفة والمفكرين والأدباء مثل: عبد الله بن أبي عبد الله بن عتبة أحد فقهاء المدينة السبع"١" والإمام محمد بن داؤد الظاهري والعالم والفيلسوف الإمام ابن حزم والفيلسوف الغربي إبلار وهيوم فيلسوف الشك والأديب العالمي فيكتور هوجو وأعظم شعراء الحب في العصر الحديث الدكتور إبراهيم ناجي. ولا تكفي صفحات الكتاب أجمع أن تذكر أسماء العشاق صناع المجد والحضارة.

وكل هؤلاء لاقوا الأمرين في عشقهم ومرت عليهم الفترات من اختلال الشعور وفقدان التوازن التي يتحدث عنها السيد عبد الله علوان. بل المفاجأة التي كنت قد قلت لكم أنني سأحدثكم عنها أن أهم ثانى شخصية في التيار الذي ينتمي إليه السيد عبد الله علوان كان عاشقًا كبيرًا في مرحلته الأولى من حياته وكتب في ذلك دواوينًا كثيرة من الشعر ولعل ذلك ما يفسر سر تلك الروح المضطرمة التي ظهرت آثارها في كتاباته الفكرية بعد ذلك.

أما المفكرون والشعراء والفنانون فأكثر من تسعين في المائة منهم عشاق وكان عشقهم هذا هو الدافع الأساسي لهم فيما قدموه من تراث فكري وأدبي وفنى

١- له أشعار كثيرة في الحب نذكر منها:

كتمت حتى اضر بك الكتم ولامك اقوام ولومهم ظلم

للحضارة، وقد تكون فترات اختلال الشعور وفقدان التوازن هذه التي يتحدث عنها أهم الفترات التي تتدفق فيها أعمالهم، وهذا أمر يعلمه الجميع ولا يكاد يخفي على أحد.

وحكاية اختلال الشعور هذه ليست حكرًا على العشاق وحدهم، ولكن الحقيقة فإن أي اهتمام شديد بأي أمر من الأمور إذا بلغ غايته يؤدي إلى اختلال في الشعور فالعالم المخترع مثلًا في مراحل معينة من بحثه يبلغ به اندماجه أن يذهل من أي شيء آخر ويبلغ غاية الاختلال بالشعور وكذلك المفكر أو الكاتب أو العالم الفقيه فإذا أوغل في كتابة مؤلفه وأراد أن ينجزه بأسرع وقت ممكن وجدته عاكفًا على ما يفعل مذهولا عن كل ما حوله فشيخ الإسلام ابن تيمية كتب مؤلفه "الرد على المنطقيين" في مجلد كامل وهو واحد من أهم المؤلفات في تاريخ الفكر الإنساني.. أقول كتبه في أربعة أيام وهو جالس تحت شجرة. فأين كانت نشاطات حياته الأخرى في تلك الأيام الأربعة؟

من الطبيعي أن يكون قد خرج عن مألوف حياته التقليدية إلى حالة شديدة من التركيز العقلي والنفسي التي تُعد بتلك المقاييس السيماترية للسيد عبد الله علوان اختلالًا للشعور، بل أن المجاهد في سبيل الله نفسه عندما تحتدم المعارك فإن حالته بتلك المقاييس العلوانية تبلغ أقصى درجات الاختلال بالشعور ولم يقل أحد عن هؤلاء أنهم مجانين وأن المكان الأنسب لهم هو سرايات المجانين للخلل الشديد في شعورهم.

إن التماس السقطات للناس أمر يُعرف به شرار الخلق على امتداد التايخ ونحن نعيذ داعية فاضل كالأستاذ عبد الله علوان أن يكون كذلك. وتوازن الشعور الذي يتحدث عنه هو غاية مستهدفة لما ينبغى أن يكون عليه الإنسان في حياته الخاصة، ولكن من يقومون بجلائل الأعمال عادة لا ينعمون بتلك الحالة المستقرة وأغلب الإبداعات الفكرية والعلمية التي بقيت في ميراث الإنسانية كانت نتيجة لحالات

نفسية تعد بالمقاييس العلوانية اختلالًا في الشعور؟.

ويجب أن نسجل أننا لا نحرض العشاق على ما يصيبهم من اختلال نتيجة حرمانهم ممن يعشقون، بل أننا ندعوهم إلى التماسك غاية التماسك، ففى ذلك النجاة لهم "ولنا فصل في آخر هذا الكتاب يتحدث عن ذلك" ولكن هب أنهم لم يستطيعوا التماسك وأصابهم المرض والهِزال، فهل نعاقبهم ونظرائهم على ابتلاء الله لهم؟...

وتفسير هذا أن ما يتحدث عنه السيد عبد الله علوان من اختلال للشعور وفقدان للتوازن هو في الحقيقة ليس كذلك وإنما الذي يحدث لشخصية هؤلاء العشاق نتيجة لما يعانون هو قصور في بعض النواحي، ولكن في مقابل ذلك يحدث لديهم تعاظم شديد وقوة دافعة في نواحى أخرى وهذا هو السبب فيما يحدث لهم من قدرات خاصة لا تتوافر في غيرهم في صنع الأعاجيب.

إن العشق وإن كان يصيب العشاق بالقصور في بعض النواحى فإنه قوة تفجيرية هائلة في إرادتهم وعبقريتهم على وجع الخصوص.

والغريب في الأمر أن السيد عبد الله علوان نفسه يقول في موطن آخر من كتابه: "لولا الحب لما اندفع أبناء الحياة في الحياة إلى تحقيق غاياتهم ولما بنوا في عصور التاريخ أمجادًا ولا حضارة ولما كان في الكون حركة ولا إبداع ولا عمران ولا مدنية!!

ولكن يبدو أنه كان يقصد بذلك فقط العشاق الذين يتصورهم من خلال الكتالوج الذي رسم له وليس أحد آخر.

* * *

المشابهة

النظرية الإسلامية في الحب

منذ رأيتك أشعر أني أتجسد فيك

أشعر أني منذ بدء الخلق كنتُ أناديك

أشعر أن روحي روحك

وأني ألا نفسي حين ألاقيك

أشعر ما أشعر؟! لا أدري إلا نارًا حارقة تكويني وتكويك

م. إ. م

المؤلفات الفكرية والأدبية لأئمة الإسلام عن الحب

على عكس مما يتصور البعض فهناك كثير من أئمة الإسلام الذين كتبوا عن الحب ومن أهم هؤلاء:

١ ـ الإمام محمد بن داود الظاهري "٢٩٦هـ" وألف في ذلك كتاب "الزهرة" وهو ابن الإمام داود الظاهري مؤسس المذهب الظاهري وقد وُصِف صاحبنا بأنه الإمام ابن الإمام وألف في أصول التشريع وفى الدفاع عن آراء أبيه الفقهية.

٢ ـ الإمام محمد بن جعفر الخرائطى "٣٢٧هـ" وألف في ذلك كتاب "اعتلال القلوب: مخطوط" وهو من علماء الحديث.

٣ ـ الإمام ابن حزم "٤٥٦هـ" وألف كتابه الشهير "طوق الحمامة" وهو أكبر من أن ينوه عنه فهو واحد من أئمة الإسلام في التاريخ وهو أيضًا واحد من أهم المفكرين في التراث الإنساني.

٤ ـ الإمام ابن الجوزي وألف في ذلك كتابه "ذم الهوي" وابن الجوزي واحد من أهم أئمة الفقه في التاريخ الإسلامى "٥٠".

٥ ـ الإمام ابن القيم الجوزية "٧٥٦هـ" وألف في ذلك كتابه "روضة المحبين ونزهة المشتاقين" وخصص فصولًا في كتب متعددة له لنفس الموضوع بصورة ملفتة للنظر وهو أيضًا أكبر من أن ننوه عنه فهو واحد من أكبر أئمة الإسلام في التاريخ.

٦ ـ الإمام مخلطاى ابن قليج "٧٦٢هـ" وألف في ذلك "الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين: مخطوط" وهو مؤرخ من حفاظ الحديث وقد ولي تدريسه في المدرسة المظفرية بمصر كما شرح البخاري في عشرين مجلدًا وشرح سنن ابن ماجة.

٧ ـ الإمـام مرعـى بن يوسـف ١٠٣٣هـ" وألـف في ذلـك "منية المحبيـن وبغية العاشقين" يقول عنه الزركلى صاحب الأعلام: إنه من كبار الفقهاء.

ولقد استرعى الباحثون ذلك الاهتمام الكبير للأئمة والفقهاء بموضوع الحب، وفى ذلك يقول الدكتور محمد حسـن عبد الله: "ربما يكون من حقنا أن نتوقع نظريًا ـ أن يكون الأدباء أكثر اهتمامًا بالحب ترتيبًا على ما قررناه أن الشعر والتسامح الاجتماعى مع الشـعراء كان المدخل لشـيوع حكايات العشاق وأخبارهم التي نجد فيها ما يصدم الحـس الدينـي، ولكـن رصـد الواقع يدل علـى غير ذلـك وإن يكن مـن الصحيح أن الشـغف بالأدب، بل وقرض الشـعر يكاد يكون صفة ملازمة لكافة المهتمين بالحب ولكـن صفة الفقيـه كان الصفة الأساسـية المعلنة لكثيـر منهم وإن نافسـها التاريخ أو الفلسفة أو صناعة الكتابة بعد ذلك".

* * *

المشابهة النظرية الإسلامية في الحب

١ _ نظرية الإمام محمد بن داود في الحب:

يقول الإمام محمد بن داود في كتابه "الزهرة":

قد ذكرنا من أقاويل الشعراء في الهوى أنه يقع ابتداؤه من النظر والسماع ثم نحن إن شاء الله ذاكرون ما في ذلك الأمر الذي أوقعه السماع والنظر ولم وقع وكيف إذ قد صح كونه عند العامة وخفي سببه عند الخاصة، عن النبي ﷺ أنه قال: الأرواح جنود مجندة من تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.

ويقول شعرًا:

حملت جبال الحب فيك وأنني لأعجز عن حمل القميص

وأضاف:

وما الحب من حسن ولا من ملاحة ولكنه شيء به النفس تكلف

وهو يرى أن الحب الحقيقي هو الذي "لا يرى أن ينعطف إلى سواه ولا يطلب الراحة إلا من عند من ابتلاه".

ويقول: لو لم يصبر المحب على امتحان إلفه "محبوبه" لكان حظًا جزيلًا ودركًا جليلًا. فكيف وحال الصفاء إذا ابتدأت بين المتحابين بالمشاكلة الطبيعية "يقصد المشابهة الروحية" ثم اتصلت بالحراسة عن الأخلاق الدينية "يقصد عفة العاشقين عما يدنس حبهما" ثم هذبت بالرعايات الاختيارية بلغت بهما الحال إلى حيث انقطعت بهم دونه الآمال.

٢ _ نظرية الحب عند الإمام ابن حزم

نحـن هنا أمـام أهم وأروع كتـاب كتب عن الحب فـي تاريخ الدنيا مـن الناحيتين الفللسـفية والأدبية معا هذا ما يقوله الكثيرون من المفكرين في الشرق والغرب وهذا ما سيلمسه القاريء نفسه بعد أن نعرض له الأفكار الغربية في الموضوع بإذن الله.

والذي أراه أن الذي مكن الإمام ابن حزم من هذه القدرة الإبداعيةفي هذا الموضوع فضلا عن العبقرية النادرة التي حباه الله بها والتي يندر اشباهها في التاريخ هو جمعه بين الابعاد الثلاثة التي يقتضي توافرها في المفكر أو الفيلسوف في هذا الأمر وكل أمر وهي استيعابه العميق لمذاهب وفلسفات عصره راجع في ذلك كتابه المذهل الفصل فـي الملل والأهواء والنحـل وخبراته الواقعية العمية في الموضوع الذي يتناوله وهو هنا موضوع علاقات الحب بين الرجال والنساء.

فابـن حزم كان وزيـرا ابن وزير والوزير في ذلك العصـر كان يماثل رئيس الوزراء الآن وقـد تربى وهو طفل على أيدي نسـاء القصور وهن اللاتـي علمنه القرآن والفقه ومن ثم انطبعت في عبقريته الخاصة الكثير من عجائب خلالهن واسـرارهن وبعد أن عـاش عـز القدرة في التعامل مع نسـاء القصـور كابن وزير ثم وزير تـرك الوزارة طلبا للعلم ثم تبدلت أحوال البلاد السياسية فعاش مضطهدا كسياسي وفقيه وعرف النساء أيضا في هذه الأحوال.

يقول الإمام ابن حزم:

"الحـب أعـزك الله أوله هزل وآخره جد. دقت معانيـه لجلالتها عن أن توصف فـلا تـدرك حقيقتهـا إلا بالمعانـاة [لاحـظ النظرية الفلسـفية فـي ذلك القـول فهو لا يفتـرض إدراك حقيقـة الحب عند من لم يعانيه ومن ثـم لا يجوز له الحكم عليه] وقد

اختلف الناس في ماهيته وقالوا وأطالوا، والذي أذهب إليه أنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع. وقد علمنا أن سر التمازج والتباين في المخلوقات إنما هو الاتصال والانفصال.

والشكل دأبًا يستدعي شكله.

والمثل إلى مثله ساكن "أي كل شيء يسكن إلى نظيره"

وللمجانسة عمل محسوس وتأثير مشاهد.

والتنافر في الأضداد.

والموافقة في الأنداد [أي أن الوفاق يكون بين الأنداد وهو يقصد بذلك أن الشبيه يتجاذب إلى شبيهه] ثم يوضح أنه لا يقصد بذلك المشابهة في الشكل أو الأخلاق، ولكن في ذات النفس فيقول مشيرًا إلى كلامه السابق: "كل ذلك معلوم بالفطرة في أحوال تصرف الإنسان وزوجه فيسكن إليها والله عز وجل يقول: {هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} [الأعراف: ١٨٩]. فجعل علة السكون أنها منه [لاحظ جيدًا مدى ما يستحقه هذا النص القرآني من تأمل]. ولو جعل علة الحب حسن الصورة الجسدية لوجب ألا يستحب الأنقص من الصورة [أي لا يحب الإنسان الأقل منه جمالًا] ونحن نجد كثيرًا ممن يؤثر الأدنى [يفضل الأقل جمالًا] ويعلم فضل غيره ولا نجد متحيدًا لقلبه عنه. ولو كان للموافقة في الأخلاق لما أحب المرء من لا يساعده ولا يوافقه [أي لا يتوافق معه في الأخلاق] فعلمنا أنه شيء في ذات النفس [أي المشابهة في الجوهر الداخلى لنفس الإنسان].

وربما كانت المحبة لسبب من الأسباب وتلك تفنى بفناء سببها [أي تنتهي بانتهاء سببها] فمن وده لأمر ولى مع انقضائه" أهـ.

ويعدد ابن حزم بعض ضروب المحبة وعلاقتها بأسبابها "محبة القرابة ومحبة الألفة والاشتراك في المطالب، ومحبة التصاحب والمعرفة ومحبة البر يضعه المرء عند أخيه ومحبة الطمع في جانب المحبوب، ومحبة المتحابين لسر يجتمعان عليه

يلزمهمـا سـتره، ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر ومحبة العشـق التـي لا علة لها إلا ما ذكرنا من اتصال النفوس فكل هذه الأجناس منقضية مع انقضاء عللها وزائدة بزيادتها وناقصـة بنقصانهـا متأكـدة بدنوهـا فاتـرة ببعدهـا [أي أن كل هذه الأنـواع من الحب تنقضي بانقضاء السبب المتعلقة به وتزيد مع زيادته وتنقص مع نقصانه] حاشى محبة العشـق الصحيح المتمكن من النفس فهى التي لا فناء لها إلا بالموت [أي أنه يسـتثنى من ذلك العشـق الصحيـح المتمكن من النفس وهو يرى ـ وانتبـه لهذا الذي يقول ـ إنه لا يفنى إلا بالموت"...

ثـم يقول الإمام ابن حـزم: "فصح بذلك أنه استحسـان روحاني وامتزاج نفسـانى فإن قال قائل: لو كان هذا كذلك لكانت المحبة بينهما مستوية الجزءان مشتركان في الاتصـال وحظهمـا واحد [أي أن هنـاك اعتراضًا يقول أن بعض المحبين لا تتسـاوى محبتهـم مـع محبـة مـن يحبونهـم] والجواب عـن ذلك نقول هـذا لعمـرى معارضة صحيحـة، ولكـن نفس الـذي لا يحب مـن يحبه مكتنفـة الجهات ببعـض الأعراض السـاترة والحجـب المحيطة بها من الطبائـع الأرضية [أي معزولة عـن حقيقة جزئها الآخـر بما يحيط بها من متعلقات أرضية] فلم تحس بالجزء الذي كانت تتصل به قبل حلولها حيث هي ولو تخلصت لاستويا في الاتصال والمحبة ونفس المحبة متخلصة [أي غيـر محاطـة بالمتعلقات الأرضية التي يحجبها عن من تحـب] عالمة بمكان ما يشـركها في المجاورة [يقصد ما كان يشـركها في العالم العلوي] طالبة له قاصدة إليه باحثة عنه مشتهية لملاقاته جاذبة له لو أمكنها كالمغنطيس والحديد.

فقـوة جوهـر المغنطيس المتصلة بقوة جوهر الحديد لـم تبلغ من تحكمها ولا من تصفيتهـا أن تقصد إلى الحديد على أنه من شـكلها وعنصرهـا [أي أن قوة المغنطيس لا تتجـه إلى الحديد على الرغـم من إنه من جنسـها لعـدم صفائها] كما أن قوة الحديد لشدتها قصدت إلى شكلها وانجذبت نحوه إذ الحركة إنما تكون أبدًا من الأقوي [أي الأقـوي فـي المحبين ـ على ما يذهب ـ هو الذي يتحـرك نحو من يحبه] وكالنار في

الحجـر لا تبـرز على قوة النار في الاتصال والاسـتدعاء لأجزائها حيث كانت إلا بعد القـدح [أي فـي أن النار التي في الحجر على الرغـم من قوتها لا تظهر إلا بعد القدح] ومجـاورة الحجرين بضغطهمـا واصطكاكهما [أي الاحتكاك الشـديد بين الحجرين حتـى تنطلـق النار منهما] وإلا فهـي كامنة في حجرها لا تبـدو ولا تظهر. ومن الدليل على هذا أيضًا أنك لا تجد اثنين يتحابان إلا وبينهما مشاكلة واتفاق الصفات الطبيعية [أي الصفات الداخلة في تكوينهما النفسي] لا بد من هذا وإن قل وكلما كثرت الأشباه زادت المجانسـة وتأكدت المودة [أي كلما زادت المشـابهة بين صفاتهما النفسية زاد التقارب وتأكدت المودة بينهما] فانظر هذا تراه عيانًا وقول رسول الله ﷺ: "الأرواح جنود مجندة من تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف".

ولو توقف الإمام ابن حزم في نظريته عند حدود تفسير تعلق أرواح المحبين بسبب المشابهة في ذوات نفوسهم لكان التسليم بما جاء في نظريته أكبر وأعمق ولكان بذلك شـديد القرب من النصوص التي يسـتدل بها. أما حكاية أن الجزء كان متصلًا بالآخر قبـل حلوله فـي عالـم الأرض فهو أمر لـم يقـدم أدلة عليه سـواء كان بالنقل "وهذا أمر عقائدى يجب الاستدلال عليه بالنصوص" أو بالعقل.

ثم يقول الإمام ابن حزم: "أما العلة التي توقع الحب أبدًا في أكثر الأمر على الصورة الحسـنة [أي أما حكاية أن الحب يقع دائمًا على الصورة الجميلة] فالظاهر أن النفس الحسنة تولع بكل شيء حسن وتميل إلى التصاوير المتقنة فهى إذا رأت بعضها تثبتت فيه [أي إذا رأت الجمال تعلقت به] فإن ميزت وراءها شـيئًا من أشكالها [أي إذا رأت وراء هذا الجمال شـيئًا يتشـابه مع صفاتها النفسية] اتصلت وصحت المحبة الحقيقية وإن لـم تميز وراءها شـيئًا من أشـكالها لـم يتجاوز حبها الصورة وذلك هو الشهوة [أي إذا لم تجد وراء الجمال شيئًا يتفق مع صفاتها لم يتجاوز حبها الخارجى إلى ما بداخل النفس من صفات روحية، ولذلك يكون تعلقها هو اشتهاء جنسى وليس حبًا].

٣ _ نظرية الإمام ابن الجوزي في الحب:

يرى الإمام ابن الجوزي أن العشق شدة ميل النفس إلى صورة تلائم طبعها فإذا قوي فكرها فيها تصورت حصولها وتمنت ذلك فيتجدد من شدة الفكر مرض.

وهو يذهب إلى ما ذهب إليه سابقوه بالنسبة لنظرية المشاكلة فيقول: ذكر بعض الحكماء أنه لا يقع العشق إلا لمجانس، وأنه يضعف ويقوي على قدر التشاكل، واستدل بقول النبي ﷺ: "الأرواح جنود مجندة من تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف".

فإن قيل إذا كان سبب العشق نوع موافقة بين الشخصين في الطباع، فكيف يحب أحدهما صاحبه والآخر لا يحبه؟!

فالجواب: أنه يتفق في طبع المعشوق ما يوافق طبع العاشق، ولا يتفق في طبع العاشق ما يلائم طبع المعشوق.

وإذا كان سبب العشق اتفاقًا في الطباع بطل قول من قال:: إن العشق لا يكون إلا للأشياء المستحسنة، وإنما يكون العشق لنوع مناسبة وملائمة. ثم قد يكون الشيء حسنًا عند شخص، غير حسن عند آخر.

ويتأكد العشق بإدمان النظر وكثرة اللقاء وطول الحديث، فإن انضم إلى ذلك معانقة أو تقبيل فقد تم استحكامه.

* * *

٤ _ نظرية الحب عند الإمام ابن القيم:

يقول الإمام ابن القيم:

الداعي إلى الحب قد يراد به الشعور الذي تتبعه الإرادة والميل، فذلك قائم بالحب وقد يراد به السبب الذي لأجله وجدت المحبة وتعلقت به، وذلك قائم بالمحبوب ونحن نريد بالداعي مجموع الأمرين وهو ما قام بالمحبوب من الصفات التي تدعو إلى محبته وما قام بالمحب من الشعور والموافقة التي بين المحب والمحبوب وهى الرابطة بينهما...

فها هنا أمور: وصف المحبوب وجماله وشعور المحب به والمناسبة وهى العلاقة والملائمة التي بين المحب والمحبوب فمتى قويت الثلاثة وكملت، قويت المحبة واستحكمت ونقصان المحبة وضعفها بحسب ضعف هذه الثلاثة أو نقضها فمتى كان المحبوب في غاية الجمال وشعور المحب بجماله أتم شعور والمناسبة التي بين الروحين قوية فذلك الحب اللازم الدائم وقد يكون الجمال في نفسه ناقصًا، لكن هو في عين المحب كامل فتكون محبته بحسب ذلك الجمال عنده فإن حبك للشيء يُعمى ويصم، فلا يرى المحب أحدًا أحسن من محبوبه...

وقد يكون الجمال موفرًا لكنه ناقص الشعور به فتضعف محبته له [أي قد يكون أحدهما ناقص الشعور بجمال الآخر فتقل محبته له]... وإذا وجد ذلك كله وانتفت المناسبة والعلاقة التي بينهما لم تستحكم المحبة وربما لم تقع البتة فإن التناسب الذي بين الأرواح من أقوي أسباب المحبة فكل امريء يصبو إلى ما يناسبه. وهذه المناسبة [أي الشي الذي يقارب بينهما] إما أصلية من أصل الخلقة [أي أصيلة متعلقة بنفسه] وعارضة بسبب المجاورة أو الاشتراك في أمر من الأمور [أي غير متعلقة بالنفس وإنما هي أمر خارجي اشترك بينهما]... فأما التناسب الأصلي فهو اتفاق

أخلاق وتشـاكل أرواح وشـوق كل نفس إلى مشـاكلها فإن شـبه الشـيء ينجذب إليه بالطبـع فتكون الروحان متشـاكلتين في أصل الخلق فتنجـذب كل منهما إلى الأخرى بالطبـع، وقد يقع الانجذاب والميل بالخاصيـة [بخصوصية معينة] وهذا لا يعلل ولا يعرف سـببه كانجذاب الحديد إلى الحجـر المغناطيس، ولا ريب أن وقوع هذا القدر بيـن الأرواح أعظـم من وقوعه بين الجمادات... وهـذا الذي حمل بعض الناس على أن قال: إن العشق لا يقف على الحسن والجمال ولا يلزم من عَدَمِه عدمه [أي لا يلزم فقدان الجمال فقدان الحب] إنما هو تشـاكل النفوس وتمازجها في الطباع المخلوقة [أي تشـابه النفـوس فـي طباعهـا وهذا أهـم تحديد في سـبب الحب عنـد الإمام ابن القيم]... قال بعضهم لمحبوبه: صادفت فيك جوهر نفسـي وشاكلتها في كل أحوالها فانبعثت نفسي إليك وإنما هويت نفسي.

.. فإذا كانت المحبة بالمشـاكلة والمناسبة ثبتت وتمكنت ولم يزلها إلا مانع أقوي من السـبب وإذا لـم تكن بالمشـاكلة [التشـابه بينهما في الصفات الداخلية] فإنما هي محبـة لغرض من الأغراض تـزول عند انقضائه وتضمحل، فمن أحبك لأمر ولى عند انقضائـه فداعى المحبـة وباعثها إن كان غرضًا للمحب لم يكن لمحبته بقاء، وإن كان أمرًا قائمًا بالمحبوب سريع الزوال والانتقال زالت محبته بزواله والمقصود أن المحبة تسـتدعى مشـاكلة ومناسبة وقد ذكر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده عن حديث عائشة رضى الله عنها أن امرأة كانت تدخل على قريش فتضحكهم فقدمت المدينة فنزلت على امرأة تُضْحِك الناس فقال النبي ﷺ: على من نزلت فلانة؟ فقالت: علـى فلانة المضحكـة، فقال: الأرواح جنود مجندة من تعـارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف. وأصل الحديث في الصحيح "رواه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم" وأنت إذا تأملت الوجود لا تكاد تجد اثنين يتحابان إلا بينهما مشاكلة أو اتفاق في فعل أو حال أو مقصـد فإذا تباينت "اختلفت" المقاصد والأوصاف والأفعال والطرائق لم يكن هناك إلا النفرة والبعد بين القلوب. أ. هـ.

ثم يذكر الإمام ابن القيم آراء الإمام ابن حزم في الرد على من يقول أن الواقع يشهد بخلاف ما يقتضيه كلامه من كون أنه إذا أحب شخص شخصًا أن يكون الآخر يحبه فيشتركان في المحبة وهو الكلام الذي أوردناه في نظرية الإمام ابن حزم.

ثم يذكر النظرية اليونانية الأسطورية في الحب ويرد عليها فيقول: "وأجابت طائفة أخرى أن الأرواح خُلِقت على هيئة الكرة ثم قُسِمت فأي روحين تلاقيتا هناك وتجاورتا تآلفتا في هذا العالم وتحابتا، وإن تنافرتا هناك تنافرتا هنا"... وهذا الجواب مبني على الأصل الفاسد الذي أصله هؤلاء أن الأرواح قبل الأجساد وأنها كانت متعارفة متجاورة هناك، تتلاقى وتتعارف. وهذا خطأ، بل الصحيح الذي دل عليه الشرع والعقل أن الأرواح مخلوقة مع الأجساد وإن مضى على النطفة أربعة أشهر ودخلت في الخامس وذلك أول حدوث الروح فيها ومن قال أنها مخلوقة قبل ذلك فقد غلط، وأقبح منه قول من قال أنها قديمة أو توقف في اتخاذ رأيه في هذه المسألة "بل الصواب في الجواب أن يقال: إن المحبة كما تقدم قسمان: محبة عرضية غرضية وهذه لا يجب الاشتراك فيها، بل يقارنها مقت المحبوب وبغضه للمحب كثيرًا، إلا إذا كان له غرض نظير غرضه فإنه يحبه لغرضه منه كما يكون بين الرجل والمرأة اللذين لكل منهما غرض مع صاحبه "كابتغائه منها الشهوة وابتغائها منه المال أو كابتغائهما بعضهما الشهوة معًا" والقسم الآخر محبة روحانية سببها المشاكلة والاتفاق بين الروحين فهذه لا تكون إلا من الجانبين ولا بد، فلو فتش المحب المحبة الصادقة قلب المحبوب لوجد عنده من محبته نظير ما عنده أو دونه أو فوقه [لاحظ مدى إصرار الإمام ابن القيم ومن قبله الإمام ابن حزم على مسألة حتمية حب المحبوبة لمحبه]... فمتى كان جميل الصورة جميل الأخلاق والشيم؟ والأوصاف كان الداعي أقوي وداعي الحب من المحب أربعة أشياء: أولها النظر إما بالعين وإما بالقلب إذا وصف له فكثير من الناس يحب غيره ويفنى فيه محبة وما رآه لكن وصف له، ولهذا نهى الرسول ﷺ المرأة أن تنعت المرأة لزوجها حتى كأنه ينظر إليها "والحديث في

الصحيح" الثاني: الاستحسان فإن لم يورث نظره استحسانًا لم تقع المحبة. الثالث: الفكر في المنظور وحديث النفس به فإن شغل عنه بغيره مما هو أهم عنده منه لم يعلق حبه بقلبه وإن كان لا يعدم خطرات وسوانح [أي يتبقى له من حبه خطرات وسوانح]... فإذا وجد النظر والاستحسان والفكر والطمع هاجت بلابله وأمكن من معشوقه مقاتله واستحكم داؤه وعجز عن الأطباء دواؤه".

وفي سياق شرح الإمام ابن القيم لنظريته في الحب يورد مسألة أثر الجماع [والمقصود به هنا العملية الجنسية على وجه التحديد] في الحب هل يطفئه؟ أم يزيد من قوته؟

وبعد أن يورد الرأيين المتعارضين في ذلك يقول: "فصل الخطاب بين الفريقين أن الجماع الحرام يفسد الحب ولا بد أن تنتهي المحبة بينهما إلى المعاداة والتباغض والقلي كما هو مشاهد بالعيان، فكل محبة لغير الله آخرها قلي وبغض، فكيف إذا قارنها ما هو أكبر الكبائر وهذه غداوة بين يدي العداوة الكبرى التي قال الله تعالى فيها: {الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} [الزخرف ٦٧] ... وأما الجماع المباح فإنه يزيد الحب إذا صادف مراد المحب فإنه إذا ذاق لذته وطعمه أوجب له ذلك رغبة أخرى لم تكن حاصلة قبل الذوق".

ويورد الإمام ابن القيم في رأيه هذا شعرًا لنفسه يقول فيه:

سألت فقيه الحب عن علة الهوي ... وقلت له اشكو إلى الشيخ حاليًا
فقال دواء الحب أن تلصق الحشا ... بأحشاء من تهوى إذا كنت خاليًا
وتتحدا من بعد ذاك تعانقا ... وتلثمه حتى يرى لك ناهيا
فتقضي حاجات الفؤاد بأسرها ... على الأمن ما دام الحبيب مؤاتيًا
إذا كان هذا في حلال فحبذا ... وصال به الرحمن تلقاه راضيًا
وإن كان هذا في حرام فإنه ... عذاب به تلقى العنا والمكاويا

* * *

ما نذهب إليه في نظرية الحب

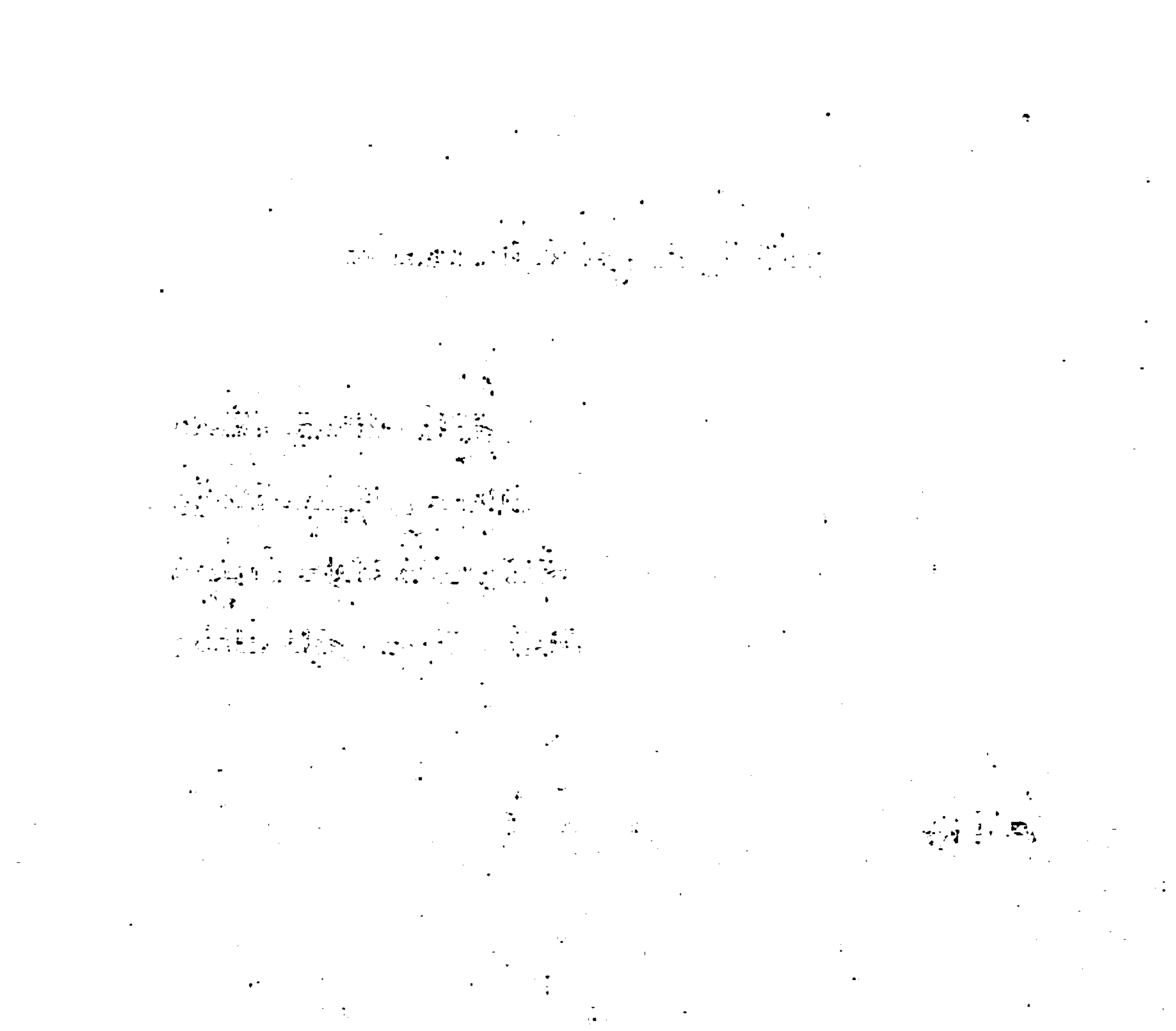
جمَّلتُ بِجَمالك خُلقي

وجّملتُ بخُلقي جمالك

فصرتَ ملاكًا خُلقًا وخَلقًا

ولأنكَ ذاتي صِرت مثالك

م. إ. م



٥ _ ما نذهب إليه في نظرية الحب:

نعم المشابهة هي علة الحب.

ولكن المشابهة في أي شيء هذا هو السؤل؟

والـذي نذهـب إليـه أن هنـاك عدة مشـابهات قد تكون هـي علة الحب بين نفسـي العاشـقين ولكن أهم هذه المشـابهات هي المشـابهة في قوة نفسـي المحبوبين لا من حيث نظر المجتمع، ولكن من حيث نظر المحب نفسه إلى نفسـه وإلى نفس محبوبه، وكذلك من حيث نظر محبوبه إلى نفسـه وإليه سـواء اتفقت هذه الرؤية مع رؤية الواقع الاجتماعى لها أو لم تتفق.

والقاعـدة الأساسـية أن النفس الأقوي تجـذب حولها النفس المماثلـة لها في القوة والنفـوس الأقـل منهـا قـوة وهـذا هو تفسـير أن النفـس الواحدة قـد تحبها عـدة نفوس كمـا يحـدث فـي الواقع ولكن الطبيعـي أن لا تحب هي مـن بينها إلا نفسًـا واحدة. هذه المشـاهدة الواقعيـة هي التي تجعلنا ندفع تلك النظرية التـي تقول أن المحبوب لا بد أن يكـون محبًـا لمن يحبه "وفى الحقيقة فإن هذه النظرية ليسـت نظريـة ابن حزم فقط ومن وافقـه على ذلك من الإسـلاميين، ولكنهـا نظرية لها مؤيدوها في الفكر الإنسـاني بوجه عـام. فدوستويفسـكى وهو واحد من أهـم الروائيين في تاريخ الإنسـانية وكازانوفا وهو واحد من أكثر الناس خبرة بالنسـاء يذهبان إلى أنه لا توجد امرأة في الوجود تسـتطيع أن تقـاوم رجـلًا يديم النظر إليها" فالناتج عن كون أن النفـس الواحدة قد تكون محبوبة من أكثـر مـن نفس بينما هي لا تحب من بينها إلا نفسًـا واحـدة أن هناك من يحب ولا يحب في نفس الوقت.

والمحبـوب بـدوره يحب إما نفسًـا تماثله فـي القوة وإما نفسًـا أقوى منهـا فإذا وقع التماثل تحقق السكن وإلا فإن النفس الأقل قوة تسعى لتحقيق التماثل مع النفس الأقوي

وإن كانت هي نفسها ترى أنها تماثلها في القوة ولكن مدفوعا بها إلى إمكاناتها الأعلى.

وفـي كلا الحالتين فإن الأعتقـاد بتحقق التماثل يعني التماثل مع قوة المحبوب مدفوعا بها إلى أعلى أي إلى أقصى ما يعتقد المحب من إمكانات الترقي التي يبتغيها فيه

والاعتقـاد بتحقق هذا التماثل هوأمر ذاتي وموضوعي إلى قدر ما في نفس الوقت ؛ وهـو أمـر ذاتـي لأنه يرجـع إليهما فقط ومن هـذا القول أنكـم لاترونـه بعيني .وهو موضوعـي إلى قـدر ما لأن المحب يرى بالفعل في المحبوب مالا يراه الأخرو ن ولو رأوه لقدروه نفس التقدير أوما يقاربه لأن الحب يفجر في نفس المحبوب في لحظات الحـب الخاصـة جمالا.. بل قوة بمعنى أشـمل لـو رآها الآخرون لأقـروا بها . وكلما اقترب التماثل تحقق السـكن فإذا تحقق التآلف والسـكن تقاربت صفات المحبوبين واكتمـل التماثـل فـي كل تلـك الصفات حتـى يحدث المـزج فلا يعد يـدرى أي من المحبوبيـن هـل صفاته هي صفاته هو نفسـه أم صفات محبوبـه؛ لأن المزج صنع من ذاتيها ذاتاواحدة دون أن يعني ذلك فقدان كل من الذاتين الأصليتين اسـتقلالهاحيث تغدو رعاية هاتين الذاتين الدائم لهذا الحب بمثابة المعين الأساسي لإنماء هذه الذات الجديدة.

مـن الذي وضع هذا فـي طريق ذاك ومن الذي وضع ذاك في طريق هذا ومن الذي جعلهما يعتقدان أنهما متماثلان في قوة ذاتيهما هذا التماثل مع أن ما هو ذاتي في هذا الأمر أكبر كثيرا مما هو موضوعي ؟.

الإجابة عن ذلك مستحيلة؛ لأن هذه الأمور أمور قدرية لا يعملها إلا الله.

وعمليـة اكتمـال التماثـل فـي الصفـات الأخـرى حتى يتحقـق المزج بين نفسـي العاشقين هي أمر أعجب من العجب؛ لأنه بعد حدوث التآلف بين المحبوبين فإن كل محب يكون منجذبًا إلى أن تشابه صفاته صفات محبوبه حتى يقتربان في كل صفة إلى نقاط التماس ثم إلى المطابقة ثم إلى التماس التام أو التطابق في كل الصفات.

فإن كان أحدهما شرسًـا والآخر موادعًا وجدتهم يلتقيان عند نقطة ما بين الشراسة

والوداعة.

وإذا ثبت أحدهما علس صفة من الصفات نتيجة اقتناع ما وجدت الآ]ر ينتقل إليها ولـو بعد عنتٍ من الأول خصوصًا إذا كانت أقرب إلى الروحانية، بل أن الذي يحدث إن صدق الحب بينهما وتعمق أن هناك طفرة روحية تحدث لهما معًا فتطهرهما وتسمو بهمـا إلى مدارج عليا مـن الإيمان فإذا كان أحدهما متكبـرًا والآخر متواضعًا وجدت المتكبـر يغدو متواضعًا والمتواضـع يغدو أكثر ترفعًا أو وجدت المتكبر غدا متواضعًا إذا ثبت الثانى على حاله وربما انتقلا الاثنين معًا إلى درجات أكبر من المتواضع.

والحكاية أظهر بالنسبة للانهماك على ماديات الدنيا فإذا كان أحدهما متكالبًا على ماديـات الدنيـا وبهارجها والآخر زاهدًا وجـدت الأول اقترب مـن الثانى وصار أكثر زهـدًا ووجـدت الثانى اقترب من الأول وصار أكثر تنعمًا فـإذا ثبت الثانى على موقفه وجـدت الأول انتقـل إلى موقف الثاني، بـل قد يرقيا معًا إلى درجـات أكبر من الزهد والروحانية.

هـذا التآلـف بين المحبوبيـن يصنع هذه الدرجـة الرائعة من التماثـل في الصفات الروحية حتى يحدث المزج التام بينهما فلا تعلم ما هي الصفات الخاصة بهذا أو ذاك ويما يتشابه أحدهما بالآخر.

بـل الأغـرب من ذلك أن التشـابه بينهما يكـون أيضًا في حركة الأعضـاء وعاداتها فتجدهما يتشابهان في طريقة السير والأكل والكلام والضحك، بل في كل التصرفات والأفعال.

ولكـن العجـب العُجاب هو تشـابههما في الشـكل أيضًا وتفسـير ذلك أن صفات النفـس الداخلية للإنسـان تنعكس علـى ملامحه إلى الدرجة التي يبلـغ معها الأمر أن تترك آثارها عليها، ولذلك عند حدوث العشق والتآلف والتماثل الداخلى بين روحى العاشقين فإن هذا التماثل النفسي ينعكس على ملامحهما ويترك آثاره عليها.

وليس هذا نهاية العجب في الحب.



الحب فى الفكر الغربي

الحب فى الفكر الغربي

أفلاطون

النظريـة الغربية الأولـى والمكتملة الوحيـدة عن الحب هي نظريـة أفلاطون التي جاءت في كتابه "المأدبة" والتي جاءت على لسـان أستاذه سقراط وإن كان المحللون يرجعون الأفكار التي جاءت في هذه الحوارية إلى أفلاطون نفسه لا سقراط.

وكما جاء في الحوار "أن الحب في نظر سقراط إنما هو ضرب من الشوق أو الرغبة في شـيء يعدمه المرء، ولما كانت الرغبة إنمـا تعني الحاجة أو الافتقار فإن الإيروس "المسـمى الأفلاطوني للحب" يسـعى نحو امتلاك الجميل، دون أن يكون هو نفسه جميلًا. وإن سـقراط يشـرح هذا المعنى في حديثه الطويل، فيقول ما من أحد يشـتهي ما هو حاصل له، لأن القوي لا يشتهي أن يكون قويًا والغني لا يشتهي أن يكون غنيًا.. إلخ وما دام من العبث أن يطلب المرء ما هو مالك له، فإن الإنسـان حين يشـتهي شيئًا يملكـه، إنما هو اشـتهاء صادر عن الحرمان، لأن المحب يرغـب في امتلاك موضوع بعيد عنه أو غير حاصل له... ويقرر سقراط أنه مادام الإيروس يطلب الجمال ويسعى نحو امتلاكه، فإنه ليس في وسعنا أن نضفي عليه صفة الجمال. هذا إلى أن الخير – في رأي سقراط – هو في الوقت نفسه الجميل، فإذا كان الإيروس يفتقر إلى الجمال فهو يفتقر بالتالي إلى الخير أيضًا... والحق أننا لو تسـاءلنا: "ماذا يحب العاشق في الشيء الجميل الذي يعشـقه؟" لكان الجواب حتمًا "إنه بلا ريب يحب امتلاك هذا الشـيء" فإذا عاودنا السـؤال: "ماذا ينفع امتلاك الأشـياء الجميلة، أو ما الفائدة التي تعود علينا من وراء امتلاك الأشياء الطيبة؟" كان الرد بلا شك: "أن الإنسان يحب امتلاك الجمال أو الخيـر لأن مـن يمتلك الخيـر لابد من أن يظفر بالسـعادة".. ويصحح سـقراط من

تعريفه للحب فيقول أنه ليس على وجه الدقة مجرد شوق إلى الجمال، بل هو نزوع نحو التكاثر أو رغبة في التناسل تثور في النفس تحت تأثير مشاهدة الجميل.

وإذا كان الإنسان أحرص ما يكون على التناسل فذلك لأن تكاثر النوع هو الذي يكسبنا خلودًا أو بقاءًا في هذه الحياة الدنيا الفانية. ومن هنا يكون في وسعنا أن نقول إن الحب ليس شوقًا إلى الخير أو رغبة في اقتنائه، بل هو تطلب لاستمرار هذا الخير، ورغبة في تملكه بصفة مستديمة، وشوقنا إلى الدوام أو الخلود قد لا يقل عن شوقنا إلى الكمال أو الخير.. وإذن فإن الحب شوق إلى الخلود.

ويعتبر أفلاطون أن على الشخص الذي ينشد الحكمة أن يبدأ منذ صباه بتأمل الأجسام الجديرة بالحب لكي لا يلبث أن يقصر حبه على جسم واحد منها فقط فيرتبط به ويعقد معه الأحاديث التي تؤدي إلى الفضيلة ولكن عليه بعد ذلك أن يعرف أن الجمال الموجود في جسم

ما إنما هو صنو للجمال في أي جسم آخر، ومن هنا فإن عليه أن يرد كل ما في الطبيعة من جمالات متفرقة إلى ضرب واحد من الجمال يضمها جميعًا ألا وهو الجمال المحسوس وهو إذا ما فعل هذا فسيكون في وسعه عندئذ أن يتخلص من التعلق بجمال واحد لكي يعجب بجمال الصور أينما تألق أمام ناظريه...

ولا يزال السالك ينتقل من جمال إلى جمال، ويصعد من علم إلى علم، حتى ينتهي في خاتمة المطاف إلى رؤية الجمال الأزلي المطلق الذي هو الغاية القصوى لكل من الفكر والعاطفة. وعندئذ نراه يتوقف لكي يتأمل ذلك الجمال العجيب الذي تكبد كل هذه المشاق في سبيل الوصول إليه. وكيف لا تقف النفس مذهولة أمام هذا الجمال الفريد، وهي تشاهد أمامها جمالا أزليًا لا يعتريه كون أو فساد ولا يطرأ عليه تزايد أو نقصان ولا يمكن اعتباره جميلًا من جهة ودميمًا من جهة أخرى، أو جميلًا في وقت غير جميل في وقت آخر، أو جميلًا في مكان وزمان آخر..إلخ؟ "إيه .. ياعزيزي سقراط! إن الشيء الوحيد الذي يخلع على هذه الحياة قيمتها إنما هو

ذلك المشـهد: مشـهد الجمال الأزلي الأبدي، وأي شـيء يمكـن أن يكون أعظم من مصير هذا الإنسـان الفاني لو قدر له أن يشـاهد الجمال الذي لا تشوبه شائبة، الجمال في صفاته ونقائه وبسـاطته، الجمال الذي لا يكسـوه لحم، ولا تغطيه ألوان وأشـكال مصيرهـا إلى الفناء، أي مصير يمكن أن يكون أعظم من مصير هذا الإنسـان وقد أتيح له أن يشهد - في صورته الفريدة - ذلك الجمال الإلهي وجهًا لوجه" "١".

مناقشة نظرية أفلاطون:

لو حاكمنا النظرية الأفلاطونية على محك الخبرة الواقعية لوجدنا أنه ليس شـرطًا على الإطلاق أن الأقل قبحًا؟!.

أما قوله أن الحب رغبة في الامتلاك فهو قياس على الأشياء المادية كالذهب والمال والطعـام ومـن الغرابة فـي التفكير أن يختصـر الحب ككائن مادي بكل هذه البسـاطة وبنفس المنطق السابق فلماذا المحبوب الممتلك - على الفرض الأفلاطوني - يحب من يملكه؟!.

والخبرة الواقعية تشهد بأنه حدث كثيرًا في عصر الجواري أن أحب السيد المالك جاريته برغم ملكه لها وامتنعت هي عن حبه.

ثـم يأتي ذلك الانتقال المفاجيء بأن الحب رغبة في التكاثر ومن ثم الخلود الذي يحققـه التكاثر وعلى مـا في ذلك من نقض مقولة كونه رغبة فـي الامتلاك فإن هذا لا يعطينـا تفسـيرًا لأي شـيء لأن الرغبة في التكاثـر متحققة في الفعل الجنسـي دون أن يشترط في ذلك اشتماله على الحب.

ثم تصطبغ النظرية بعد ذلك بالتعالي الأرستقراطي الأفلاطوني الظالم المعروف - كما ظهر جليًا في كتابه الجمهورية - على فاقدي الصفات المثلى الجمالية والصحية

١- د. زكريا إبراهيم. مشكلة الحب: ص ١٣١-١٣٩ بتصرف.

مـن البشـر "دعا أفلاطون إلى طرد المصابين بالعور مـن جمهوريته" فيدعو إلى تعليم الناس منذ صباهم تأمل وحب الأجسام الجميلة فقط.. وهذا ظلم بالغ لأغلب الناس. كمـا أن الواقـع المشـاهد يؤكـد أن الحب كيان قائـم في كثير من الأحـوال بين هؤلاء ناقصي الجمال.

أمـا الصعود من الحب المادي إلى الحب الإلهي فكلام جميل لكن يعارضه تمامًا هـذه النفـس المتعالية التي تنظر بـازدراء إلى الغالبية العامة من البشـر التي خلقها الله والتي خلق فيها ضروبًا شتى من الجمال تعامى عنها أفلاطون في نظريته.

والغريـب أن الشـائع لدى النـاس أن الحب عند أفلاطون أو كمـا يرددون "الحب الأفلاطونـي" هو الحـب الروحي بين اثنين لا يهتمان بإقامة علاقة جنسـية بينهما!!!. وكما رأينا فإن ذلك لا علاقة له على الإطلاق بالنظرية الأفلاطونية في الحب.

ماكس شلر

هل يكون "المحب" هو الذي يسـقط على "المحبوب" تلك القيمة التي يتصورها فيه او ينسـبها إليه؟ أو بعبارة أخرى هل يكون "الحب" نفسه هو الذي يبدع تلك القيم العليـا التي يراهـا المحب في موضوع حبه...؟هـذا ما يرد عليه ماكس شـيلر بالنفي، فـإن الحـب لا يخلق قيمـة موضوعه من العدم، وهو لا يسـقطها عليه أو ينسـبها إليه، وإنما الحب فعل ديناميكي ننتقل عن طريقه من القيم الدنيا إلى القيم العليا، فنرى في موضوع حبنا أسـمى ما هو ميسـر له مـن إمكانيات. ومعنى هـذا أن الحب ليس تأملا بـاردا القيمـة موجودة من ذي قبـل في موضوع حبنا، كما أنه ليـس خلقا إبداعيا لقيمة جديـدة لا وجود لها أصلا في هـذا الموضوع، بل هو حركة إيجابية ندرك عن طريقها فـي صميم القيمة العاليـة لموضوع حبنا، تلك القيمة العليا التـي تكمن فيه. ومن هنا

فإن الشخصية الآثمة أو المجرمة التي نحبها هي شخصية تنطوي على بعض القيم العليا أو الصفات الضمنية، ونحن حين نتعلق بها فإننا لا نتعاطف مع مشاعرها الآثمة أو عواطفها الشريرة، بل نحن نحقق ضربا من الاتصال مع ما قد يكون لديها من مزايا إيجابية مصعدة إلى أعلى صورة من صورها. ومن هنا فإن من شأن الحب دائما أن يفتح عيوننا الروحية أكثر فأكثر على ما للموضوع المحبوب من قيم عليا بحيث أن المحب الحقيقي ليصبح أكثر الناس مقدرة على رؤية القيم العليا التي تكمن في باطن موضوعه، بعكس ما يتوهم أولئك الذين يزعمون أن الحب أعمى"[1]:

حقا إن البعض قد يخلط الحب بذلك الانفعال الحسي أو الاندفاع الغريزى الذي "يعمى ويصم"، ولكن من المؤكد أن الحب الحقيقي الذي نكنه لأي موضوع هو الكفيل بأن يرينا من هذا الموضوع ما لا تفطن إليه أعين الغرباء! وأما حين يخلع المحبوب على موضوع حبه صفات ليست فيه، فإن هذا "الوهم" لا يمكن أن يكون ناشئا عن الحب، بل هو في الحقيقة ناجم عن عجز المحب عن التخلص من أفكاره وعواطفه واهتماماته الشخصية. وكثيرا ما يستهدف صرعى الحب الجنسي لهذا الخداع أو الوهم، فنراهم ينزعون نحو المبالغة في تصوير قيمة موضوع حبهم، حتى ليكاد الواحد منهم يجعل منه مثلاً أعلى أو حقيقة علوية أو مخلوقا سماويا... ولكن هؤلاء المحبين هم في الحقيقة - بعكس ما يبدو لأول وهلة - شخصيات "باردة"، إذ أنهم لا يرون القيم الفردية لموضوع حبهم ؛ وهي تلك القيم التي يستطيع الحب وحده أن يزيح النقاب عنها. ولهذا يؤكد ماكس شيلر أن ماهية أية "فردية" غريبة عنا، باعتبارها ماهية خاصة لا تقبل الوصف ولا تصاغ في مجموعة من المعاني أو التصورات، إنما تنكشف لنا بتمامها ونقائها في الحب وحده، نظرًا لما يقترن به الحب من عيان أو مقدرة على الإبصار. وتبعا لذلك فإن المحب يرى من الأشياء أكثر مما يراه الآخرون.

1- Max Scheler: "Nature et Formes de la Sympathie", p. 236.

لأنـه هو وحده الذي يرى أشـياء واقعيـة وموضوعية بكل ما لهاتيـن الكلمتين من معنى! وأما حين يلجأ المحب إلى عمليات الإسـقاط الذاتي والتأويل المثالي Ide-alisation، فهنالك تكون "الأنانية" قد حلت في نفسه محل "حب الغير"، إذ تجيء ميولـه، وأفـكاره ومصالحـه، وأحكامـه التقويميـة، فتجعلـه عاجزا عن تخطـي ذاته، والتحـرر من عملياته النفسـية الخاصة، من اجل الاتجاه نحـو موضوع حبه ومواجهة قيمته على حقيقتها"[1] وربما كانت السـمة الأساسـية التي يتصف بها الحب في مطلع حياتـه هي تلك الصبغة الإطلاقية العذرية التي تجعلنا ندرك شـخصية "الآخر" إدراكا حدسـيا تركيبيا مباشـرا، فنقف على "الآخـر" في وحدته العضويـة، دون أدنى تحليل لعناصره أو تجزئة لمقومات شـخصيته. وليس من شأن الحب أن يتخير فيما يقدم له، بحيـث "يغربـل" الصفات المعروضة أمامه لكي يأخـذ بعضها ويطرح البعض الآخر، وإنمـا يجـيء الحب فيختار شـخصية محبوبه بأكملها، ويقبل كل مـا تنطوي عليه من محاسـن وعيوب. وعلى حين أن هناك "هـواة" amateurs في الحب يعرفون كيف يصنفـون طبائع النسـاء، وكيف يأخذون من هذه بطرف، ومـن تلك بطرف آخر، نجد أن جماعة المحبين amants هم على العكس تماما من جماعة الهواة! وآية ذلك أن الحـب ليس عملية "اختيار" "أو انتقاء" selection لبعض الصفات أو الطباع في كل واحـد، بل هو "انتخاب" إجمالي election massive لهذا الكل، باعتباره شـخصا حيـا هو غاية في ذاته. وإذن فإن المحب يتقبل شـخصية محبوبـة بأكملها، أو هو يريد موضـوع حبه على مـا هو عليه، دون أن يقف من محبوبه موقف المصلح أو المرشـد أو الناصح! ولعل هذا ما عبر عنه ماكس شـيلر حينما كتب يقول: "إن الحب الحقيقي يتميز على وجه التحديد بأننا "نرى" فيه "العيوب" المجسمة لموضوعات حبنا، ولكننا مع ذلك نحب تلك الموضوعات على الرغم مما فيها من عيوب"[2]. ولهذا يؤكد شيلر

1- Jankeelevitch: "Traite des Vertus", Bordas, 1949, p.463-4.

2- m. Scheler: "Nature et Formes de In Sympathie", pp. 237-239.

أن الرغبة في تغيير الآخر، أو تعديل موضوع حبنا، لا تدخل ضمن مقومات الحب من حيث هو كذلك. ومعنى هذا أننا نحب "موضوع حبنا" على ما هو عليه، أو بما ينطوي عليه من قيم، لا على نحو ما نريده أن يكون، أو بما نرجو له من قيم! وكل حب يضع فيه المحب شروطا لمحبوبه، بأن يقول له مثلا إنه "ينبغي لك أن تصبح هذا أو ذاك"، سرعان ما يفقد طابعه الخاص بوصفه حبا، لكي يستحيل إلى شيء آخر! وأما الحب الحقيقي فإن لسان حاله يقول: "لتصبح ما أنت كائنه"، وكأن المحبوب يؤمن في قرارة نفسه بأن الطابع الديناميكي للحب هو الكفيل وحده بتحقيق عملية الترقي الطبيعي للمحبوب..

مناقشة أفكار شلر:

ما يقوله ماكس شيلر يكاد يكون أفضل ما هو موجود لدينا من أفكار الغربيين عن الحب خصوصًا عندما يقول:

"الحب لا يخلق موضوعه من العدم وهو لا يسقطه عليه أو ينسبه إليه وإنما الحب فعل ديناميكي ننتقل عن طريقه من القيم الدنيا إلى القيم العليا، فنرى في موضوع حبنا أسمى ما هو ميسر له من إمكانيات".

وكذلك عندما يتحدث عن الكشف الذاتي والموضوعي الذي يحققه الحب في إبصار المحب للمحبوب "إن ماهية أية فردية غريبة عنا باعتبارها ما هية خاصة لا تقبل الوصف ولا تصاغ في مجموعة من المعاني أو التصورات، إنما تنكشف لنا بتمامها ونقائها في الحب وحده، نظرًا لما يقترن به الحب من عيان أو مقدرة على الإبصار وتبعًا لذلك فإن المحب يرى من الأشياء أكثر مما يراه الآخرون لأنه هو وحده الذي يرى أشياء واقعية وموضوعية بكل ما لهاتين الكلمتين من معنى".

وأزعم أن كلا المقولتين السابقتين تضمنتهما نظريتي عن الحب من قبل أن أقرأ

كلام شيلر هذا.

المهم فيما سبق أن شيلر تحدث بكلام جميل وعميق عن وصف الحب ولكن لم يحمل كلامه أي تفسير للقضية الأساسية فيه وهي: سبب وقوع الحب. وأي أفكار عن الحب لا تتضمن الإجابة عن هذا السؤال لا تجعلها ترقى لمستوى النظرية عن الحب.

أما حديثه عن أن حب المحبوب يعني قبوله كما هو كوحدة عضوية واحدة وأن الحب يختار شخصية المحبوب بأكملها ويقبل كل ما تنطوي عليه من محاسن وعيوب فكلام فيه نظر.

فكون المحب يحب المحبوب كما هو كوحدة عضوية واحدة. بلا شروط فمقبول ونذهب إلى أنه من اليقين أن هذه الوحدة الموضوعية للمحبوب تتشابه إلى حد كبير مع الوحدة الموضوعية للمحب لكن هذا لا يعني أن حب المحب للمحبوب ككل يجعل من بغضه لبعض عناصر هذا الكل منفردة نقضًا لهذا الحب فالمحب يحب المحبوب كما هو وكما يرى برؤياه الكاشفة الخاصة من إمكانات الترقي فيه ولا يعني هذا على الإطلاق أن بغضه لبعض العناصر وتمنيه.. بل وسعيه للترقي بإمكانات المحبوب من هذه العناصر المبغوضة الى ما يقابلها من تسامي لا يعني ذلك فقدانه لحقيقة حبه لمحبوبه ككل.

أما ذهابه إلي أن "الطابع الديناميكي للحب هو الكفيل وحده بتحقيق عملية الترقي الطبيعي للمحبوب" أقول إن هذا الكلام يفترض تحييد الجوانب الأخرى لإرادة المحبين تماما، وحتى لو حدث ذلك فإن هذا الطابع الديناميكي للحب سيؤدي إلى التطابق بين المحبوبين دون أن يعني ذلك الترقي بهما.

نظرية فرويد

أما رؤية دعاة التحليل النفسي للموضوع فمؤداه أن ما يتحكم في اختيارنا لموضوع حبنا هو يقظة بعض الذكريات القديمة أو مواقف الطفولة المبكرة.. وهذا هو السبب في أن الزوجة كثيرا ما تكون شبيهه بالأم، وإن كان التباين نفسه قد يكزن صورة من صور التشابه. والحال هنا أشبه ما يكون بالحال في الحلم: فإن احتمال رؤية حدث ما من الأحداث في الحلم يتضاعف بتزايد حدة الانطباع الحادث، ويتضاءل بقدر درجة الانتباه الموجه إليه. ومعنى هذا أن ما يولد أحلامنا إنما هي تلك الانطباعات التي لم يستطع الشعور أن يمسك بها. وهكذا تظهر في الحلم تلك الأحداث التي أهملناها أو لم نعطها ما تستحق من الاهتمام، فيحلم المرء مثلا بتلك المخاطر التي استطاع أن يتجنبها في حياته الشعورية، دون أن يكون قد فطن إلى درجة خطورتها أو مدى جسامتها. وهكذا الحال أيضا بالنسبة إلى مرحلة الطفولة المبكرة: فإننا نصطدم بالكثير من الأحداث الهامة والانطباعات العنيفة، دون أن يكون لدينا من القدرة العقلية ما نستطيع معه تأمل تلك الأحداث أو تقدير ما يترتب عليها من انطباعات. ولا غرو، فإن مرحلة الطفولة المبكرة هي تلك الفترة التي يكون الانطباع فيها قويا، بينما يكون التفكير في الانطباع ضعيفًا، وذلك نظرا لأن الشعور يكون مستعدا لتقبل الانطباعات الجديدة الواردة إليه من عالم الواقع، مع كونه في الوقت نفسه عاجزا عن إدراكها أو حتى عن مجرد الإحساس بأنها موجودة. ومن هنا فإن الانطباعات التي بقيت كامنة في أعماق اللاشعور، وكأنما هي ذكريات مكبوتة، قد تعود إلى الظهور على سطح الشعور لكي تولد ما يمكن أن نسميه باسم "حلم الحب". وهنا تكون آليات الحب على النقيض من آليات الحلم: فإن الملاحظ في الحلم أن انفعالات النهار هي التي

تولد أخيلة الليل، في حين أن المشاهد في الحب هو أن بعض الانفعالات المظلمة التي كانت غارقة في طوايا ليل الطفولة البعيدة، تجيء فتنبثق في نهار الحياة البالغة الواعية، وتتسبب في حدوث الحالة التي نسميها باسم "تثبيت الحب". ولا شك أن هذه العملية - فيما يقول بعض دعاة التحليل النفسي - هي التي تفسر لنا فجائية الحب، وهي التي تظهرنا على حقيقة أمر تلك الصدمة الانفعالية التي يتخذها "أول حب" في حياة كل فرد منا. وإذا كان البعض منا قد يولع ولعا بالغا بموضوع دميم أو تافه من موضوعات الحب، فذلك لأن ما يروعنا في هذا الموضوع ليس هو امتيازه أو تساميه، بل هو تشابهه مع صورة أخرى سبق لنا أن التقينا بها في ماضي حياتنا، وسبق لنا أيضا أن شعرنا نحوها بانفعال أولي من نوع خاص وهذا هو السبب كذلك في أن بعض النساء السوداويات قد ينجح في توليد عاطفة هائلة من الحب في نفوس أولئك الرجال الذين لم يستبقوا من طفولتهم المبكرة سوى ذكريات أليمة حزينة.

مناقشة نظرية فرويد فى الحب:

هناك فرق بين أن تكون الذكريات القديمة لها تأثير في اختيارنا للمحبوب وأن تكون هي الدافع الأساسي لاختيارنا له فالواقع كما يقول جاتيه: "أن المرأة التي يقع عليها اختيارنا - فيما بين ذلك العدد الكبير من النساء اللاتي نلتقي بهن - ليست تلك التي تتجاوب مع الذكريات الغامضة الموجودة لدينا منذ عهد الطفولة المبكرة، بقدر ما هي تلك التي تستطيع أن تحقق الموقف الذي نحن مرتبطون به متوقفون عليه. ولهذا فإننا نتخير في العادة تلك المرأة التي سيكون في وسعها أن تهبنا السعادة أو الشقاء. وفقًا لما تتجه نحوه ميولنا من سعادة أو شقاء" "١".

أما حكاية أننا نحب شبيهة الأم فيكذبه أن المحبوبة قد يحبها عدة أشخاص فهل

١- نقلاً عن د. زكريا إبراهيم. مشكلة الحب :ص ٢٠٧ .

تكون أمهات هؤلاء الأشخاص ذات شبه واحد.

والواقع يشهد أن الأذواق الجمالية للناس تميل كثيرًا إلى الاختلاف لا إلى التشابه فالبيض أميل إلى السمر والآخرون أميل إلى البيض وهكذا. بل أنه من الناحية البيولوجية الباحته فإن التباعد فى الإقتران بين الأشخاص هو الذى يعطى البشرية قوتها وحيويتها ولو وقفت البشرية على المتشابهين (الأقارب) لانقرضت.

ونظرية التحليل النفسي ذات الأصل الفرويدي لم يعد لها مكانا بارزًا في الغرب ولكن المشكلة لدينا نحن لإصرار العلمانيين عندنا عليها لما بها من تعارض صارخ مع الدين.

أفكار جبريل مارسل

يرفض جبرييل مارسل رفضا قاطعا لفكرة تحول الحب "أو تغيره" لأن هذا المفكر يرى أن "المرء حين يحب كائنا ما حبا حقيقيا، فإنه إنما يحبه في الله. "[1] ومعنى هذا أنني حين أحب شخصا، فإنني أتجاوز ماهيته القابلة للتحديد، لكي أتوجه بحبي نحو ما هو "أبدى" في ذات هذا الشخص. فالمحب يضع محبوبة فوق شتى الأحداث، والأعراض، والتقلبات، والتغيرات، فضلا عن أنه يتخطى في حبه دائرة "الحكم" التي يمكن في نطاقها تصنيف المحبوب، أو وصفه، أو تحديده، أو وضعه في قائمة. وعلى حين أن المعرفة الموضوعية تتجاهل كل "تعال" أو "مفارقة transcendane"، نرى الحب - فيما يقول مارسل - يؤمن بالتجدد المستمر للموجود، ويعتقد أنه لا يمكن مطلقا أن يضيع شيء في عالم الحب الأبدي الخالد! ولإن كان في وسع الأنا - من حيث إنه ذات مفكرة - أن يحكم على الأنت - من حيث هو موضوع لتلك الذات - إلا أننا يجب أن نتذكر دائمًا أن "الأنا" حين يحكم على "الأنت"، فإنه لا يحكم

1- Gabriel Marcel: "Journal Metaphysique", NRF., Gallimard,

عليه إلا باعتباره "موضوعًا"، أعني في أفعاله. وأما حين يتعلق المحب بمحبوبه، أعني حين يحيله من موضوع إلى ذات، فإنه عندئذ يكف عن إصدار أي حكم عليه. ولو أننا تساءلنا مع مارسل "من أين يستمد الحب تلك الجرأة التي تجعله يتخطى كل معرفة موضوعية، لكي يؤكد قيمة محبوبه فيما وراء كل نسبية وكل عرضية؟"، كان رد الفيلسوف الفرنسي أن الحب يحمل في ذاته وساطة "الإلهي". وهذا هو السبب في أن الحب يعلو على كل تأمل عقلي، ويملك من القدرة ما يستطيع معه أن يؤكد القيمة المطلقة للكائن المحبوب، بأن يرقى به إلى المستوى الإلهي الذي يتعالى فوق كل حكم.

وحين يحب الإنسان موجودا آخر، فإنه يتعلق بكائن فريد من نوعه، إن لم نقل بأن حبه نفسه لا ينصب إلا على ذلك الجانب الإلهي "أو العنصر الفائق للطبيعة" من وجود هذا الكائن المحبوب فنحن نحب "الآخر" من حيث هو سليل الله، أو ربيب الألوهية، وهذا الحب إنما يتم "في الله" نفسه وما دامت الموجودات البشرية إنما تشارك في الله، فإنها تند مثله عن كل حكم. ولكن المهم في الحب – فيما يقول جبرييل مارسل – أنه يفلت من أسر الصيرورة، ويخرج على قيود الزمان، بدليل أنني إذا أحببت شخصا، فإنني سوف أحبه في المستقبل، مهما كان من أمر أفعاله أو تصرفاته. حقا إن هذه التصرفات قد ترضيني أو تغضبني، كما أنها قد تروقني أو تسوئني، ولكنها لن تكون كافية لتحطيم الرابطة التي تجمع بيننا، كما أن عقوق الابن الضال لم يمنع أباه من محبته ومغفرته، وكما أن خطيئة الرجل المذنب لا تمنع الله من حبه والإشفاق عليه. والواقع أنه إذا كان ثمة سر في الحب، فإن هذا السر لا يكمن في موضوع الحب من حيث هو كذلك، بل هو يكمن في نموذج العلاقة التي ينطوي عليها هذا الحب ومهما حاول المحب أن يحصر مزايا المحبوب، أو أن يعدد فضائله، فإن من المؤكد أن عملية جرد الصفات لن تجعل من الحب علاقة شفافة في عينيه...

وكما أنه لا معنى لأن أسائل نفسي: "لماذا كنت أنا من أنا؟" فإنه لا معنى أيضا لأن أتساءل: "لماذا أحبك؟" وهكذا يخلص جبريل مارسل إلى القول باستحالة تفسير الحب، ومن ثم فإنه يرى أن للحب دلالة أونطولوجية تخرج به عن إطار الزمان، لكي تندرج به إلى عالم الأبدية .

مناقشة أفكار جبريل مارسل:

قد يجد خطاب جبريل مارسل تجاوبا من المؤمنين من أمثالي لكنه لا يعني شيئًا بالنسبة للماديين من البشر لأنني إذا أردت أن أقدم نظرية ما لتفسير ظاهرة ما تخص البشر جميعًا فلابد أن أقدم لهم خطابًا موضوعيًا يمكن أن يقتنعوا به جميعًا أما إذا قلت أن الحب ينصب على ذلك الجانب الإلهي من البشر وهو ما يعني الجانب الروحي بالمعنى الإسلامي فإن ذلك يمثل مصادرة مبدئية للماديين ومن ثم يفقد النظرية عموميتها.

ومن ناحية أخرى فإن الحب كما أسلفنا يقع على الذات ككل أو كوحدة موضوعية فإن هذه الوحدة الموضوعية تشتمل على جوانب أخرى غير الجانب الروحي وإذا تعلق التفسير بأشخاص عن الماديين فإن ذلك الجانب يتقلص للغاية "وإن يكن يظل موجودًا بعكس ما يتصور البعض" وعند ذاك يكون من الصعوبة تفسير علاقة الحب بينهم من خلال هذا التصور الروحي.

أفكار سارتر عن الحب

المشكلة الكبرى في الحب – كما يرى جان بول سارتر – ليست هي مشكلة الوفاء، ولا هي مشكلة التفاوت بين الجنسين، وإنما هي مشكلة الصراع بين حريتين.

وهنا يقول سارتر إن نقطة البداية في الاتصال بين الذوات إنما هي "النظر" lere-

gard. والواقع أن "نظرة" الغير إليّ إنما تشعرني بأن لي طبيعة خارجية يراها الآخرون كما يرون سائر الأشياء. وكأنني في نظرهم مجرد "موضوع" يحكمون عليه من وجهة نظرهم الخاصة. ففي نظرة "الآخرين" إلي إنكار ضمني لحقيقتي الباطنية التي لا أملك أن أظهرها في الخارج، لأنها ليست "شيئًا" يمكن أن أجسمه في "موضوع". وتبعا لذلك فإن شعوري بأنني "مرئي" من شأنه أن يترتب عليه بالضرورة شعوري في الوقت نفسه بأنني لا أملك دفاعا أمام حرية الآخرين، مادام في وسعهم أن يحكموا علي كموضوع، وأن يطلقوا علي ما يشاءون من أحكام. ولعل هذا ما عناه سارتر حينما قال "في عبارة قد تبدو لأول وهلة متهافتة": "إن في وسعنا أن نعتبر أنفسنا مستعبدين - أو غير أحرار - ما دام من الضروري لنا أن نبدو - أو أن نظهر - أمام الآخرين.

والحق أن ما يريد الحب امتلاكه إنما هو "الشعور" أو "الضمير"، لا "الجسد" أو "الحقيقة المادية". وكل استعباد للمحبوب، سواء أكان ذلك بالقانون "الزواج" أم بأية وسيلة أخرى، لابد من أن يفضي إلى القضاء على الحب. وحتى حين يشعر المحب بأن عشيقته هي من الخضوع له بحيث أنها لا يمكن أن تفلت منه أو تنأى عنه، فإن هذا الشعور نفسه قد يكون هو الكفيل بالقضاء على حبه لها. والسبب في ذلك أن مثل هذه العشيقة إنما تكون عندئذ قد كفت عن أن تكون "حرية"، في حين أن بيت القصيد في الحب هو أن يمتلك المرء حرية ما من حيث هي حرية"[1].. هذا إلى أن الحرية زمانية، وليس من شأن الحب أن يقنع بالثقة السابقة في أن هذه الحرية كانت قائمة في يوم من الأيام، وإنما هو في حاجة إلى أن يثق بوجودها الآن وفي كل وقت من الأوقات.

وإذا كان من شأن الزواج أن يضمن للطرفين ضربا من الأمن أو الطمأنينة، فذلك لأنه لا يمثل في رأي سارتر أكثر من مجرد تلاصق موضوعين في عالم مادي ثابت. وأما الحب فإنه عبارة عن اختيار مستمر choix continue بمعنى أن العاشق الذي

1- Andre Maurois: "Cinq Visages de lAmour", N.Y., Didier, 1942 pp. 189 - 199.

يحب معشوقته إنما يواصل حبها في كل لحظة.

بيد أن الملاحظ – من جهة أخرى – أن الحب لا يمكن أن يقنع بتلك الصورة العليا من صور الحرية، ألا وهي صورة الالتزام الحر أو العهد الإرادي. وآية ذلك أنه ليس بين المحبين من يرضى بأن يكون حب الآخر له مجرد وفاء للقسم المعقود foi juree؛ وإلا فهل يسر المحبوب أن يقول له المحب "إنني أحبك لأنني التزمت بحبك التزاما حرا، ولست أريد أن أتحلل من عهدي؛ فأنا أحبك لأنني متمسك بالوفاء لنفسي"؟! هذا ما يجيب عليه سارتر بقوله إن المحب ليتطلب القسم، ولكنه يغتاظ في الوقت نفسه من القسم؛ وكأنما هو يريد أن يكون محبوبا من قبل حرية ما من الحريات، ولكنه في الوقت نفسه لا يريد لهذه الحرية – من حيث هي حرية –أن تظل حرة! فالمحب يريد من جهة أن تأخذ حرية الآخر على نفسها عهدا بأن تصبح حبا – ليس في بداية المخاطرة فحسب، بل وفي كل لحظة من لحظاتها أيضا – ، ولكنه يريد من جهة أخرى أن تصبح هذه الحرية أسيرة لذاتها، وأن تنعكس على نفسها، كما هو الحال مثلا في الجنون أو في الحلم، لكي تريد استعبادها أو أسرها، ومعنى هذا أننا في الحب نريد من حرية الآخر أن تتنازل عن استقلالها بمحض حريتها، لكي تصبح أسيرة لنا بمقتضى هذه الحرية ذاتها! وإذن فإن ما نريده لدى الآخر ليس هو الحتمية العاطفية، ولا هو الحرية التي لا سبيل إلى بلوغها أو السيطرة عليها، بل هو تلك الحرية التي تلعب دور الحتمية العاطفية، لكي لا تلبث أن تقع أسيرة لهذه اللعبة نفسها!

ولا يريد المحب لنفسه أن يكون مجرد علة لهذا التغير الجذري الذي يطرأ على حرية الآخر، بل هو يريد أن يكون منه بمثابة المناسبة الفريدة الممتازة. والسبب في ذلك أن المحب لا يريد أن يدفع بمحبوبه إلى صميم العالم، وكأنما هو علة تتحكم في أداة أو "موضوع" تعلو عليه، بل هو يريد – على العكس من ذلك – أن يكون "كل شيء في العالم" بالنسبة إلى المحبوب، أو أن يكون بمثابة الموضوع الذي تقبل

حريـة الآخر الاسـتغراق فيه، وكأنما هو وجودها نفسـه أو المبـرر الوحيد لوجودها.
ولهذا يقرر سـارتر أن المحب لا يريد أن يؤثر على حرية الآخر، بل هو يريد أن يوجد وجـودا أوليا سـبقيا apriori باعتباره الحد الموضوعي لتلـك الحرية، وكأنما هو قد وجـد منـذ البداية مع تلك الحريـة في صميم انبثاقها، بوصفه الحـد الذي لابد لها من أن تتقبله لكي تكون حرة. ومن هنا فإن المحب لا يريد للعالم أن ينكشـف للمحبوب إلا ابتـداء منه، وكأن عليه ان يعمل على إيجاد الأشـجار، والميـاه، والمدن، والقرى، والناس الآخرين، لكي يهب هذا كله من بعد للآخر على صورة "عالم" يركبه الآخر! أو ربما كان الأصح أن نقول إن المحب يريد أن يكون بمثابة القرار أو "الخلفية" التي سـيبرز من فوقها عالم الآخر! فليس في وسع المحبوب أن ينظر إلي باعتباري دميما، أو قصيـر القامـة، أو جبانا، أو ما إلى ذلك، وإنمـا هو لابد من أن يراني بوصفي حقيقة كلية مطلقة، يفهم ابتداء منها سائر الموجودات الأخرى وشتى أفعاله الخاصة. ومعنى هـذا أن المحـب عاجز بالضرورة عن رؤية ما في وجودي مـن تحدد أو تناه، لأنني لا أبـدو أمامه باعتباري مجرد مجموعة من الصفات المتناهية، بل باعتباري كلا متكاملا ينطوي على ما لا نهاية من الإمكانيات!

ولا يريـد المحبـوب أن يظفـر بحب الآخر فحسـب، بل هـو يريد أيضـا أن يكون اختيـار الآخـر له من حيث هـو محبوب قد تم بمحض حريتـه. ونحن نعرف كيف أن "المحبـوب" فـي بعض اصطلاحات الحب الجارية قد يسـمى باسـم "المختار" أو "المصطفى" l'eiu ولكن من الواجب ألا يكون هذا الاختيار نسـبيا أو عرضيا، فإن المحب ليستاء ويحنق كثيرا حين يشعر بأن المحبوب قد اختاره هو بين آخرين، فضلا عـن أنه يشـعر عندئذ بأن في هـذا الاختيار العرضي انتقاصا لقيمتـه. وهذا هو الأصل في تلك العبارات التي طالما ترددت على ألسنة العاشقات من النساء: "إذن، فلو أنني لـم أذهـب إلـى تلك البلدة، أو لـو أنني لم أكن أتـردد على عائلة فـلان، أفكنت بقيت غريبة عليك، وبالتالي لما كنت قد أحببتني؟". والواقع أن هذا الخاطر كثيرا ما يجز في

قلوب العشاق: فإنه يشعرهم بأن حبهم ليس إلا مجرد حالة واحدة بين حالات أخرى كثيرة، وأنه ليس إلا مجرد مناسبة عرضية حددتها بعض الظروف أو الملابسات، فهو لا يخرج عن كونه "حبا في العالم"، أعني موضوعا يفترض العالم، ويمكن بدوره أن يوجد بالنسبة إلى الآخرين، وأما ما يريده الحب على وجه التحديد، فهو ما قد يعبر عنه العشاق أحيانا بلغتهم الخرقاء الموسومة بطابع "الشيئية": chosisme ، حينما يقولون "إن كلا منا كان مجعولا للآخر"، أو "إن روحينا كانتا منذ البداية روحين متآخيتين".. إلخ. والحق أن ما يريده المحب إنما هو أن يكون المحبوب قد جعل منه "اختيارا مطلقا"، وكأن أي اختيار آخر لم يكن منذ البداية سوى ضرب من المستحيل! "فأنت لم تكن لتستطيع أن تختار موجودا آخر غيري، وأنا لم أكن لا أستطيع أن أختار موجودا آخر غيرك"! ونحن نعرف كيف أنه ليس أقسى على نفس المرأة العاشقة من أن تطوف بخاطرها ادنى فكرة قد توحي إليها بأن اختيار الرجل قد وقع عليها لمجرد أنها "كانت أجمل من غيرها، أو أذكى من الأخريات، أو حتى بسبب ما تنطوي عليه نظراتها من سحر أو جاذبية!".

والسبب في ذلك أن كل ما يخلع على اختيار الرجل طابعا نسبيا لابد من أن يثير امتعاض المرأة، ما دامت هي تريد دائما من الرجل أن يكون اختياره لها اختيارا مطلقًا، جوهريًا ، إلهيا. وهذا ما عبرت عنه إحدى الشخصيات الروائية لدى سارتر بقولها: "لقد كانت حريتي وحريته – قبل أن يتعرف أحدنا إلى الآخر – قائمتين ، وكانت كل واحدة منهما تترقب الأخرى. " وهذه برنيس Berenice في رواية أوريليان Aure-lien تصبح في وجه عشيقها، بعد أن عرفت أنه كان يحب قبلها امرأة أخرى: "أقسم لي أنك كنت تحبني في شخص تلك المرأة"! فيقسم لها عشيقها بذلك! وإذا كان ثمة حقيقة – في نظر العاشقين – تسبق ماهيتها وجودها، فتلك هي "الحب". أجل، فإن الحب في رأيهم ماهية قد تقدمت عليهم، وهم يتفرضون أنه لا حاجة بهم إلى القول

بأن حبهم لن ينتهي أبدا، فتلك حقيقة مفروغ من أمرها"[1].

والحب في رأي سارتر هو ضرب من الاستحالة absurdite، لأنه يردنا في النهاية إلى عزلتنا الأصلية. وآية ذلك أن المحب حين يعمل على أن يكون محبوبا من قبل حرية أخرى، فإنه عندئذ إنما يقع في تناقض واضح صريح. وفضلًا عن ذلك فإن المرء حين يحب، فإن معنى هذا أنه يريد أن يكون محبوبا، وأنت حين تريد أن تكون محبوبا، فكأنك تريد أن تضع الغير تحت سيطرة إرادتك الخاصة، وبالتالي فإنك تنتهي من حيث بدأت! وإذن فإن الحب استبداد شعوري يريد من ورائه الضمير أن يحقق مهمة مستحيلة هي التوفيق بين القسر والحرية، إذ يحاول التأثير على حرية الغير.. حقا إن الضمير لا يريد القضاء على حرية الغير، ولكنه يريد استعباد هذه الحرية من حيث هي حرية، أعني أنه يريد استعبادها من قبلها هي نفسها! ولا شك ان هذا ضرب من المحال.

وإذن فإن الحب – في رأي سارتر – حتى بمقتضى تعريفه ذاته، إنما يحمل في باطنه بذور فنائه. وآية ذلك أن كل شعور فردي يحاول عن طريق الحب أن يضع "وجوده من أجل الغير" في مكان حصين، بالالتجاء إلى حرية الآخر، وكأن الآخر هو فيما وراء العالم من حيث هو ذاتية محضة، أو كأنما هو المطلق الذي بمقتضاه يقدم العالم إلى الوجود! ولكن يكفي أن يجيء شخص ثالث ينظر إلى الطرفين المحبين، لكي يشعر كل منهما بأنه قد استحال إلى "موضوع". وهنا لا يظل الآخر بمثابة الحقيقة المتعالية التي أستند إليها بوصفها دعامة لوجودي، بل يصبح بمثابة حقيقة متخطاة استطاع شخص ثالث أن يعلو عليها! وهذا هو السبب في أنه بمجرد ما يظهر "الثالث" letiers، فإن الطرفين المحبين سرعان ما يتجمدان، وكأن هذا الشخص الدخيل هو وحش الأسطورة "جورجون مدوز". La Gorgone Meduse الذي يحيل كل ما ينظر إليه من أشياء أو مخلوقات إلى حجارة صلبة.

1- Cr.Robert Campbell: "J.P. Sartre ou Une Litterature Philosophique. ",3ed.P.Ardent,1947,pp.148-149.

ذلك أنه حتى إذا لم يكن هناك شخص آخر يرانا، فإننا مع ذلك نوجد بالقياس غلى جميع الضمائر الأخرى، ونحن نشعر بأننا نوجد بالنسبة إلى هذه الضمائر. وإذن فلا حيلة لنا في القضاء على "العذول"، مادام الآخرون موجودين دائما من حولنا، إن لم يكن في الواقع، ففي شعورنا نفسه!

مناقشة سارتر:

إذا أردنا أن نفهم أفكار سارتر عن الحب فلابد أن نفهم أولًا أنه ينطلق في ذلك من فلسفته الوجودية التي تتقوقع حول الذات المادية الإلحادية وتجعل من الآخر البشري جحيمًا بالنسبة لها حتى أنه سمى مسرحيته التي تتحدث عن ذلك بالجحيم أما الغيبيات كلها فينفيها جميعًا.

ومن ثم فإنه من منظور هذا التقوقع حول الذات والقلق الوجودي الذي تتصف به يكون نظرة الآخرين استعباد للذات لكن هذه الذات هي ذات فلسفته القلقة أما الذات المتسامية غير المتقوقعة حول نفسها التي معيارها للحكم على الأشياء هو ما وراء المظهر فإنه لا يهمها في شيء نظرة الآخر لها الذي معياره المظهر الخارجي ومن ثم فإنه لا يمثل بالنسبة لها أي قيد.

والحب هو توحد إرادات وحريات وليس صراع بينها ولكن فقدان التسامي عند سارتر وذاته المتقوقعة حول نفسها هو الذي يعقد كل تلك الأمور فالحب لايعني رغبة في امتلاك حرية وإنما رغبة في التوحد معها ومن ثم فإنه لا يتم تقييدها في الحب لكي نتحدث عن التناقض الذي يصنعه سارتر وهو كيف يكون الحب امتلاك حرية في نفس الوقت الذي يريد أن يكون امتلاكه لها من حيث هي حرية.

إن التوحد بين الحبيبين في ذات جديدة لا يعني إلغاء الذاتين الأصليين بل أن الإبقاء على الذاتين الأصليين هو القوة الدافعة لتغذية هذه الذات الجديدة فالحب

كمـا هو حالة توحد فهو حالة جدل مسـتمرة لإنماء هـذا التوحد ومن ثم فهو لا علاقة له بإمتلاك الحرية لكي يقع في ذلك التناقض السـارتري. وإنما سـارتر نفسه هو الذي يصنع المشكلة ثم يتحدث عن استحالة حل الحب لها.

والحـب لا يحتاج لقسـم للإبقاء عليـه لأن الحب الصادق لا يمـوت مادامت تتم رعايته والدفاع المستميت عنه في المحن ومن ثم فإذا ضعف التمسك به أمام المحن المتتالية عند بعض الأشخاص فلن يفيد في شيء القسم في الإبقاء عليه أو الإخلاص لهذا القسم.

أما حكاية أن المحب يجب أن يرى العالم من خلالي فهذا أيضًا مصدره تلك النظرة السـارترية المتقوقعـة حول الذات والأنانيـة على وجه التحديد لأن بقـاء الذاتين رغم اتحادهما بالحب يعني بقاء اسـتقلال وعيهما في رؤيا العالم وإنما غاية ما تصنعه حالة التوحد هو التجاذب الجدلي المتنامي بين معياري الذاتيين في الحكم على الأشياء.

أمـا حكاية اشـتراط المحبوب [ماذا لو لم نكن التقينـا فى المكان الفلانى أما كنت قد أحببتنى؟] فهذا تقعير للمسـألة من سـارتر نفسه ولا يوجد من المحبوبين العاقلين أن يتسـائل هذا السـؤال؛ لأن السؤال لا معنى له ... بل هو افتئات على القدر [أو على الضرورة والحتمية فى لفظ الماديين] والتسليم بتدخل القدر فى حياة البشر أمر مسلم به من الجميع وأول من يسلمون بذلك العشاق أنفسهم.

ونفـس مشـكلة ظهـور الثالث هي نفس مشـكلة الآخـر والتي مصدرهـا قلق الأنا وماديتهـا وعدم تساميها وارتدادهـا تحت وقع نظـر الآخرين إليها والوقوع في أسـر اسـتعبادهم لهـا أما إذا تسـامت الذات عن الخضـوع للمعيار الخارجـي للحكم على الأشـياء فإنها تتسـامى في نفس الوقـت عن أهمية من يلتزمون بهـذا المعيار في النظر إليهـا. فيبقـى الثالث كمصدر للحسـد أو إيقاع الضغينة ولكن الرعايـة الدائمة للحب تكون بمثابة الحصانة من تلك الشرور خصوصًا إذا تمت هذه الرعاية في ظل حاضنة لها من الدين.

الحب ليس ضعفًا ولا مرضًا ولا جنونًا

الحب ليس ضعفًا ولا مرضًا ولا جنونًا

ذهب بعض الفلاسفة والأطباء منذ قديم الزمان إلى أن الحب مرض أو داء يصيب المحب وهو أمر تردد كثيرًا في التراث الغنائي للشعوب وتردد معه أنه ليس له دواء وهو نفس الأمر الذي ذهب إليه أغلب أئمة المسلمين الذين تعرضوا لهذا الموضوع.

الحقيقة أن هذا الوصف غير دقيق بالنسبة للموصوف الذي يتعلق به على الرغم من شيوعه بين الناس والعلماء على السواء وما تعرض له العاشقون من آلام ومآس بشرية دون أن يقلعوا عن عشقهم هو الذي جعلهم يذهبون إلى هذا الموقف، على الرغم من أننا لو دققنا النظر في الأمر لوجدنا المشكلة ليست في الحب ذاته ولكن في الحرمان من المحبوب؛ لأن وئام المحب مع محبوبه هو غاية السعادة التي لا يرتجى بعدها مرتجى غير رضى الله والصحة التي هي من أهم نعمة...

فكيف يمكن وصف ذلك بالمرض والعلة؟ فالمشكلة لا تطرح أصلًا إلا في حالة حرمان المحب ممن يحب.

وعلى المستوى الديني فقد ذكرنا فيما سبق الروايات الصحيحة التي تتحدث عن حب الرسول للسيدة عائشة حبًا يفوق حبه لباقي أزواجه أمهات المؤمنين ووصفه ذلك بأنه لا يملك. ومن ثم فلا يصح دينيًا وصف الحب ذاته بالمرض أو الضعف أو مثل ذلك.

وعلى هذا فإننا نستطيع أن نقرر بكل موضوعية بعد استقراء الواقع البشري والديني هذا القانون الذي يحكم الحب في حالة الوئام:

حب + اقتران بالمحبوب = إنعام في السعادة والصحة.

وبقدر ما يكون ابتعاد المحبوب عن محبه بقدر ما يكون الخطب، فالحب في حالة الاقتران أو حتى الأمل في الاقتران هو إنعام في الصحة والقوة وهو صانع المعجزات، كما يردد الناس عبر القرون، فيتحدى أنطونيو الإمبراطورية الرومانية ويستولي على

ممالك الشرق؛ لأنه سيتزوج كليوباترا. ويتزوجها بالفعل. ويخترق فرهاد الجبل ليصنع طريقًا يعبر منه ما دام الملك قد وعده بأنه سوف يكافئه على ذلك أن يزوجه من حبيبته ويغشى عنترة الخطوب ويطارد أعتى الفرسان طالما سيقربه ذلك من عبلة ويحيا مغيث حياته سعيدًا بزواجه من بريرة برغم العبودية التي يعيشان فيها. ويحيا قيس بن ذريح حياة غاية في السعادة مع محبوبته وزوجته لبنى.

ونجيب محفوظ كما يحكى عن نفسه في قصر الشوق كان يحيا فوق السحاب للقاءاته المتعددة مع محبوبته.

أما إذا غادرت كليوباترا بسفينتها المعركة بعد إخبارها بمقتل أنطونيو فإنه يفقد اتزانه ويترك المعركة التي كان يتوقف على أساسها مصير الإمبراطورية الرومانية "أي ملك العالم تقريبًا في ذلك الوقت" ليلحق بمحبوبته كليوباترا فيخسر كل شيء ويقف فرهاد ذليلًا بين يدى الملك يستعطفه أن يفي بوعده بزواجه من محبوبته بعد أن علم أن الملك يريدها لنفسه، ويحيا عنترة ذليلًا لأهل عبلة وهو يردد: "ولولا الهوى ما ذل مثلى لمثلهم ولا خضعت أسد الفلا للثعالب" ويمشي مغيث وراء بريرة وهو يذوب في دموعه بعد أن طلقت منه، ويفقد قيس بن ذريح عقله بعد فقده للبنى وبعد أن كان الشاب الحكيم يغدو بين ليلة وضحاها مجنون لبنى.

ويغدو عالم نجيب محفوظ عالمًا من اليأس والإحباط بلا حدود أو كما قال له الرئيس السادات في يوم ما وقد رآه في زيارة له لجريدة الأهرام: أما كفاك ما تملأ به رواياتك من يأس؟

إنها آلاف المآسي عبر التاريخ وإذا دققنا النظر وجدناها جميعًا لا علاقة لها بالحب ذاته، ولكن علاقتها الحقيقية بالحرمان من المحبوب هنا يكون الضعف ويكون المرض ويكون الجنون وفى قول جامع يكون الابتلاء.

ويقيننا من أن الحب قوة دافعة لا حدود لها بشرط عدم فقدان المحب لمن يحب يأتي من كون كينونة العاشق تلك الكينونة التي يحيا وجوده بوجودها ويفقده وجوده

بفقدها لا تتحقق إلا بالتئامه بمن يحب وتكون ذاته في حالة اندفاع دائم نحو التئامها بمن يحب؛ ولأنه لا وجود للعاشق إلا بتحقيق كينونته فإن ذاته لا ل تهدأ أبدًا إلا بتحقيق هذا الالتئام وهذا الدفع الشديد الذي يطلقه الحب في ذات المحب من أجل تحقيق التئامها بذات المحبوب يفجر في ذات نفسها كل قواها الكامنة وهى قوي تفوق قوي الإنسان العادية أضعاف الأضعاف "فقد ذهب كل علماء النفس أن الإنسان العادى يحيا بجزء صغير من قواه العقلية" ويستمر الأمر في زيادة القوة حتى يتحقق الالتئام أي تتحقق الكينونة أي في حالة التئام المحب بمن يحب.

لقد كان هاملت في حالة توهج شديد وهو يحدد قضيته قائلا: "أكون أو لا أكون تلك هي المشكلة".

إن هذه المقولة بالتحديد هي محور تفكير العاشق فالتئامه بمن يحب هو أن يكون وفقده لمن يحب هو ألا يكون وبنفس التوهج في نفس هاملت تطرح القضية في ذات العاشق وبنفس الإصرار أو الرغبة في الإسراع في حسمها دون أن يكون هناك توسط بين الموقفين.

وبكل هذه القوة العاصفة يندفع المحب في تحقيق كينونته ولهذا قيل قديمًا لا تستطيع أية قوة في الوجود أن تهزم جيشًا من العشاق؛ فكيف يقال بعد ذلك أن الحب ضعف؟!

وقد يقال هنا، ولكن قوة الاندفاع هذه قد تجعل العاشق غير منضبط التفكير في توجهه إلى ما يريد. أقول لا شك أنها تصنع قدرًا من التوتر يمثل رغبة قوية في تحقيق شيء ما وإن ارتبطت درجة التوتر هنا بحسب ظروف كل حالة، ولكن دون أن يعني ذلك أن قوة الاندفاع هذه قوة غاشمة فاقدة التفكير، بل إن أعجب الحيل في العالم هي من صنع العُشاق، ومن أهم القوي التي تتفجر في ذات العاشق من أجل تحقيق هدفه هي الحنكة في التفكير وتدبر الأمور بالطريقة التي تمكنه من ذلك، فالمقصود بقوة اندفاع العاشق هي شدة الرغبة في الإسراع في تحقيق الهدف دن أن يعني ذلك

الإسراع الهمجي إلى الهدف بالطريقة التي تؤدي إلى فقدانه، بل أننا نستطيع أن نقول: أن الواقع يؤكد أن العاشق في هذه الحالة يتمتع بصبر بلا حدود، وقد يكون هذا النوع من الصبر هو أكبر القوى التي يفجرها الحب في هذه الحالة.

ثم تأتي بعد ذلك مرحلة أخرى من تفجير الحب للقوة أيضًا وإن تفاوتت في قدرها مع الحالة السابقة وهي حالة نجاح المحب في الوصال بمن يحب فتكون الحالة الجديدة لا تعني فتور الحب في ذات المحب ولكن فتور ثورته لعدم الداعي لها ومن ثم يتوجه المحب بكينونته التي حققها من أجل تحقيق كينونة أكبر دون أن يعني ذلك أنه يفقد أو يهمل كينونته التي حققها. فهو يريد أن يدفع حبه الذي حقق كينونته بالتئامه بمن يحب إلى العالم الأكبر مثل عشيرته أو أمته أو الإنسانية جمعاء أو إلى ما هو أعظم من كل ذلك إلى رضاء الله سبحانه وتعالى. ومن ثم يكون هذا الوئام بين الحبيبين هو سموهما معًا من أجل تحقيق كينونة كبرى تجمع كينونة حبهما وأهدافهما الكبرى التي يطمحان إليها معًا.

ويجب ملاحظة أن المحب قد تكون أنهكت قواه في المرحلة الأولى التي كان يسعى فيها التئامه مع من يحب فيميل إلى الهدوء والدعة والخلود إلى الراحة في نعيم سعادته إلى فترة ما تطول أو تقصر بحسب القوة الذاتية لذلك المحب وبحسب ما بذله من قوة.

واتهام الحب بالضعف يصدر إما عن مادية في التفكير وإما عن ضعف حقيقي في من يتحدثون عن ذلك؛ لأن المادية في التفكير تجعل للأمور معاييرًا أخرى لا علاقة لها بكل ما يفكر فيه العاشقون. وهجوم الماديين على الحب هو هجوم على كل ما يتعلق بالأمور الروحية، ومن بينها الحب بالضرورة، فكل الأمور الروحية ومن بينها الحب بالضرورة، فكل الأمور الروحية بالنسبة للماديين هي من باب الوهم والخداع والسفاهة، ولذلك فإن كل ما يفكر فيه العشاق وكل ما يقدمون عليه بسبب الحب لا ينظر إليه الماديون إلا بعين التسفيه وكلما كبرت المخاطر التي يعرض العاشقون

أنفسهم لها من أجل تحقيق كينونتهم بوصالهم بمن يحبون كلما كان قدر تسفيه الماديين لهم، بل واتهامهم لهم بالجنون.

أما الضعفاء فهم أكثر الناس رهبة من الإقدام على الحب لأن تقديرهم لما سيتبع الحب من مخاطر يؤدي إلى إحجامهم عن الخوض فيه. وكيف يخوض الضعفاء البحر وهم يبصرون لجة موجه؟ إن إقتحام بحر الحب ومخاطره يتطلب قبل كل شيء الأقوياء، بل أقوي الأقوياء، ولكن الضعفاء يحاولون مواراة ضعفهم هذا بالهجوم على العشاق واتهامهم بالضعف والمرض متذرعين بما يتعرض له العشاق من آلام وابتلاءات من أجل تحقيق كينونتهم.

وفي الحقيقة فإن الأمر يستحق الرهبة فماذا لو ضعف الأمل واشتدت المخاطر وحالت بين المحب ومحبوبه جبال المستحيل، بل وماذا لو تأكد الفقدان تمامًا وجثم اليأس الرهيب فوق قلب المحب.

إن المعادلة تختل تمامًا وتحل محلها معادلة جديدة:

حب + حرمان من المحبوب = ابتلاء رهيب.

وبحسب التأكد من الحرمان يكون قدر الابتلاء ويكون نتائجه من ضعف أو مرض، بل قد يكون الموت ذاته.

والابتلاء الرهيب يأتي من مدى اقتناع المحب بعدم الأمل له في وصاله بالمحبوب أي في عدم تحقيق كينونته، ومن ثم في افتقاده لوجوده الحقيقي، ومن ثم فإن تداعي المحب عند فقدانه من يحب إلى الضعف والهزال والمرض والجنون والموت هو بسبب ما يحدث في داخله من فقدان لوجوده ومن هنا جاء ما استقر في الإدراك الشعبي للناس "أن الحب ليس له دواء"؛ لأن الأمر لا يتعلق بأي علة جسمانية فما ذلك إلا مظهر لما يحدث في داخله وما يحدث في داخله لا يتعلق إلا بأمر واحد هو مدى أمله بوصاله بمحبوبه إذن فإذا فقد هذا المحبوب أو فقد الأمل في وصاله فمن أين يأتيه الدواء؟!!

وعلى هذا فلا حل له إلا أن يأتيه الأمل من جديد في وصاله بمن يحب أو أن يصنع هو بنفسه ذلك الأمل حقيقة لا وهمًا أو يكون "اللاحل" ومن هنا يأتي تفسير تلك الجرأة الرهيبة للعشاق على اقتحام المخاطر والركض فوق جمر النيران والحياة بين ألسنة اللهب لأن تأكد العاشق من انتهاء وجوده الفعلي في حالة فقدانه من يحب يجعله يحازف بكل شيء من أجل الدفاع عن أمله فما دامت المسألة أنه سيفقد وجوده بفقدانه من يحب فلماذا لا يجازف بفقدان وجوده من أجل الدفاع عن الأمل فيه، ولهذا فالمسألة منطقية تمامًا في أفعاله المذهلة التي يقدم عليها والتى هي جنون في جنون عند غيره، وهكذا يكون اقتحام أشد المخاطر أمرًا طبيعيًا بالنسبة للعشاق.

وليس له عند ذاك "حالة اليأس الكامل من الوصال بمن يحب لظروف قاهرة" إلا الرضا بما قسمه الله له ولو كان الموت وهل يملك أحد الاعتراض على قدر الله. يقول الإمام ابن القيم في ذلك: "هذا نوع من الابتلاء إن صبر صاحبه واحتسب نال ثواب الصابرين، وإن سخط وجزع فاته معشوقه وثوابه وإن قابل هذه البلوى بالرضا والتسليم فدرجته فوق درجة الصبر".

وصدق ابن القيم في قوله فدرجته فوق درجة الصبر. والذي يفعله الكثير من العشاق في هذه الحالة هو انخراطهم بشكل عنيف في الجهاد في سبيل الله حتى ينالوا الشهادة.

ويخبرنا التاريخ والواقع أنه في حالات محدودة قد يحدث حل عجيب ومذهل وهو حالة إحلال العاشق وجوده بما يعنيه ذلك من حياته الروحية في وجود آخر قد يكون قضية كبرى يهب حياته الروحية كاملة من أجلها وإن يكن وجوده في حالة الإحلال الجديدة هو أيضًا وجودًا نحو الموت فتجده دائمًا في تحركه في قضيته الكبرى ينزع نحو الموت. ويوجد لعملية الإحلال هذه مثال خطير في مفكر إسلامي من أشهر مفكرينا الإسلاميين في القرن العشرين، وقد أدت كتاباته المتوهجة إلى أن مات شهيدًا بالفعل يرحمه الله رحمة واسعة.

الزواج بالإكراه زواج باطل

الزواج بالإكراه زواج باطل

النصوص:

١ ـ "ابن عباس قال رسول الله ﷺ الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن نفسها وإذنها صمتها. رواه الجماعة إلا البخاري وفي رواية لأحمد ومسلم وأبي داود والنسائي: والبكر يستأمرها أبوها وفي رواية لأحمد والنسائي: واليتيمة تستأذن نفسها. وفي رواية لأبي داود والنسائي: ليس للولي مع الثيب أمر واليتيمة تستأمر تنهمتها إقرارها".

٢ ـ "وعن خنساء بنت خدام الأنصاري أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك، فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها. أخرجه الجماعة إلا مسلمًا".

٣ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن، قالوا يا رسول الله وكيف إذنها؟ قال أن تسكت. رواه الجماعة.

٤ ـ وعن عائشة قالت: قلت يا رسول الله يستأمر النساء في أبضاعهن؟ قال: نعم، قلت إن البكر تستأمر فتستحي فتسكت، فقال سكاتها إذنها. وفي زواية قالت: قال رسول الله ﷺ البكر تستأذن. قلت إن البكر تستأذن وتستحي، قال إذنها صماتها. متفق عليه.

٥ ـ وعن أبي موسى أن النبي ﷺ قال: تستأمر اليتيمة في نفسها، فإن سكتت فقد أذنت، وإن أبت لم تُكره. رواه أحمد.

٦ ـ وعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ تستأمر اليتيمة في نفسها، فإن سكتت فهو إذنها، وإن أبت فلا جواز عليها. رواه الخمسة إلا ابن ماجة.

٧ ـ وعن ابن عباس أن جارية بكرًا أتت رسول الله ﷺ فذكرت أن أباها زوجها وهي كارهة فخيرها النبي ﷺ. رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة والدارقطني ورواه

الدارقطني أيضًا عن عكرمة عن النبي ﷺ مرسلًا وذكر أنه أصح.

٨ ـ وعن ابن عمر قال: توفي عثمان بن مظعون وترك ابنة له من خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص، وأوصى إلى أخيه قدامة بن مظعون قال عبد الله وهما خالاي فخطبت إلى قدامة بن مظعون ابنة عثمان بن مظعون فزوجنيها ودخل المغيرة ابن شعبة، يعني إلى أمها فأرغبها في المال فحطت إليه وحطت الجارية إلى هوى أمها فأبتا حتى ارتفع أمرهما إلى رسول الله ﷺ فقال قدامة بن مظعون يا رسول الله ابنة أوصي بها إليّ فزوجتها ابن عمتها فلم أقصر بها في الصلاح ولا في الكفاءة ولكنها امرأة وإنما حطت إلى هوى أمها، قال فقال رسول الله ﷺ هي يتيمة ولا تنكح إلا بإذنها قال: فانتزعت والله مني بعد أن ملكتها فزوجوها المغيرة بن شعبة. رواه أحمد والدارقطني.

٩ ـ وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه وإنما ليرفع بي خسيسته قال: فجعل الأمر إليها، فقالت: قد أجزت ما صنع أبي، أردت أن أعلم النساء أن ليس إلى الآباء شيء. رواه ابن ماجة وأحمد والنسائي من حديث ابن بريدة.

* * *

موقف الإمام البخاري:

من الواضح أن الإمام البخاري كان له موقف حاسم من بطلان الزواج بالإكراه شدد على إظهاره تشديدًا قويًا حتى أنه بوب لذلك الموضوع ثلاثة أبواب هي:

١ ـ لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها.

٢ ـ باب إذا زوج ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود.

أما الباب الأخير فقد شنع بهذا النوع من الزواج تشنيعًا شديدًا حيث قرن بينه وبين الإكراه على البغاء "وسوف نشرح هذه النقطة فيما بعد". فجاء كلامه في هذا الباب كالتالي:

٣ ـ باب لا يجوز نكاح المكره:

وذكر تحته قوله تعالى: {وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: ٣٣].

عن خنساء بنت حزام الأنصارية أن أباها زوجها وهي قد كرهت ذلك فأتت النبي ﷺ فرد نكاحها، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله يستأمر النساء في أبضاعهن؟ قال نعم قلت إن البكر تستأمر فتستحي فتسكت قال: فسكاتها إذنها".

وقال ابن حجر العسقلاني تعليقًا على ما جاء في الباب: وقد استشكل بعضهم مناسبة الآية للترجمة. [أي لموضوع الباب] وجوازه أنه منه يستفاد مطلوب الترجمة بطريق الأولى لأنه إذا نهي عن الإكراه فيما لا يحل فالنهي عن الإكراه فيما يحل أولى قال ابن بطال: ذهب الجمهور إلى بطلان نكاح المكره.

وذكر ابن حجر رواية أخرى للحديث عن عائشة أيضًا أنهى رسول الله ﷺ عن الجارية "الفتاة" ينكحها أهلها هل تستأمر أم لا فقال: نعم تستأمر".

عـن أبـي هريـرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قـال: "لا تنكح الأيم حتى تسـتأمر ولا تنكح الثيب حتى تستأذن. قالوا: يا رسول الله وكيف إذنها قال أن تسكت".

* * *

الإمام الصنعانى في سبل السلام:

أما الإمام الصنعانى فيقول:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسـول الله ﷺ قال: "لا تنكح الأيم حتى تسـتأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن" قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟

قال: "أن تسكت" متفق عليه.

والمقصود بالأيم التي فارقت زوجها بطلاق أو موت.

وبعد أن يذكر الحديث يعلق عليه قائلًا: فيه أنه لا بد من طلب الأمر من الثيب فلا يعقـد عليها حتـى يطلب ولى الأمر منها الإذن بالعقد والمراد من ذلك اعتبارها؟ وهو معنـى أحقيتها بنفسـها من وليها في الأحاديـث وقوله و"البكر" أراد بهـا البكر البالغة وعبر هنا بالاسـتئذان وعبر في الثيب بالاسـتمار إشـارة إلى الفـرق بينهما وأنه متأكد مشاورة الثيب ويحتاج الولي إلى صريح القول بالإذن منها في العقد عليها والإذن من البكر دائر بين القول والسـكوت بخلاف الأمر فإنه صريح في القول وإنما اكتفى منها بالسـكوت لأنها قد تسـتحي من التصريح وقد ورد في رواية أن عائشة قالت يا رسول الله إن البكر تسـتحي قال: رضاها صماتها "أخرجه الشـيخان، ولكن قال ابن المنذر يستحب أن يعلم أن سكوتها رضا وقال سفيان: يقال لها ثلاثًا إن رضيت فاسكتي وإن كرهـت فانطقي... والحديث عـام للأولياء من الأب وغيره في أنه لا بد من إذن البكر البالغـة وإليه ذهب الهادوية والحنفية وآخرون عملًا بعموم الحديث وبالخاص الذي أخرجه مسلم بلفظه "والبكر يستأذنها أبوها".

قـال الإمـام محمد بن إسـماعيل الصنعانـى تعليقًا عما رواه ابن عبـاس رضى الله عنهمـا أن جارية بكرًا أتت الرسـول ﷺ فذكرت أن أباهـا زوجها وهى كارهة فخيرها رسول الله ﷺ.

رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة.

قال: الطعن في الحديث لا معنى له لأن له طرقًا يقوي بعضها بعضًا وقد تقدم حديث أبي هريرة المتفق عليه. "ولا تنكح البكر حتى تستأذن".

وهذا الحديث أفاد ما أفاده فدل على تحريم إكراه الأب لابنته البكر على النكاح.

* * *

الإمام الشوكاني في نيل الأوطار:

أمـا الإمام الشـوكاني فبعد أن يذكر الأحاديث السـابقة يعلق عليهـا فيقول: "قوله" يسـتأمرها أبوهـا "الاسـتئمار طلب الأمـر والمعنى لا يعقـد عليها حتـى يطلب الأمر منهـا... قوله "لا تنكح الأيم حتى تسـتأمر ولا البكر حتى تسـتأذن" عبر الثيب "يقصد الأيـم التـي تركها زوجها بطلاق أو موت "بالاسـتئمار والبكر بالاسـتئذان فيؤخذ منه فرق بينهما في جهة الاسـتئمار يدل على تأكيد المشاورة وجعل الأمر إلى المستأمرة، ولهـذا يحتاج الولي إلـى صريح إذنها فإذا صرحت بمنعه امتنـع اتفاقًا والبكر بخلاف ذلـك والإذن دائـر بيـن القول والسـكوت بخـلاف الأمر فإنـه صريح فـي القول "أي أن سـكوت البكـر فـي الموافقـة كاف ولكن الثيب يتطلـب فيها الصراحـة بالقول في الموافقـة" وينكـر عليه [أي يقلل من تأكيـده على هذه المفارقة] ما فـي رواية حديث ابـن عبـاس مـن أن البكر يسـتأمرها أبوها وأن اليتيمة تسـتأمر وصمتهـا إقرارها، وفي حديث عائشـة أن البكر تسـتأمر وإلـخ وكذلك في حديث أبي موسـى وأبي هريرة... وقد اسـتدل بأحاديث الباب على اعتبار الرضا من المرأة التي يراد تزويجها وأنه لا بد من صريح الإذن من الثيب ويكفى السكوت من البكر والمراد بالبكر التي أمر الشارع باسـتئذانها هي البالغة... والصحيح الذي عليه الجمهور استعمال الحديث في جميع الأبكار وظاهر أحاديث الباب أن البكر البالغة إذا زوجت بغير إذنها لم يصح العقد... والظاهر أن اسـتئذان الثيب والبكر شرط في صحة العقد لرده ﷺ لنكاح الخنساء كما فـي الحديث المذكور وكذلـك تخييره ﷺ للجارية "الفتاة" كما في حديث ابن عباس المذكـور وكذلـك حديـث أبي هريرة لمـا فيه من النهـي [يقد قول الرسـول ﷺ: فإن سكتت فهو إذنها وإن أبت فلا جواز عليها].

* * *

موقف الإمام ابن تيمية:

يقول الإمام ابن تيمية عن بطلان الزواج بالإكراه:

"وهذا ما ندين به ربنا كائنًا من كان الذي يقول غير ذلك" ذكر في الفتاوي.

موقف الإمام ابن القيم:

يقول الإمام ابن القيم عن بطلان الزواج بالإكراه:

أما موافقة هذا القول لأمره [يقصد الرسول ﷺ] فإنه قال والبكر تستأذن وهذا أمر مؤكد لأنه ورد بصيغة الخبر الدال على تحقيق المخبر به وثبوته ولزومه والأصل في أوامره أن تكون للوجوب ما لم يقم إجماع على خلافه وأما موافقته لنهيه فلقوله لا تنكح البكر حتى تستأذن فأمر ونهي وحكم بالتخيير وهذا إثبات بأبلغ الطرق، وأما موافقته لقواعد شرعه فإن البكر البالغة العاقلة الرشيدة لا يتصرف أبوها في أقل شيء من ملكها إلا برضاها ولا يجبرها على إخراج اليسير منه بدون رضاها فكيف يجوز أن يرقها ويخرج بضعها منها بغير رضاها إلى من يريده هو وهي من أكره الناس فيه وهو من أبغض شيء إليها ومع هذا فينكحها إياه قهرًا ويجعلها أسيرة عنده كما قال النبي ﷺ: "اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم" أي أسرى ومعلوم أن إخراج مالها كله بغير رضاها أسهل عليها من تزويجها بمن لا تختاره بغير رضاها... فلو لم تأت السنة الصريحة بهذا القول لكان القياس الصحيح وقواعد الشريعة لا تقتضي غيره"[1].

والحقيقة هي ما قاله ابن القيم أنه حتى لو لم تأت السنة الصريحة بهذا القول ببطلان الزواج بالإكراه لكان القياس الصحيح وقواعد الشريعة لا تقتضي غيره لأنه لو لم تكن مهمة الأنبياء رفع هذا الظلم الشنيع عن الناس فما هي مهمتهم إذن؟!

١- زاد الميعاد: الجزء الرابع: ص ٣-٤.

ومع ذلك فقد شاع في هذا العصر أن تباع الفتيات للصوص والنصابين والمفسدين فـي الأرض فـي بغاء قهري مقنع بالشـرعية يسـمى زواجًا دون أن يثيـر ذلك أحد من المفكرين ولا ندري ما هي الأمور التي يمكن الاهتمام بها أكثر من ذلك والغريب في الأمر أن الجمعيات النسـائية التي تدعي الدفاع عن حقوق المرأة تقيم الدنيا وتقعدها على مسـائل لا تبلغ في أهميتها عشـر معشـار هذه المسـئلة مما يضع هذه الجمعيات في قفص الاتهام بأن مهامها تتركز على الهجوم على قواعد الفقه الإسـلامى الخاصة بالمـرأة وليس بالمـرأة ذاتها ولـم يهتم أحـد بهذا الموضوع إلا السـينما المصرية وإن كانـت قد تناولتـه تناولها التجـارى الخاص وكانت أهـم الأفلام التـي تعرضت لهذا الموضوع هو فيلم "لحم رخيص".

* * *

موقف الإسلام

من الزواج من الزناة الفجرة

موقف الإسلام من الزواج من الزناة الفجرة

النصوص:

١ ـ قال تعالي: {الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [النور: ٣].

٢ ـ "وعن أبي هريرة قال: قال رسـول الله ﷺ: الزاني المجلود لا ينجح إلا مثله. رواه أحمد وأبو داود".

٣ ـ "وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلا من المسلمين استأذن رسول الله ﷺ في امرأة يقال لها أم مهزول كانت تسـافح وتشـترط له أن تنفق عليه قال فاسـتأذن رسول الله ﷺ أو ذكر له أمرها، فقرأ عليه رسول الله ﷺ: "والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك. رواه أحمد".

٤ ـ وعـن عمرو بن شـعيب عـن أبيه عن جـده أن مرثد بن أبي مرثـد الغنوي كان يحمـل الأسـارى بمكـة، وكان بمكة بغي يقال لهـا عناق وكانت صديقتـه قال فجئت النبـي ﷺ فقلـت يا رسـول الله أنكـح عناقًا؟ قال فسـكت عنـى فنزلـت: {وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَـا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْـرِكٌ}. فدعانـى فقرأهـا علّـي وقـال لا تنكحهـا. رواه أبو داود والنسائي والترمذي".

موقف الفخر الرازي

قـال الإمـام الفخـر الـرازى فـي تفسـير الآيـة: إن المفسـرين ذكـروا في تفسـرها وجوهًا.

الوجه الأول: وهو أحسنها، ما قاله القفال: هو من اللفظ وإن كان عامًا لكن المراد منه الأعم الأغلب، وذلك الفاسـق الخبيث الذي من شـأنه الزنا والفسق لا يرغب في

نكاح الصوالح من النساء، وإنما يرغب في فاسقة خبيثة مثله أو في مشركة، والفاسقة الخبيثة لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون منها، وإنما يرغب فيها من هو من جنسها من الفسقة والمشركين، فهذا على الأعم الأغلب كما يقال لا يفعل الخير إلا الرجل التقي، وقد يفعل بعض الخير من ليس بتقي فكذا ههنا:

وأما قوله تعالي: {وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}.

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن نكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها: وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه، لما فيه من التشبه بالفساق وحضور مواضع التهمة، والسبب لسوء المقالة فيه والغيبة. ومجالسة الخاطئين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام بمزاوجة الزواني والفجار!

الآخر: أن صرف الرغبة بالكلية إلى الزواني وترك الرغبة في الصالحات محرم على المؤمنين؛ لأن قوله تعالي: {الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً} معناه أن الزاني لا يرغب إلا في الزانية، فهذا هو المعتمد في تفسير الآية.

الوجه الثاني: أن الألف واللام في قوله تعالي: {الزَّانِي} وفى قوله تعالي: {وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} وإن كانا للعموم ظاهرًا فإنه مخصوص بالأقوام الذين نزلت هذه الآية فيهم.

قال مجاهد وعطاء بن أبي رباح وقتادة: قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء ليس لهم أموال ولا عشائر، وبالمدينة نساء بغايا يكرين أنفسهن وهن يومئذ أخصب أهل المدينة، ولكل واحدة منهن علامة على بابها كعلامة البيطار ليعرف أنها زانية، وكان لا يدخل عليها إلا زان أو مشرك فرغب في كسبهن ناس من فقراء المسلمين، قالوا نتزوج بهن إلى أن يغنينا الله عنهن، فاستأذنوا رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية.

فتقدير الآية أولئك الزواني لا ينكحون إلا تلك الزانيات، وتلك الزانيات لا ينكحن إلا أولئك الزواني وحرم نكاحهن على المؤمنين.

الوجـه الثالـث فـي الجواب أن قوله تعالي: {الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً} وإن كان خبًا فـي الظاهر، لكـن المراد النهي. والمعنـى أن كل من كان زانيًا فـلا ينبغى أن ينكح إلا زانية وحرم ذلك على المؤمنين. وهكذا كان الحكم في ابتداء الإسلام.

وعلى هذا الوجه ذكروا قولين:

أحدهمـا: أن ذلـك الحكم بـاق إلى الآن حتى يحـرم على الزانـي والزانية التزوج بالعفيفـة والعفيـف وبالعكس ويُقال هذا مذهـب أبي بكر وعمر وعلي وابن مسـعود وعائشـة ثم في هؤلاء من يسـوي بين الابتداء والدوام، فيقول كما لا يحل للمؤمن أن يتزوج بالزانية فكذلك لا يحل له إذا زنت تحته أن يقيم عليها.

ومنهـم مـن يفصـل لأن مـن جملة مـا يمنع التزويـج ما لا يمنـع مـن دوام النكاح كالإحرام والعدة.

والقول الثاني: أن هذا الحكم صار منسوخًا.

واختلفوا في ناسخه.

فعن الجبائى أن ناسخه هو الإجماع.

وعن سـعيد بن المسيب أنه منسوخ بعموم قوله تعالي: {فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ} [النساء: ٣]. {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى} [النور: ٣٢].

قال المحققون: هذان الوجهان ضعيفان.

أما الأول: فلأنه ثبت في أصول الفقه أن الإجماع لا ينسخ ولا ينسخ به.

وأيضًـا فالإجمـاع الحاصـل عقيـب الخلاف لا يكـون حجة، والإجمـاع في هذه المسألة مسبوق بمخالفة أبي بكر وعمر وعلي فكيف يصح؟

وأما قوله تعالي: {فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ} فهو لا يصلح أن يكون ناسخًا، لأنه لا بد من أن يشترط فيه ألا يكون هناك مانع من النكاح من سبب أو نسب أو غيرهما.

ولقائل أن يقول: لا يدخل فيه تزويج الزانية من المؤمن، كما لا يدخل فيه تزويجها من الأخ وابن الأخ.

ونقـول: إن للزنـا تأثيرًا في الفرقة ما ليس لغيره، ألا ترى أنـه إذا قذفها بالزنا يتبعها بالفرقـة علـى بعض الوجوه، ولا يجب مثل ذلك في سـائر ما يوجب الحد؟ ولأن من حق الزنا أن يورث العار ويؤثر في الفراش ففارق غيره.

ثم احتج هؤلاء الذين يدعون هذا النسـخ، بأنه سُـئل ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن رجل زنـى بامرأة فهل له أن يتزوجها؟ فأجازه ابن عباس وشـبهه بمن سـرق ثمر شـجرة ثم اشـتراه، وعن النبي ﷺ أنه سُئل عن ذلك فقال: "أوله سفاح وآخره نكاح" والحرام لا يحرم الحلال.

الوجـه الرابع: أن يحمل النـكاح على الوطء والمعنى أن الزانـي لا يطأ حين يزنى إلا زانيـة أو مشـركة وكـذا الزانية {وَحُـرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَـى الْمُؤْمِنِينَ} أي وحـرم الزنا على المؤمنين وعلى هذا تأويل أبي مسلم.

قال الزجاج: هذا التأويل فاسد من وجهين:

الأول: أنـه مـا ورد النـكاح في كتاب اللـه تعالى إلا بمعنى التزويـج، ولم يرد البتة بمعنى الوطء.

الآخـر: أن ذلـك يخرج الكلام عن الفائدة؛ لأننا لـو قلنا المراد أن الزاني لا يطأ إلا الزانية فالإشكال عائد، لأنا نرى الزاني قد يطأ العفيفة حين يتزوج بها.

ولو قلنا المراد أن الزاني لا يطأ إلا الزانية حين يكون زنا فهذا الكلام لا فائدة منه.

موقف الإمام الصنعاني:

يقول الإمام الصنعاني في كتابه سبل السلام:

"عن أبي هريرة] قال: قال رسول الله ﷺ: لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله: رواه أحمـد وأبـو داود ورجاله ثقـات: الحديث دليل علـى أنه يحرم على المـرأة أن تتزوج

بمـن ظهـر زناه ولعل الوصـف بالمجلود بناء على الأغلب في حق مـن ظهر منه الزنى وكذلك الرجل يحرم عليه أن يتزوج بالزانية التي ظهر زناها وهذا الحديث موافق قوله تعالـي: {وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} إلا أنه حمل الحديث والآيـة الأكثر من العلماء علـى أن معنـى لا ينكـح لا يرغب الزانـي المجلود إلا فـي مثله والزانيـة لا ترغب في نكاح غير العاصى هكذا تأولوهما. والذي يدل عليه الحديث والآية النهي عن ذلك لا الإخبـار عن مجرد لرغبة وأنه يحرم نكاح الزاني العفيفة والعفيف الزانية ولا أصح من قوله: {وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} أي كاملى الإيمان الذين هم ليسوا بزناة".

موقف الإمام الشوكاني:

يقول الإمام الشوكاني في كتابه نيل الأوطار:

قوله: "الزاني المجلود" هذا الوصف خرج مخرج الغالب باعتبار من ظهر منه الزنا [أي أن هـذا الوصف وصف للغالب بالنسـبة من ظهر منـه الزنا] وفيه دليل على أنه لا يحـل للمرأة أن تتـزوج من ظهر منه الزنا وكذلك لا يحل للرجـل أن يتزوج بمن ظهر منها الزنا وتدل على ذلك الآية المذكورة في الكتاب لأن في آخرها {وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} فإنه صريح في التحريم.

والخلاصـة فيما سـبق أن الإسـلام أنكر إنكارًا شـديدًا الـزواج من الزنـاة الفجرة إلـى حـد بطلان عقد الزواج إذا وقع عند بعض الفقهاء وثبات العقد مع الإثم الشـديد للمؤمنين الذين يرتضون ذلك عند البعض الآخر من الفقهاء.

* * *

بيع الفتيات

فى سوق العبيد

بيع الفتيات في سوق العبيد

ملكات يبعن في سوق العبيد لا مصير لهن سوى التحلل البطيء.. البطيء.. البطيء في العفن.

والاستسلام لمخالب العنكبوت وهو يعتصرهن بأذرعته القذرة ويمتص نضارتهن وشبابهن وجمالهن وكل ما يمت إلى وجودهن في هذا الكون..

الروح تنضب والحياة تموت. وأي تفكير في حقيقة وجودهن يصيبهن بالجنون..

ليس لهن حق الصراخ، وليس لهن حتى حق الشعور بالرفض.

يتمرغن في الحرير في نعيم القصور بينما تغلف قلوبهن الأكفان ويعرفن أنهن يعشن حياتهن الحقيقية في ظلام القبور.

يأكلن في الكفن ويشربن في الكفن وينمن في الكفن ولا أحد يدفع مثلهن الثمن.

تتآكل أرواحهن حتى تتيبس تمامًا وتذبل أجسادهن حتى تشيخ وهن في عمر الزهور.

يفقدن أرواحهن بينما أجسادهن يمتص دماءها أقذر الكلاب.

مريع كل ما يصابن به في الحياة حين يساقن وهن أجمل الزهور إلى أقذر المزابل بين دقات الطبول، بينما الأضواء التي تبهر الناس حولهن هي حرائق تحرق أرواحهن ولا تُطفأ أبدًا إلا بعد أن تحيلها إلى رماد.

وكل لحظة تمر بهن في هذه الأوقات هي من البشاعة للدرجة التي تتضاءل بجانبها الكثير من المآسي البشرية. هل من الممكن للعقل البشري أن يتصور مدى آلامهن لحظة تسليمهن أنفسهن لتلك الكلاب القذرة دون صراخ بينما أرواحهن تحترق احتراقًا تامًا؟ من من البلغاء في التاريخ يمكنه وصف آلامهن في تلك اللحظة.

وأولئك المسـوخ البشرية الذين يشـترينهن ينبشـون مخالبهم في أجسادهن؟.. وهى اللحظة التي تحال أرواح هؤلاء الضحايا من الفتيات هي أيضًا إلى مسوخ بشرية.

تلـك النفـوس الطاهـرة هـؤلاء الملائكـة البشـريون كيـف نتركهـن يتمزقـن بين أنيـاب الأوغـاد وتحترق أرواحهن في جحيم شـرورهم وتتحلل أجسـادهن في عفن مزابلهم؟!

وعندما يخسـرن كل شـيء في ضربة واحدة يفقدن كل طاقة للمقاومة ويستسلمن للركود البشـع في مسـتنقع العجز والإحباط واليأس، لينجبن جيلًا ترسبت في روحه موروثـات الخضـوع والانكسـار والـذل. جيـلا امتلأت روحـه بالشـروخ والتصدع والانهيار عند أية مواجهة. فإذا الأمة أمة ذليلة رزحت في الذل والاسـتعباد يسـتعبدها الطواغيـت بغيـر جهد جهيد وكيف لا تكون كذلك وأبناؤهـا قد عجزوا عن المقاومة في الدفاع عن أهم ما هو جوهرى في وجودهم وفقدوا إرادتهم بالكامل التي استطاع الأوغاد اختزالها إلى سلعة تباع وتشترى في سوق العبيد؟!

قال لى محدثي: أنت تبالغ في مأساة هؤلاء الفتيات!..

ألـم يكن من الأولى أن ترتاع أكثر لمأساة المسلمات اللاتى يغتصبن في كل مكان فيه أقليات مسلمة في العالـم؟!..

قلت: مأسـاة هؤلاء الفتيات اللاتى يبعن قهرًا للطواغيت والمفسـدين في الأرض قد تكون أكثر إيلامًا من مأساة تلك المسلمات المغتصبات.

قال: ها أنت قدمت بنفسك الدليل على أنك تبالغ.

قلت: فكر في الموضوع بعمق ولا يغرنك هذا الظاهر السطحى من المسألة.

قال: هات ما عندك.

قلت: إن المغتصبات يغتصبن مرة واحدة ويملكن حق الصراخ احتجاجًا على ما يحدث لهن ويجدن التجاوب في نفوس العالـم أجمع لعدم شـرعية ذلك الظلم البشع الواقع عليهن..

أمـا هـؤلاء الضحايا فهن يغتصبن طـوال عمرهن بالكامـل دون رحمة ولا يملكن حتـى حـق الصـراخ احتجاجًا علـى ما يحـدث لهن ولا يجـدن التجـاوب في نفوس أحد لرفع ذلك الظلم الأكثر بشـاعة الواقع عليهن وقد سـبغه الطواغيت وتجار البشـر والمتنطعون بصباغ الشرعية.

بل الأخطر من ذلك أنهن أنفسهن لا يدركن عدم شرعية ذلك الظلم؛ لأن ما يحدث في الغالب أن الذين يسـوقونهن إلى هذا الذبح يضعون القبضة الحديدية على وعيهن بعد أن يكونوا قد رسـبوا فيه أن هذا هو نصيبهن ولا يجوز لهن الاعتراض عليه لأنهن يكن بذلك يعترضن على قدر الله!!

فهل ترى بعد هذا جريمة أبشع من ذلك؟!

جريمة أبشـع من أن تُساق إلى الذبح ليس مرة واحدة، ولكن كل يوم طوال عمرك كلـه دون أن يكـون لك حق الصراخ أو الاحتجاج على هذا الظلم، بل ودون أن يكون لك حتى حق الشعور الداخلي برفض ما يحدث لك حتى لا تكون بذلك قد اعترضت على قدر الله؟؟!!

* * *

متى يكون الرجوع عن الحب

لا يرجع إلى القوة

ولكن يرجع لضعف الحب نفسه

متى يكون الرجوع عن الحب

لا يرجع إلى القوة ولكن يرجع لضعف الحب نفسه

ونحن قد حددنا الحب الذي نقصده بالحب المتمكن الذي يبدأ بأسباب ومداخل مباحة ثم تحدث الفرقة أو تقوم العوائق بين المحب ومحبوبه ويستقر الحب مع ذلك إلى درجة لا يمكن مدافعتها بعد استنفاذ الجهد في هذه المدافعة. ولا بد أن نقول هنا أن هذه الحالة التي نتحدث عنها هي حالة نادرة جدًا قد لا تزيد على الواحد في الألف بين الناس أو واحد في المائة من الحالات التي يعتقد أنها كذلك.

فليست كل حالات الحب المعروفة هي حالة حب متمكن والاعتقاد بأن كل حالات الحب التي تسبب المعاناة لأصحابها هي كذلك هو السبب في ذلك الخلط الذي تحدث عنده الكثير من المشاكل التي تعقد التناول الفكري والفقهي لهذا الموضوع؛ لأن التناول الموضوعي لهذه الحالة يقتضي رؤية فكرية وفقهية خاصة لها وهو ما يعني أنها حالة مستثناه لها أحكامها الخاصة، ومن ثم لو صار هذا الاستثناء في الأحكام قاعدة لكل من شكا من ضنى العشق لنتج عن ذلك الخلل في تحديد الأمور إلى إفشاء وإهدار الأحكام ويؤدي ذلك الاستثناء إلى مضاعفة إفساد الأمور بدلًا من معالجتها.

ولهذا علينا أن نميز بين تلك الحالة التي نتحدث عنها والحالات الأخرى الكثيرة التي تتشابه معها وتختلط بها.

وأول هذه الحالات تلك الحالة التي شكو صاحبها من عشقه لاثنين معًا فلا يمكن أن تكون هذه حالة عشق متمكن لا يمكن دفعه لأن مقتضى حاله يكذب دعواه فحال عشقه لكل واحدة منهما يكذب عدم قدرته عن دفع عشقه للأخرى ومن ثم يكذب

عدم قدرته على دفع عشقه للاثنين معًا بشكل لا إرادي.

وكذلك حالة ادعاء تمكن الحب من القلب قبل استنفاذ الجهد في محاولة دفعه، فقد يكون الحب في مراحله الأولى ويكون على المحب بعد حدوث المفارقة أن يبحث عن نفسه بدلًا من التمادى فيه حتى الغرق أو توهم ذلك مع كونه لا يزال يقف مكانه ثم يبحث بعد ذلك عن الحلال والحرام فيما يعانيه أو يتوهم إنقاذ، ولعل أفضل الحلول لمثل الحالة السابقة هي دفع ذاك الحب بحب غيره يكون من المستطاع بقدر الإمكان إنهاء بالزواج حتى لا نتخلص من المشكلة بمشكلة أخرى قد تكون أكبر منها.

وكذلك حالة الحب التي سبق لصاحبها أن مر بحالة حب شديدة قبلها واستطاع التخلص منها فغالبًا ما يكون مثل هؤلاء الأشخاص بقادرين على دفع حالات الحب التي يمرون بها حتى وإن كان ذلك بقدر كبير من المعاناة؛ لأنهم في الحقيقة يكونون من ذلك النوع الذي يمضي في عشقه إلى مرحلة اللاعودة.

وكذلك حالة التعلق بالمحبوب الجميل الذي يعتمد أساسًا في جذبه لمحبه على ما يقدمه له من إغراء فإن تلك الحالة تكون في حقيقتها حالة اشتهاء لا حب وفى نشوة ذلك الاشتهاء يسهل التوهم في الاعتقاد بأن ذلك حبًا وبمجرد الإفاقة من ذلك الوهم ينتهي الأمر ولا تكون هناك مشكلة أصلًا.

من كل ما سبق يتبين لنا تلك الحقيقة التي قررناها سابقًا وهى أن هنانك حالة عشق واحدة يمكن وصفها بأنها حالة عشق متمكن لا يمكن دفعها "على الرغم من الفرقة" من بين مائة حالة تدعي ذلك وأنها لا تزيد على الواحد في الألف في الناس بوجه عام.

وفى ذلك السياق تأتي مناسبة التعرض لذلك الرأي الذي يقول أن هناك أقوياء يستطيعون دفع ما يعانونه من عشق وهناك ضعفاء لا يستطيعون ذلك ويستشهدون على ذلك بما يحدث في الواقع بالفعل من تخلص البعض مما يعانونه وعجز آخرين

عن فعل ذلك.

مع أن الحقيقة في تفسير هذا الأمر ترجع إلى ما قلناه عن أهمية التفرقة بين حالات الحب المختلفة وأن القليل منها هو ما يمكن وصفه بأنه حالة حب متمكن وعلى ذلك فالمسألة في الأساس لا ترجع إلى قوة هذا أو ضعف ذلك من العشاق، ولكن ترجع إلى مدى تمكن ذلك العشق من قلبه فإن كان لم يصل إلى تلك الحالة النادرة للغاية التي نصفها بحالة الحب المتمكن تظل لديه إمكانية العودة مما مضى فيه ولو كان بلغ تلك الحالة فإنه يكون قد مضى إلى حيث اللاعودة مهما كانت قوته أو ضعفه وشفيعي في ذلك أن عدد كبير من أقوى الشخصيات في التاريخ بالفعل لم تستطع الفكاك من عشقها بعد أن بلغ تلك الحالة، على الرغم من قسوة ما عانوه بسببها.

وإنك لتبصر الشخص القزم، الهمَّل، الخامل الروح، الكليل الجسد، المتعثر في كل نواحي الحياة، الزرى في عيون البشر كثيرًا ما يجد في العشق فرصته في تسفيه عمالقة من الرجال لا ينطفيء لهم عزم ولا يخيب لهم رجاء ولا يعجزون عن تحقيق غاية ولا يبلغ شأوهم إلا قلة نادرة من البشر فيكفي أن يكون الرجل من هؤلاء عاشقًا فرقت الأقدار بينه وبين محبوبه حتى يصبح مضغة الأفواه في العبط ومضرب الأمثال في السفاهة.

وذلك لا لشيء إلا لأن حظه في حبه أنه قد بلغ قدر التمكن في نفس الوقت الذي عاقت الأقدار وصاله بمحبوبه فيتخذون من ذلك الدليل الحاسم والحجة الدامغة على مدى ضعفه وهوان شأنه ومستدلين على ذلك أيضًا بتجارب البعض في التخلص من حالات عشقهم، بل ويتمادي بعضهم في الاستدلال بذلك إلى حد اتهام هؤلاء بأنهم هم الذين يدفعون بأنفسهم في هذه المهالك ويكون هذا الاتهام ذاته دليلًا على اتهام أشد منه لهؤلاء العشاق على أنهم مرضى في عقولهم. والحقيقة كلها أن الأحقاد تتخذ من الأباطيل مطية لتحقيق أغراضها. وبذلك تجتمع على العاشق ثلاثة مصائب أشدها حرمانه من محبوبه وأخفها تسفيه الناس له وجعله سخرية لكل من هب ودب

مـن البشـر وبين هذا وذاك تأتى مصيبـة اتهام الناس له في دينـه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومـع ذلك فإن الواقع الذي نعيشـه الآن أدى إلى تفاقم المشكلة التي نتعرض لها فمنـذ منتصف السبعينيات ووقوع الناس بيـن فكي الرحى بين الضغـوط الاقتصادية واتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء من جانب وبين واقع إعلامى يروج لمفاهيم نفعية تجعل من المال المقياس الوحيد لكل الحقائق وترمومترًا تقاس به القيمة الاجتماعية للإنسـان وبيـن هـذا وذاك اختلـت المفاهيـم وأُهـدِرت القيـم والمبـاديء وديست بالأقدام، وفى ظل اختلال المفاهيم وسـقوط تلك القيم الأصلية المسـتمدة من ديننا والاستعاضة عنها بتلك المفاهيم والقيم التي تختزل كل الأشياء إلى أرقام نقدية تكون بمنزلـة المقياس الوحيد لقيمتهـا الفعلية غدت حالات بيع الفتيات لمن يدفع أكثر في عقود بغاء قهري مقنع بالشـرعية يسمى زواجًا ليسـت مجرد حالات استثنائية، بل في الحقيقة القواعد الاجتماعية التي تقام على أساسـها عمليات الزواج ربما لا ينافسـها في ذلك سـوى قاعدة أخرى للزواج تقوم على أساسـها الفتاة ببيع نفسـها بنفسها لمن يدفع أكثر دون قهر من أحد والناتج الفعلي لتلك القاعدة الاجتماعية الجديدة "قاعدة بيـع الفتيات قهرًا لمن يدفع أكثر" بالنسبة إلى موضوعنا هـو تفاقم حالات الفرقة بين الحبيبيـن، ومـن ثم تضاعف حـالات الحب المتمكـن الذي لم ينعم بالـزواج، وإنما ابتلي بالفجيعة، وهذا مما يزيد من المشـكلة الأخـرى ذات الأهمية البالغة والارتباط الوثيق بنفس الموضوع، ألا وهى موقف الإسلام من الزواج بالإكراه.

* * *

لا يستمر المحب في تحركه نحو محبوبه طويلًا

إلا إذا كان محبوبه يتحرك نحوه أيضًا

حتى ولو كان تحركًا خفيًا

لا يستمر المحب في تحركه نحو محبوبه طويلًا إلا إذا كان محبوبه يتحرك نحوه أيضًا حتى ولو كان تحركًا خفيًا

من الذي يتحرك في الحب؟

الطبيعي أن يتحرك كلا الطرفين في نفس الوقت ولكن هذا إذا كانت الظروف طبيعية ولا توجد هناك عوائق بين الحبيبين، ولكن أني يكون هذا؟

لأن هذا لو كان كائنًا لحدث الوصال والاقتران بين الحبيبين ولما كانت هناك مشكلة أصلًا يثار من أجلها هذا السؤال.

لكن في مجتمعنا هذا الذي يغرق في تعقيدات لا حدود لها يجعل العوائق والأسوار بين الحبيبين أمورًا طبيعية فإنه في ظل ذلك يكون التحرك من جانب الأقوي هو الحل الطبيعي وإن يكن هذا مخالفًا للظاهر السطحي من الأمور؛ لأنه عادة ما يتهم المحب الأكثر تحركًا بأنه الأكثر ضعفًا والأكثر فقدانًا للقدرة على التحكم في نفسه ومقاومة عواطفه وهذا الاتهام مصدره الخلط وعدم القدرة على التعمق في حقيقة الأمور؛ لأن هذا الاتهام يكون طبيعيًا فقط في حالة عدم وجود عوائق للتحرك بين الطرفين يكون عندها أن منحق المحب أن يسائل نفسه لماذا لا يتحرك المحبوب؟ ولكن إذا كانت كل الظروف والعوائق والسدود موجودة فكيف يكون التساؤل صحيحًا؟

إن الحقيقة يجب أن تحدد بالنسبة إلى الوقائع المحيطة بها وإلا يصبح الحديث عنها محض هراء.

نقول إنه في ظل وجود هذه التعقيدات والسدود فإن الأقوي أو الأقل تأثرًا بتلك العوائق هو الذي يجب أن يتحرك لأن على الحبيبين، إما أن يستسلما للعجز عن

اقتحام هذه السدود واختراق تلك التعقيدات وإما أن يتحدياها فإذا وقف أحدهما عاجزًا أمامها فهل يوصف أنه الأقوي على التحكم في نفسه؟! إن الخلط هنا يحدث من النظر إلى علة أو سبب الموقف من جانب المحب وليس من جانب القدرة على تحدى الظروف المحيطة فالسلبي الذي لا يتحرك هنا لا يرجع سبب سلبيته إلى مدى حبه أو قدرته على التحكم في نفسه ولكن لمدى ضعفه. والذي يتحدث هذه الأمور لا يرجع ذلك لتهور في نفسه أو لعدم قدرة على التحكم في عواطفه، ولكن يرجع ذلك لقوته الإيجابية على تحدى الظروف والعوائق في الأساس. خصوصًا أن الموضوع يصبح غير ذى معنى إذا كان أحد الطرفين تُحاط به القيود والأغلال إحاطة المحارة للؤلؤة فلا يكون هناك مجال إلا لتحرك الطرف الآخر وإلا كان الرضوخ والاستسلام وضياع الأمر برمته هو نصيبهما الوحيد.

وحقًا لا بد أن يقترن الحب بالفعل أو الطاعة للمحبوب وإلا فلا حب.

ولكن لابد من الانتباه إلى أن ذلك لا يكون إلا في الحرية، أما في ظل القيود فلا بد من النظر إلى هذا المعيار بعين الرأفة والرحمة؛ لأن العاشق قد يعجز أو يضعف عن فعل ما يريده محبوبه بسبب هذه القيود فلا يتخذ ذلك دليلًا على عدم الحب وقد خبرت بإحدى الحالات ذات الدلالة الخطيرة في هذا الموضوع.

فلقد أحب أحد الشباب فتاة يتخذ الناس من أمها موقفًا خاصًا ولاقى الأمرين في تحدي أهله من أجل الزواج بهذه الفتاة، ولذلك فقد اشترط عليها أن يعقد زواجها في بيت أبيها لا في بيت أمها وكانا مفترقين وكانت الفتاة تعيش في كنف أمها ،ومتعلقة بها تعلقًا شديدًا فلم تستطع أن تتغلب على معارضة أمها لهذا الموضوع فاعتبر صاحبنا ذلك دليلًا على عدم حبها له حبًا حقيقيًا فاستجاب لرغبة أهله وتزوج أخري.

فما كان من فعل البنت بعد ذلك سوى إنها انتحرت.

* * *

متى يعمل العاشق على تدمير معشوق

"ومن الحب ما قتل"

للنفس الإنسانية أمراضها فإذا عز عليها الاعتراف بالعجز عن نيل ما تريده سواء لامتناع المحبوب أو لاستحالة الظروف المحيطة بها عن نيل ذلك. ادعت قوة مصدر إعراضها عن ذلك هو ترفعها وعدم رغبتها فيمن يحبها. والخبراء بأحوال النفوس لا يعجبون من ذلك؛ لأن النفس المريضة قد يجتمع فيها الحب والضعف والكبر معًا فإذا تيسرت الظروف انطلق الحب وكمن الكبر وإذا تعقدت الظروف قيد الضعف الحب في عقاله وانطلق الكبر يحكم الأمور. وعند هذا فإن الكبر سيجعل النفس المريضة يعز عليها الاعتراف بالحب مع العجز عنه فماذا ستستفيد من ذلك سوى ثورة كبرها عليها.

ولكن الذي يحدث أن الكبر يجعلها عند العجز كأن موقفها هذا ليس ناتجًا عن ضعف، ولكن عن عدم رغبة أصلا، ولعل ذلك مصدر من مصادر المثل العامى "ده قصر ديل" بل إن الأمر قد يتجاوز هذا الحد كثيرًا. وللحب طرائقه العجيبة.. فإنه عند إدراك أحد الأطراف عجزه عن نيل الطرف الآخر حتى ولو كان ذلك بسبب الظروف ومع سعي الطرف الآخر لنواله فإنه يحزن حزنًا شديدًا على هذا الطرف على الرغم من أنه ليس له ذنب في ذلك، ولكن مع وجود الكبر في النفس المريضة فإنه يعز عليها أن ترغب في شيء ما ولا تحققه ولذلك فإنها قد تسعى إلى تحطيم أو تدمير هذا الشيء، بل قد يصل الأمر في حالات الشطط الشديد إلى القتل حتى لا تحس هذا الإحساس بالمرارة والعجز تجاهه، وهذا الأمر معروف جيدًا الخبراء بالنفوس وله شواهده الكثيرة في أحداث الدنيا وهو ـ على غرابته ـ موضوع تقليدى فى كتب

التاريخ والروايات الأدبية والأفلام السينمائية، ومن ذلك جاء قولهم: "ومن الحب ما قتل".

وأشـهر الأمثلة على ذلك هو ما فعلته زليخا زوجة عزيز مصر فبعد أن رفض النبي يوسف عليه السلام تلبية غرضها منه وافتضاح أمرها ووصفها النسوة في المدينة أنه قد شغفها حبًا وجعلته يخرج عليهن ويقطعن أيديهن من انبهارهن بجماله: {قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ} [يوسف: ٣٢].

وبالفعل دخل السجن ولبث فيه بضع سنين.

أمـا المثل الغاية في القسـوة الناتجة عن شـدة الحب هو ما يرويـه المؤرخون عما فعلته سـالومى بسيدنا يحيى، فسالومى الراقصة كانت ابنة زوجة الملك وكانت تدرك أن الملـك يشـتهيها بجنون وعندما اشـتعل قلبها غيظًا على النبـي يحيى عليه السلام لرفضه حبها له، حاكت له هذه المكيدة:

فقـد تدللـت على الملك حتى طلب منها أن ترقص لـه فقالت له: فإذا رقصت هل سـتلبى لى أي طلب أطلبه منك. فوعدهـا بذلك، فلما رقصت قالت له عليك الآن أن تفى بوعدك.

قال: وماذا تريدين؟

قالت: أريد رأس يحيى على طبق.

فلبى لها ما أرادت، ويُقال أنها جُنَّتْ بعد ذلك.

ولقد قال الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى في هذه القصة شعرًا رائعًا:

آه ما أهون دنياكم على طفل الحقيقة

رأس يحيي وهو قديس نبي

بالذي فيه من حلم ومن علم حليم

سبقت مهر بغي

من بغايا أورشليم

آه ما أهون دنياكم على طفل الحقيقة.

وهناك حقيقة خطيرة يجب ذكرها في إطار هذا الحديث عن الحركة عند المحبين.. هذه الحقيقة التي أساطيع أن أذكرها بثقة لا تقل عن ثقة ابن حزم شبه اليقينية فى آرائه في الحب "وقليلًا ما يكون عندي مثل هذه الثقة اليقينية في الحديث عن أسرار الحب" هذه الحقيقة هي أن المحب لا يستمر استمرارًا طويلًا في تحركه نحو من يحبه إلا إذا كان هنا المحبوب يتحرك نحوه أيضًا ولو تحركا خفيًا. وتكون هذه الحقيقة هي تفسير ما وراء التحرك العجيب للمحب نحو محبوبه مهما بدا غير ذلك. غاية ما في الأمر أن المحبوب يجتهد غاية الاجتهاد في إخفاء ذلك..

وحتى لا يختلط الأمر بغيره في مثل هذه الأمور النفسية الدقيقة فإنني أفرق بين قولى هذا وقول الإمام ابن حزم ـ ومثله في ذلك قول الإمام ابن القيم -أن المحبوب يحب من يحبه وإن حدث أو بدا غير ذلك فمرجعه ما يحيط المحبوب من سواتر تعزله عن حقيقة محبوبه "راجع نظريتهما في الحب".

فالذي أقوله هنا هو أن استمرار التحرك نحو المحبوب على وجه الخصوص وليس مجرد الحب فعندي فإنه ليس من الحتمى حب المحبوب لمن يحبه ولكن الحتمى عندي هو أن المحب لا يستمر استمرارًا طويلًا في التحرك نحو من يحب إلا إذا كان يجد منه ميلًا شديدًا ومن يخبرون التجارب الواقعية في هذه الأمور يعلمون أن المحب قد يستطيع أن يحب محبوبه رغم صدوده عنه لكنه لا يستطيع الاستمرار في التحرك نحوه، رغم صدوده عنه فمهما كانت قوة المحب واندفاعه في التحرك نحو محبوبه فإن صد هذا المحبوب يحبط هذه القوة ويشلها عن التحرك دون جهد كبير. ولكن ما دام المحب يستمر في تحركه نحو محبوبه فإنه يقينًا لا يجد هذا الصدود وإذا استمر ذلك التحرك استمرارًا طويلًا فيقينًا أن المحب يجد ميلًا شديدًا وسعيًا خفيًا له عند محبوبه مهما بدا غير ذلك.

بـل كثيـرًا ما يكـون تحرك هـذا المحبوب الشـديد هو الدافـع الحقيقـي وراء كل تحـركات المحـب، بـل قد يكـون المحب يسـتعيض بذلـك عن ضعفـه وعجزه عن التحرك نحو من يحبه، أي بدلًا من اتخاذ المواقف الإيجابية في تحدى هذه الظروف ولذلك فإن النسـاء ذات الخبرة بأحوال النسـاء تقلن دائمًا _ عندما يردن الصدق مما يقلن _ تعليقًا على أن فلانًا من الناس يحب فلانة من الناس ويحاول الاقتران بها سنينًا طويلة: إنها يقينًا تحبه كذلك وإلا لما كان استمر فى حبه لها كل ذلك الاستمرار.

* * *

الحب والكرامة



الحب والكرامة

ما هي حدود العلاقة بين الحب والكرامة؟؟؟

سؤال يطرح على مر العصور ويحدث الكثير من الخلط في الإجابة عنه.

ومرد ذلك يرجع إلى عمومية السؤال؛ لأنه من الخطأ أن نقول: على المحب ألا يفكر في موضوع الكرامة على الإطلاق. أو نقول: على المحب أن يقدم كرامته على حبه على الإطلاق؛ لأن وضع العلاقة بين المحب ومحبوبه هو الذي يحدد الموقف من التنازلات المتعلقة بالكرامة.

فماذا لو كان المحب يحب من هو كاره له وقد تأكد من هذه الكراهية؟! أعتقد أن أمر الكرامة هنا لعظيم فإذا طاوعنا ابن حزم وافترضنا أن هناك حواجز مصطنعة بين المحب ومحبوبه تمنع إدراك المحبوب حقيقة محبه نقول إنه عند ذاك يكون علينا أن نتسامح فيما نقدمه من تنازلات بالقدر الذي يمكن المحب من إزالة هذه الحواجز والاحتكاك المباشر بالمحبوب وتحقيق الإدراك الكافى بالمحب لدى محبوبه فيعلم جيدًا من هو ومن يكون فإذا أدرك المحبوب حقيقة محبه وظل كارهًا له فعن ماذا يتنازل له المحب إذن؟؟؟

أما لو كانت المحبة مشتركة والمودة مؤكدة فإن الكرامة ذاتها لا يعود لها معنى؛ لأن ذات المحب تتحد بذات المحبوب ويصبحان معًا كينونة واحدة.

فعلاما يكون التساؤل عن الكرامة إذن؟

بل إن الحقيقة عند تأكد هذه المحبة المشتركة أن الصراع يكون بين الحبيبين فيمن يقدم من طاقة نفسه أكثر ليعمل على إسعاد الآخر. أما إذا تعلق الأمر بدلال المحبوب على محبه فإن للإمام ابن حزم في ذلك رأيًا طريفًا: يقول الإمام ابن حزم:

ولا يقولن قائل إن صبر المحب على دلة المحبوب دناءة في النفس فقد أخطأ،

وقد علمنا أن المحبوب ليس له كفوًا ولا نظيرًا فيقارض بأذاه، وليس سبه وجفاه مما يعير به الإنسان ويبقى ذكره على الأحقاب ولا يقع ذلك في مجالس الخلفاء ولا في مقاعد الرؤساء فيكون الصبر جارًا للمذلة والضراعة قائدة للاستهانة".

أقول: الذي يعنيه ابن حزم أن المحبوب ليس في مكانة وقدر المُحب لكي يُعيَّر بأذاه وشتمه وجفاه وأن ذلك لا يبقى ذكره في التاريخ ولا يحدث في مقاعد كبار القوم لكي يكون مذلة وضراعة المحب للمحبوب مؤديًا للاستهانة.

ثم يتابع ابن حزم كلامه فيقول: فقد ترى الإنسان يكلف بأَمَته التي يملك رقها [أي أن الإنسان يهيم عشقًا بجاريته التي يملك زمام أمرها] ولا يحول حائل بينه وبين التعدي عليها فكيف الانتصار منها [أي أنه إذا كان لا يحول بينه وبينها حائل فما قيمة كسره لها] وسبل الامتعاض من السبب غير هذه إيما عليه الرجال الذين تحصل أنفاسهم "أي أن ذلك بين الضعف لو كان الأذى من الرجال الذين تعد أنفاسهم" وتتبع معاني كلامهم فتوجه لها الوجوه البعيدة؛ لأنهم لا يوقعونها سدى ولا يلقونها هملا [أي لأن كلامهم لا يلقونه جزافًا] وأما المحبوب فصعدة ثابتة وقضيب مناد [أي أقرب إلى قطب الجاذبية الثابت] يجفو ويرضى متى شاء لا لمعنى [أي أن جفاء ورضى المحبوب لا يشترط أن يكون له سبب حتى يعامل بكل هذه الجدية] وفي ذلك أقول: [أي أن الشعر الشعر لابن حزم]:

ليس التذلل في الهوى يستنكر فالحب فيه يخضع المستكبر

لا تعجبوا من ذلتي في حالة قد ذل فيها قبلي المستبصر

ليس الحبيب مماثلًا وكافيًا فيكون صبرك ذلة إذ تصبر

تفاحة وقعت فألم وقعها هل قطفها منا انتصار يذكر

[والذي يعنيه بالبيت الأخير أن الأمر أقرب إلى التفاحة التي تسقط وليس في قطفها قوة منك].

وفي الحقيقة فإنني لا أتفق مع ابن حزم في السبب الذي ذهب إليه كمبرر لتنازل المحب للمحبوب وهو عدم المماثلة؛ لأنه لو كان يقصد بعدم المماثلة هذه عدم المماثلة الداخلية في ذات الروح فقد سقطت نظريته في الحب كاملة "وهو في الحقيقة لا يقصد ذلك" أما إذا كان يقصد بعدم المماثلة هذه عدم المماثلة من حيث الرؤية الخارجية للمجتمع "أي عدم المماثلة من وجهة نظر المجتمع لها" فهذا أمر إن كثر وقوعه أي كان المحب أكبر قدرًا من المحبوب فإنه ليس قاعدة عامة كي يمكن اتخاذها تفسيرًا ومبررًا لذلك التنازل الذي يحدث. ولذلك فإني أعود لذلك لسبب الذي ذكرته كتفسير لهذا التنازل وهو أن حالة التوافق بين المحب ومحبوبه لو تأكدت حتى ولو كان بها بعض التدلل؟ فإنها تعني أن ذات المحب وذات المحبوب اتحدا في كينونة واحدة ولهذا فإن التنازل لا يعني شيئًا داخل هذه الكينونة من هذه الذات أو تلك.

ومشكلة المشاكل الحقيقية ليست في التنازل بين ذات المحب وذات المحبوب، ولكن في تنازل المحب، بل وانكسار كرامته أمام أقارب المحبوب في حالة عزلهم المحبوب عن محبه إن ذلك هو البلاء الأعظم الذي يقف أمامه المحب كسيرًا مكتوف اليدين لا حول له ولا قوة. وقديمًا قال عنترة:

ولولا الهوى ما ذل مثلى لمثلهم — ولا خضعت أسد الفلا للثعالب

فعنترة الذي يضرب به المثل في قوة الرجال على امتداد القرون يعترف بذله وانكساره أمام أقارب محبوبته بسبب الحب، بل ويعتبر أن هذا السبب كافٍ لخضوع أسود الصحارى نفسها للثعالب.

أما العباس بن الأحنف شاعر العصر الإسلامى فيصرخ قائلًا:

وضعتُ خدى لأدنى من يطيف بكم — حتى احتقرتُ وما مثلي بمحتقر

لقد وضع خده لكل من له بها قربى حتى أدى ذلك إلى احتقار شأنه وهو ذو الشأن الذي لا يحتقر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الحب والجمال

اخترت ان أكتب هذا الفصل شعرا

الصاعقة

تمشي فوق الجراح الحارقة

تمشي كالطير كالربيع كالزنبقة

تمشي كالصاعقة

لاشيء يذهل العقول مثل صمتها

لاشيء يسحر النفوس مثل صوتها

كل شيء فيها صاعقة

عيونها

جبينها

شموخها

حنينها للينابيع الدافقة

شحوبها حين تغيب في الأحزان مطرقة

حلمها الذي يلوح في العيون مشنقة

كل شيء فيها صاعقة

وأنا مباح لها دمي

مباح له صراخ فمي

مباح لها حريق عمري في الدموع الصادقة

خيوط العنكبوت

ياسيدة أقرأ في عيونها سر أسرار الزمن

واعشق شعوري بالوجود

واعشق حنيني للخلود

وانسى ارتحالي في الألم

ياسيدة من زهور ولبن

كيف يشتري اللصوص حلمنا

ونحن ندفع الثمن

كيف ينعمون بالأمان

ونحن نفقد الوطن

ياسيدة تعيش في الكفن

تنام في الكفن

وتأكل الفن

وتشرب :لكفن

كيف تركت خيط العنكبوت

تنسج حولك العفن

كل يوم فراشة تموت

وكل يوم تطول الخيوط

وكل يوم يطحنني الألم

ومن يدفع الثمن

من

وأنت تضحكين

وأنت تضحكين

أي نور

أي سحو

أي روح تطلقين

أي عشق

أي سر

أي نار تبعثين

أي قلب في هواك لا يجن ولا يهون

أي جيش لا يسلم

أي صخر لايلين

أي مأوى من هواك يرتجيه العاشقون

أي ذنب أجتنيه إن عشقتك في جنون

إن كان عشقك ليس عذرا

فأي شئ يعذرون

إن كان دمي أهدروه

فأنت وزري تحملين

أجمل النساء

أعلن أني أعجز الشعراء

إ'ن لم يقولوا أنك في تارخ الأرض

أجمل النساء

يعجز الأعمى إبصار النجوم

ولاتخطئه شموس الساء

يصدق قولي من هم رأوك

ومن لم يروك قالوا هراء

كتبت عن عذابك بحرا

وانهارا من الدمع بغير انتهاء

وحسنك الذي أذهل الوجود

لم أكتب فيه قطرة ماء

حبي إليك

لحبي إليك ارتجاج المكان

لحبي إليك انهيار الزمان

جمال الزبرجد والأقحوان

وشوق الليالي لضوء القمر

وشوق الصحارى لماء المطر

وشوق الحكيم لمعنى استتر

وشوق السجين إلى الانطلاق

لحبي إليك نيران احتراق

ودمع يراق

وطواحين تطحن فؤادي اشتياق

لحبي إليك حنين الوجود

لسر الخلود

لحلم أراه في عينك ينفذ وراء الحدود

لعل الحقيقة التي أطلقتني

لعل الحقيقة التي شردتني

بحبي أليها ألي تعود.

* * *

الوصال والفراق بين نفوس العشاق

يقول الإمام ابن حزم:

لولا أن الدنيا ممر ومحنة وكدر والجنة دار جزاء وأمان من المكاره لقلنا إن وصل المحبوب هو الصفاء الذي لا كدر والفرح الذي لا شائبة ولا حزن معه وكمال الأماني ومنهى الأراجي. ولقد جربت اللذات على تصرفها وأدركت الحظوظ على اختلافها فما للدنو من السلطان ولا للمال المستفاد ولا الوجود بعد العدم والأوبة بعد طول الغيبة ولا الأمن بعد الخوف ولا التروح على المال من الموقع في النفس ما للوصل ولا سيما بعد طول الامتناع وخلول الهجر حتى يتأجج عليه الجوى ويتوقد لهيب الشوق وتتضرم نار الرجاء. وما إبراق النبات بعد عِبّ القطر ولا إشراق الأزاهير بعد إقلاع السحاب في الزمان السجع ولا خرير المياه المتخللة لأفانين النوار ولا تأنق القصور البيض قد أحدقت بها الرياض الخضر بأحسن من وصل حبيب قد رضيت أخلاقه وخمدت غرائزه وتقابلت في الحسن أوصافه وأنه لمعجز ألسنة البلغاء ومقصر فيه بيان الفصحاء وعنده تطيش الألباب وتعزب الأفهام.

وما أراه أن الإمام ابن حزم على كل هذا الذي قاله لم يصب الحقيقة، بل ولم يقترب منها اقترابًا كبيرًا في وصفه الوصال مع المحبوب لأن سعادة الروح لا تقارن مجرد المقارنة باللذات المادية. فكل اللذات المادية في غايتها لا تعني شيئًا بالنسبة إلى سعادة الروح.. كيف ذلك وابتسامة المحبوب أفضل لدى العشاق من مضاجعة حسناوات العالم. إن ما يبعثه العشق من توهج في روح العشاق يجعل كل الوجود المادى لا يعني شيئًا بالنسبة إليهم وهل مع توهج الروح تعني كل اللذات المادية شيئًا.

إن نظرة واحدة بين عاشقين تصهرهما معًا فيشعران أنهما قد غدوا روحين خالصين وأن العالم المادى بكل ما فيه قد اختفى من حولهما وأنهما يحلقان في عالم آخر غيره

ويطوفان بين ضفاف الخلود وأن الزمان كل الزمان قد اجتمع في تلك اللحظة.

وما شيء من دواهي الدنيا يعدل الفراق، ولو سالت الأرواح به فضلًا عن الدموع كان قليلًا، وسمع بعض الحكماء قائلًا يقول: الفراق أخو الموت فقال: بل الموت أخو الفراق.

والبين [أي الفراق] ينقسم إلى أقسام:

فأولها مدة يُؤمّن بانصرامها [أي يتأكد من انتهائها] وبالعودة عن قريب وإنه شجى في القلب وغصة في الحلق لا تبرأ إلا بالرجعة [أي لا تشفى إلا برجوع المحبوب] وأنا أعلم من كان يغيب من يحب عن بصره يومًا واحدًا فيعتريه من الهلع والجزع وشغل البال وترادف الكرب ما يكاد يأتي عليه. ثم بين منع من اللقاء "أي فراق يمنع من اللقاء" وتحظير على المحبوب من أن يراه محبه، فهذا ولو كان من تحبه معك في دار واحدة فهو بين: لأنه بائن [مفارق] عنك وإن هذا ليولد من الحزن والأسف غير قليل ولقد جربناه فكان مرًا وفى ذلك أقول:

أرى دارها فى كل حين وساعة ولكن من فى الدار عنى مغيبُ
وهل نافعي قرب الديار وأهلها على وصلهم مني رقيب مرقبُ

وأقول من قصيدة مطولة "والكلام ما زال للإمام ابن حزم":

وعهدي بهند وهي جارة بيتنا وأقرب من هند لطالبها الهندُ

[وهند الأولى هي الحبيبة أما الأخيرة فبمعنى السيوف وهو يريد بذلك أن حبيبته على الرغم من قرب دارها إلا أن الأقرب إليه لو أراد القرب منها السيوف والموت].

ثم يتعمده المحب بعدًا عن قول الوشاة "الذين يجرون بالوقيعة [وخوفًا أن يكون بقاؤه سببًا إلى منع اللقاء، وذريعة إلى أن يفشى الكلام] وينتشر القيل والقال فيقع الحجاب الغليظ [أي فيشتد حجبها عنه].

ثم بين يولده المحب لبعض ما يدعوه إلى ذلك من آفات الزمان [أي فراق سببه ما يضطر الزمان العاشق إلى الرحيل] وعذره مقبول أو مطرح على قدر الحافز إلى

الرحيـل. ثم بينُ رحيـل وتباعد ديار ولا يكون من الأوبة [العـودة] فيه على يقين خبر ولا يحدث تلاق وهو الخطب الموجع والهم المفظع والحادث الأشنع والداء الدوي وأكثـر مـا يكون الهلع فيـه إذا كان النائي هـو المحبوب وهو الذي قالت فيه الشـعراء كثيرًا... وإن للأوبة من البين [العودة من الفراق] الذي تشفق منه النفس لطول مسافته وتكاد تيأس من العودة فيه لروعة تبلغ ما لأحد وراءه وربما قتلت.

وإني لأعلم من نأت دار محبوبه زمنًا ثم تيسـرت له أوبة "عودة" فلم يكن إلا بقدر التسـليم واسـتيفائه [يقصد القرب من المحبوب القدر اليسير] حتى دعته نوى [فرقة] ثانية فكاد أن يهلك.

ويقع في هذين الصنفين من البين [الفراق] الوداع أعني رحيل المحب أو المحبوب وإنـه لمن المناظر والمواقف الصعبة التـي تفتضح فيها عزيمة كل ماضي العزائم [أي أنـه من المواقف الصعبـة التي يضعف عندها أصحاب العزائـم] وتذهب قوة كل ذى بصيرة وتسكب كل عين جمودًا ويظهر مكنون الجوي... ولعمرى لو أن ظريفًا يموت في سـاعة الوداع لكان معذورًا إذا تفكر فيما يحل بعد ساعة من انقطاع الأمل وحلول الأوجـال وتبدل السـرور بالحـزن. وإنها سـاعة تُرق القلوب القاسـية وتليـن الأفئدة الغلاظ... وأعرف من أتى ليودع محبوبه يوم الفراق فوجده قد فات فوقف على أثاره ساعة وتردد في الموضع الذي كان فيه ثم انصرف كئيبًا متغير اللون كاسف البال، فما كان بعد أيام قلائل حتى اعتل ومات رحمه الله.

ثـم بيـن [فراق] الموت وهـو الفوت وهوى الذي لا يُجيء لـه إياب وهو المصيبة الحالة وهو قاصمة الظهر وداهية الدهر وهو الويل وهو لمغطى على ظلمة الليل وهو قاطـع كل رجاء وماحـي كل طمع والمؤيس مـن اللقاء وهنا حارت الألسـن وانخزم "انقطع" حبل العلاج فلا حيلة إلا الصبر طوعًا أو كرهًا. وهو أجلّ ما يبتلى به المحب، فمـا لمـن دهى به إلا النـوح والبكاء إلى أن يتلـف أو يمل، فهي القرحـة التي لا تنكى والوجع الذي لا يفنى. أ.هـ.

وما أراه أنه إذا بدا الفراق فإن الروح تنزف فإن طال فإن الروح تصدع فإن تأكد فإن الروح تموت.

ويغدو الوجود كالعدم والحقيقة كالجنون والقصور كالخرائب والزهور كالقبور وأجمل الأشياء مثل أكثرها قبحًا، فإذا مضى المحب بين أجمل الرياض والبساتين أبصر جماجم الموتى تطل من حوله أينما ولى وجهه بدلًا من الزهور، فإن ارتبط الفراق بظلم اشتعلت البساتين بالحرائق وانسابت الأنهار بالدماء.

وكل ما يؤنس الروح يهلكها وكل ما يحيي الحياة يُزهقها وكل شيء حوله يصاب بالعقم ويغلف الوجود بقلبه بالسواد التام.

وكلما زاد الألم كلما فقد العاشق القدرة على التعبير عنه وكلما تأكد الفراق مات الكلام وقتل الشعر وإن لأشعر الشعراء لو تغلغل به العشق وتيقن فقدان المعشوق لفقد القدرة على الكلام، بل وأصيب بالعمي والعته والبله، فلا يريد أن يبصر شيئًا ولا يسمع شيئًا ولا يأكل شيئًا ولا يشرب شيئًا ولا يعرف شيئًا فإذا تأكد الفراق فقد القدرة على الإرادة ذاتها ولا شيء في الوجود من الممكن أن يفرحه، بل والأعجب من ذلك أنه لا شيء في الوجود من الممكن أن يزيد حزنه لأنه يكون قد بلغ قمة الحزن التي ليس بعدها مزيد هذا لو صح حقًا أن ما أصابه يسمى حزنًا.

وإن النحول والذهول وفقدان القدرة على الحركة والفهم والتوقف التام عن كل مناشط الحياة لمظاهر طبيعية لما يتملك روحه من سقم وتكون غاية أمانيه هي الموت وقد يكون ذلك في غير ابتلاء بفقدان المحبوب محض ادعاء أما في هذا الابتلاء بالتحديد فهو أصدق الصدق، فإن تيقن من فراق محبوبه فإنه لا يتمنى ذلك لأنه يموت بالفعل، وليس هناك عجب في هذا لأنه إذا كان العشاق يقدمون على الموت في اقتحامهم أشد المخاطر من أجل الأمل في الوصال فما العجب إذن إذا ماتوا بالفعل عند تيقنهم من الفراق؟!

* * *

اللائمون والحاقدون والوشاة

لنفترض أن حالة حب قد وقعت بين اثنين من الهُمَّل "الذين لا شأن لهم" هل سيحفل أحد بهذا الذي وقع؟ وهل سيدعو ذلك إلى الكثير من اللغط؟ أبدًا لن يثير هذا اهتمام أحد وسواء تزوجا أو لم يتزوجا :لمن يشغل أحد رأسه بأمرهما.

ولكن دع حالة الحب هذه تقع بين اثنين ذوي شأن، وبالذات لو كان الرجل من النابغين من الرجال والمرأة من ربات الجمال في هذه الحالة فإن الذي وقع لن يكون مجرد حالة حب وإنما الذي وقع سيكون زلزالًا ليس له حدودًا. ستستشيط القلوب التي في الصدور وستدق طبول الحرب في كل مكان وتحاك المؤامرات وتشتعل العداوات وتنشط الآمال في تحقيق ما مات رجاؤه من المصالح وربما تهدر الدماء.

وفي الحقيقة فإن المسألة أهون من أن تثار لو لم تكن هناك صعوبات في تتويج حالة الحب هذه بالزواج أو حتى كانت هناك بعض الصعوبات الصغيرة التي يسهل اقتحامها؛ لأنه لا يقف أمام هذا النوع من الصعوبات منتظرًا أو مكتوف الأيدي إلا المغفلون من البشر، لكن المسألة تثار في ظل وجود ذلك النوع من الصعوبات الشديدة التي تحتاج إلى الوقت والمجهود من أجل تذليلها واجتياحها.

هنا يكون في الأمر متسعًا لنفث الأحقاد واستثمار المصالح وإشاعة الأقاويل.

سيصرخ فيه الحاقدون من الرجال ومن النساء أيضًا. من هذه التي تريدها زوجة لك؟!

إنك سماء وهي أرض.

إنك قمة وهي حطام.

أتحيا عمرك تجاهد من أجل الصعود إلى القمة فإذا ما بلغتها تلقي بنفسك من فوقها؟!

العقل يقول أنك تحتاج إلى من يدفعك إلى الأمام وليس من يدفعك إلى الخلف!

فأين عقلك؟!

ومن قال إنها جميلة "حتى لو كانت بدرًا سيقولون ذلك".

فلو كانت بدينة قليلًا سيقولون: أين جمالها هذا إنها شوال قطن!

ولو كانت نحيفة قليلًا سيقولون: أين جمالها هذا إنها تختفى وراء عود قصب!

الخلاصة أنها لا تساوى حذاءك "هكذا سيقال له".

وقد يقول له الكلام السابق أقرب المقربين إليها...

وستصرخ فيها الحاقدات من النساء والرجال أيضًا:

من هذا الذي تريدينه زوجًا لك؟!

إنه نكرة وعاش عمره "نكرة مهما كان شأنه سيقال عنه هكذا" أتصدقينه؟ إنه منافق يقول شيئًا ويفعل آخر.

أيغرنك ما يدعيه من دين وخلق؟! هذا قصر ذيل لا أكثر.

إحذري إنه يدبر لك أمرًا.

إنه يريد إثبات ذاته لا أكثر.

وهل سيستطيع أن يوفر لك مستوى المعيشة الذي يليق بك.

ومن قال إنه ذكي؟ "حتى لو كان عبقريًا سيقال عنه هذا".

فإن كان ذكاؤه متوقدًا ثائرًا سيقال إنه مجنون.

وإن كان ذكاؤه هادئًا رزينًا سيقال إنه أبله.

الخلاصة أنه لا يساوي حذاءك هكذا سيقال لها.

وقد يقول لها الكلام السابق أقرب المقربين إليه!

فإذا لم يؤثر هذا الكلام في كليهما "ومن الطبيعي أنه في حالة الحب بالذات لا يؤثر ذلك في شيء إلا على المغفلين فقط، بل كثيرًا ما يدعو إلى الضحك، بل أشد الضحك" وما إن يهدأ دور اللائمين يبدأ دور الواشين. فإن كان كلام اللائمين يدعو إلى الضحك فإن كلام الواشين يدعو إلى الذعر.

الحب في جحيم الاحتراق

فى بوتقة العجز

الحب في جحيم الاحتراق في بوتقة العجز

الجحيم أم الجنة؟!...

والذين قد وقعوا في هوة الجحيم ماذا تعني لهم الجنة؟؟؟

وهل يكون التكيف مع الجحيم هو الحل لمن لا يستطيعون الوصول إلى الجنة؟

هـذه الأسئلة في الحقيقـة لا تتعلق بـالإرادة، فلا شـك أن كل الإرادات البشـرية تسعى إلى تحقيق حلمها في الحياة السعيدة والتى غايتها تحقيق كينونتها بالاتحاد مع المحبوب فهذه هي قمة جنتها الأرضية، ولكنها تتعلق بالعجز!

فالمشكلة لا مجال لإثارتها إلا عندما تقام العوائق والعراقيل بين المحبوبين ويقدر ضخامة هذه العوائق والعراقيل وصعوبة تجاوزها بقدر ما زادت المشكلة تعقيدًا.

إن حصار الإنسان بأسوار الظلم من كل جانب شيء رهيب، ولكن عندما يصاحب ذلك وضع الأغلال والقيود على عاتقه فإن محنته ما أشد قسوتها.

والسـؤال المطـروح هـو: هل يستسـلم للحياة في هـذا الجحيم ويتكيـف معها أم يسـعى للانفجار والخروج من كل ذلك إلى جنة تحقيق كينونته ما دام الأمل موجودًا خصوصًا أنه لن يخسر أكثر مما يكون قد خسره بالفعل.

هل يتكيف مع الجحيم؟ أم يكون محور تفكيره هو أكون أو لا أكون؟.

إن الإرادة القوية لا تسـتطيع أبدًا الاستسلام للعجز مهما كانت الظروف والعوائق التي تواجهها والأسوار والأغلال التي تحبط بها وامتلاك الإرادة القوية تدريب إيماني شـاق يتولاه الإنسان الذي يستهدفه سـنينًا طويلة وهذا التدريب يقوم أساسًا على قوة تحمل الإرادة والقدرة على التضحية بالخسائر مهما كانت جسامتها ما دامت الغايات المستهدفة من هذا التحدي تتعلق بمصيره وتحقيق كينونته.

أمـا الإرادة الضعيفـة فإنها غالبًا ما تستسـلم لمصيرها الظالم عنـد أول تصادم معه

أو ثاني تصادم أو ثالث.. ومن التصادمات التافهة التي لا تعني شيئًا لأنها لا تقوم على خسائر كبيرة مصيرية، ومن ثم فهي في حقيقتها لا تعني تصادمات ولا تحديات أصلًا.

وأهم شيء في هذا الوجود هو امتلاك حرية الإرادة.

إنها محور التكليف في الأمانة التي ذكرها الله في قوله تعالى:

{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب: ٧٢].

إنها أخطر شيء في هذا الوجود.

إنها الشيء الذي على أساسه انتظمت مسيرة الوجود من حياة لموت لثواب وعقاب وجنة ونار.

فكيف يفرط الإنسان في هذا الشيء؟؟!

ما الذي يجعل الإنسان يفرط في حرية إرادته فيساق كالشياه إلى الذبح أو حتى إلى الكلأ الوفير من أجل ماذا؟ من أجل من؟!

نعم الصالحون يشترون آخرتهم بدنياهم والطالحون يشترون دنياهم بآخرتهم، أما الذين يفرطون في حرية إرادتهم فهم مسوخ بشرية يهدرون دينهم ودنياهم معًا بماذا؟!..

بلا شيء!!!...

وقد قال القدماء: أكثر الناس غرمًا من يبيع أخراه بدنيا يصيبها غيره والذين يفرطون في إرادتهم وينساقون وراء غيرهم فإنهم يضيعون آخرتهم ولا يصيبون دنياهم وإنما الذي يصيبها هم هؤلاء الذين ينساقون وراءهم ويسلمون لهم قيادهم.

والوعي بمدى صعوبة العوائق والأسوار والعراقيل وعي نابع من قوة الإرادة فتقدير ذلك ليس مسألة موضوعية في النفس الإنسانية يمكن تقديرها بحياد مهما حاولت ذلك على الإطلاق فأصحاب الإرادة تتضاءل أمام أعينهم كل العوائق والأسوار والعراقيل مهما كانت جسامتها وتمتلئ نفوسهم بالتضحيات التي يقدمونها في سبيل تحطيمها

فـي مقابل ما يدركونه من عظمـة الغايات التي من أجلها يقدمون تلك التضحيات ولا بد من تقدير الخسائر.

فلا شـيء في هذا الوجود يمكن تحقيقه دون خسـائر، ولكي يكون تقديرنا لحجم هذه الخسائر سليمًا فلا بد أن نقارن هذه الخسائر الناتجة عن موقفنا الإيماني بالخسائر التي نعيشها بالفعل إذا ظللنا مستمرين في جحيم موقفنا السلبي.

أمـا أصحـاب الإرادات الضعيفـة فإنهم يسـتهولون الصعاب والعراقيـل وتمتلىء نفوسهم رعبًا عند تصورهم للتضحيات التي يقدمون عليها.

بـل في الحقيقة فإن أصحـاب الإرادات الضعيفة قد يصنعـون من ضعف إرادتهم ذاتها عراقيل وصعوبات مفزعة لا وجود لها بالفعل.

إن صاحب الإرادة القوية يبصر الأسد كلبًا لا بد أن يقاتله إذا اعترض طريقه.

أمـا صاحـب الإرادة الضعيفة فإنه يبصر الكلب أسـدًا إذا اعتـرض طريقه لا بد أن يترك له الطريق.

ثم هل هناك حقيقة شيء يسمى الأمر الواقع الذي يفرض نفسه؟...

إن السلبيين والمغفلين فقط هم الذين يعتقدون ذلك لأنه كثيرًا ما يكون هذا الأمر الواقع الذي يستسلمون له قد زالت أهم ركائزه ومن ثم يؤول للزوال في أية لحظة.

إن الواقعية الحقيقية هي أن الواقع الذي زالت أهم ركائزه يكون من الجهل والغباء، بل والجنون أيضًا الحديث عن الاستسلام له على أنه أمر واقع، بل يكون الأمر الأكثر معقولية هو الاستسـلام للواقع الجديد الذي تظهر ملامحه في العوامل التي أدت إلى زوال الواقع الراهن والعمل على التعجيل بذلك الواقع الجديد.

إن ذلـك الواقـع الجديد المرتقب يفرض نفسـه على الواقع الراهـن المتصدع بما يكمـن فيـه من إمكانات فعالة وحضور قوي، ولذلك يصيـر هو ذاته أمرًا واقعًا بالفعل يجب الاستسلام له.

فالواقـع الداهم الذي ينحنى الضعفاء لعاصفته يحمل في الغالب كما قلت عوامل

تغييره، لكن استيعاب ذلك يحتاج إلى الوعي القوي بما يحيط به من ظروف وما يحمله من إمكانات حقيقية، والبصيرة النافذة التي تستطيع استكناه عوامل التغيير تلك والتفرقة بينها وبين أماني السراب والأوهام.

وحتى على فرض أننا أمام واقع قوي يفرض نفسه لكنه واقع ظالم لعين ما أنزل الله به من سلطان فهل نقف مكتوفي الأيدي ونحن نبصر أعمارنا تتطاير كالدخان من حريق شروره؟.

إن هذا هو الجنون ذاته.

إن الحياة لو امتدت في أروقة اليأس والعدم والكآبة وصارت كالعيش في تابوت متحرك أفلا يكون الموت الناقل إلى رحمة الله خيرًا منها؟!

إنه إذا لم يكن أمامك بديل سوى أن تعيش في الحياة بلا حياة فإن الموقف العاقل الوحيد هو أن تتحدى ذلك الواقع الذي يفرض عليك أن تعيش هذه الحياة مهما كان ثمن هذا التحدي؛ لأنه على أية حال سيكون أقل كثيرًا مما تدفعه بالفعل باستسلامك له.

وهل هناك خسارة أكبر من أن يخسر الإنسان كل ما هو جوهري في حياته؟

وأي تحجج هذا بالأقدار يبرر به الاستسلاميون استسلامهم؟ إنه إذا كان الواقع الظالم الذي يواجهك قدر من أقدار الله فإن تحديك له وعملك الدؤوب على تغييره هو قدر من أقدار الله أيضًا.

وفي جحيم الاحتراق في بوتقة العجز ليس هناك ضوء.

ليس هناك معالم!

ليس هناك رؤى!

ليس هناك حق واضح ولا باطل واضح!

واثنان واثنان قد يساويان خمسين أو لا يساويان شيئًا على الإطلاق المهم أنهما لا يساويان أربعة أبدًا.

كل شيء أشبه بنقيضه وكل شيء لا يشبه شيئًا أبدًا.

كل شـيء كأي شـيء كل شـيء ولا عقلانية هنـا على الإطـلاق فالعقلانية تفتح فاها لتبتلع الضعفاء والمستسلمين...

جنون الحب كقمة الكراهية وقمة الصدق كقمة الكذب.

بل قد تختفي الحدود الفاصلة بين قمة الوفاء والغدر.

وليس هناك سوى شيء واحد واضح هو الاحتراق الذي يحيا فيه الجميع.

مـا الـذي يحدث؟ كيف يحمل العاشـق السكين لمن يعشـق؟ وكيـف تغدوه كلمات الحب سمًا؟ والابتسامة سكينًا؟ واللقاء جحيمًا؟ وبقدر ما يحمل العاشق مـن حب لمعشـوقه بقـدر ما يبذل من مجهـود للتخلص منه. وبقـدر ما يبذل من مجهـود كي لا يفقده بقدر ما يبذل مـن مجهود في التخلص منه والاحتفاظ به فـي آن واحـد. وفـي جحيم الاحتراق فـي بوتقة العجز يغدو حلـم الخروج جحيمًا جديدًا ويختلط الأمر: من القاتل؟ ومن القتيل؟ هل هو من يحيي الحلم؟ أم الذي لا يستطيع تحمل آلامه فيقتله؟.. من الضحية؟ ومن الجاني؟

لا شـيء يتضح سـوى احتراق روحي العاشقين حين يعتنقان في جحيم العجز بالخناجر والدموع.

يغدو كل هذا الاحتراق هو سعادتهما المتاحة في هذا الحلم.

المهـم في موضوعنا هذا أنه غالبًا ما يستسـلم أحد العاشـقين للظـروف والعوائق التـي تواجههما بينما يرفض الآخر هذا الاستسـلام ويقاتل في سـبيل ذلك ويتمخض عن ذلك حالة من العشق غاية في التعقيد.

والعجب إن ضعف المستسـلم يجعله لا يسـتطيع الخروج من المستنقع وإنما هو يوجـه كل طاقتـه إلى التكيف فيه ويمنطـق كل حياته على العمل على تخدير شـعوره لمواصلـة الحيـاة في هذا المستنقع ليعيش فـي حالة من غياب الوعـي يهرب بها من

جحيـم الحيـاة التـي يحياها ووسـيلته فـي هـذا التحدير الـذي يغيب فيه عـن الوعى بجحيمه هو الاستغراق في الاستهلاك المادي المسعور أو في المظاهر المادية التافهة أو تحمل أكبر قدر من المسئوليات التي تسـلبه التفكير في مصيره على الدوام، بل قد يكون وسيلته في هذا التحذير هو الاستغراق في تناول المواد المخدرة ذاتها.

وعلـى هـذا فإن إصرار الآخـر على المقاومة وعلـى إحياء الحلم بشـكل دائم هو بمثابة نزع لكمامة التخدير عن شـعور المستسـلم، ومن ثم الشعور بجحيمه وإذا أحيا فيه الحلم من جديد فإنه يحييه في الجحيم مرة أخرى ومن هنا يغدو هذا الآخر بالنسبة إلى المستسـلم مـرآة جحيمه وهو في نفس الوقت الطاقة التـي تنفذ منها بصيرته على رؤيا الجنة التي يضعف عن التحرك نحوها.

هنا تكـون كل الاختلالات والتناقضـات والتداخلات والاتحـادات والتصرفات التـي يعجـز عن فهمها العتـاة من دهاة البشـر والصادرة عن هذا المزيـج العجيب من أقصى الحب وأقصى الكراهية من أقصى الحقيقة وأقصى الجنون.

لحظـات من التوهج قد يسـتطيع الإيجابي إحياءها في روح السـلبي فتنعكس في حركـة إيجابيـة طفيفة منه يكون صداها صعود الإيجابي إلى السـماء، فإذا بها تنطفيء فيسقط في قسوة من أقصى سمائه على صخور الأرض الصلبة.

أما إذا غلب المستسـلم ضعفه فبدلًا من أن ينفجر في قيوده وأسـواره فإنه قد تأتي لحظـات ينفجـر فيها فـي الآخر الـذي يمثل له مـرآة جحيمه فيندفع إلـى تحطيم هذه المرآة ليتخلص من الشعور بهذا الجحيم.

حوار بين العاشقين:

هي: يا سيدى أرهقنى الطريق إليك طويلًا.

أنت تراه في عينيك سهلًا

وأنا أراه مستحيلًا

يا سيدى لست أملك قوتك ولـم تعد لدي قدرة على القتال

كم تمزقت

كم نزفت

كم احترقت

وكلما صهرني التوهج بالعشق.. بالحلم.. بالجنة أعيش في جحيمين..

جحيم حياتى في الظلم الذي لا أطيقه

وجحيم عشقى للحلم الذي لا أستطيع تحقيقه.

أرجوك اتركنى احترق في صمت

أرجوك لا تنزع عن عينى غمامة التخدير عن الشعور باحتراقي

أرجوك دعني أستسلم للراحة في جنة اليأس

وفي هدوء الرماد

لا تجعلني أبصر في عينيك مرآة تعاستي

أرجوك.. أرجوك.. وإلا حطمتك

دعني أمضي إلى مقصلتي كي أذبح مرة واحدة.

لا تصرخ من أجلي فتذبحني آلاف المرات

أرجوك.. أرجوك.. لا تصرخ من أجلي وإلا قتلتك.

هو: انهض من حطام صليبك.

اخرج من توابيت عجزك

وأطلق براكين ذاتك

انطلق إلى النور والشمس والوضاءة

اطلق روحك الظمأى إلى السحر والجمال والخلود

توهج بالعشق وانصهر في النور

فلحظة واحدة من التوهج تبصر الوجود غير الوجود

تبصر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

لحظة واحدة تعيش في جنة الله على الأرض.

ما أجمل الوصال.

هو أن نحيا بالإيمان والعشق

ونصفو تمامًا حتى تتعانق أرواحنا وتسمو إلى الله

ونغدو أقرب إلى الملائكة.

هو ألا يصير للمكان وجود

ولا للزمان وجود

واللحظة الواحدة في وصالنا هي اختصار للأبد.

هو أن نحيا جنة الله على أرضه

حتى ننطلق منها إلى جنة الله في السماء.

هو أن نغدو بسمو أرواحنا

أقوي بلا حدود من كل الأسوار والعوائق والقوانين.

انطلق إلى الروح وامتلك اليقين بأنك ستحطم كل هذه الأسوار والعوائق والقوانين.

انصهر في الإيمان والعشق تصير أنت الصاعقة..!

انصهر في الإيمان والعشق تصير أنت الصاعقة..!

فجر قوي إرادتك بالانصهار في الإيمان والعشق

تجد كل القوي التي تهابها تتساقط من حولك.

ها أنا أتوهج نحوك مهما تهيبت أنت ذلك

ولإن قتلت سأكون سعيدًا بأنني بإيماني وعشقي

تطهرت حتى الموت.

لقد عشت عمري كله تنزف روحي من أجلك

فهل سأحزن الآن إن نزفت دمائي؟!

المرأة هي أعدى أعداء المرأة

ولا يخضع للتقاليد

إلا المغفلون والمغفلات من البشر

المرأة هي أعدى أعداء المرأة

ولا يخضع للتقاليد إلا المغفلون والمغفلات من البشر

المـرأة هـي أعدى أعداء المرأة... فلا توجد امرأة في العالم ترضى أن تحقق امرأة غيرها من السعادة أو النجاح أكثر مما حققته هي.

أما إذا فشـلت هي أو أصابتها التعاسـة فإنها لا تريد أن ترى امرأة ناجحة أو سعيدة أبدًا.

خلاصـة الأمـر أن القدر الذي تحققه المرأة من السـعادة أو التعاسـة أو النجاح أو الفشـل يكون بمثابة الحدود التي لا تسـمح لغيرها بأن تتجاوزهـا أبدًا، بل تعمل بكل طاقاتها أن تحبس الأخريات فيها.

وما أقوله هذا أمر عام لا يكاد يستثنى منه أحد إلا قلة قليلة أهمها المؤمنات التقيات اللاتى لا يصدر سلوكهن أو أقوالهن إلا ابتغاء لوجه الله ورسوله.

فالغيـرة والحقد الشـديدان إذا لم يكن هناك تدين وتقى همـا القانون الذي يحكم علاقـة المرأة بالذات بغيرها من النسـاء مهما كانت مـدى قوة العلاقة بينها وبينهن من القوة: صديقتها الوحيدة.. أختها.. بل حتى بنتها.

وأقصـى اجتهاد يجهدن فيه أنفسـهم هـو إخفاء حقيقة الغيـرة والحقد هذه وادعاء أنهن يبتغين النصيحة والمصلحة مما يقلنه أو يفعلنه.

فالنسـاء التعيسـات يـردنَّ أن يجعلـنَّ من حدود تعاسـتهنَّ سـجنًا لحريـة الفتيات والنسـاء الأخريات والدافع النفسـي مـن وراء ذلك هو أنهن لا يـردنَّ لأحد أن يصنع ما لم يصنعنَّ حتى لا يشـعرنَّ بالفشـل فضلًا عن الاعتراف به فهنَّ يقنعنَّ أنفسـهنَّ بأن هذه التعاسـة التي أصابـت حياتهنَّ في حياة العبودية التي عشـنها هي أقصى ما يمكن

لأحد تحقيقه، ومن ثم ناجحات في حياتهنَّ ولم يفشلنَّ فكيف لأحد أن يخترق هذه الحدود ويكشف فشلهنَّ؟ لا.. لابد ألا تتجاوز واحدة من النساء القدر الذي وصلنَّ إليه!.. أيدعنها تثبت بذلك أنها أفضل منهن وأنها نجحت فيما لم يستطعن تحقيقه؟ لا.. لا بد ألا تتجاوز هذا القدر أبدًا فإذا حاولت ذلك حاربنها بكل الطرق مدعين كذبًا وزورًا وافتراء من عند أنفسهنَّ ما لم ينزل الله به سلطانًا أن هذا غلط وهذا عيب وهذا حرام.

إن عاتكة ابنة زيد كانت امرأة ذات دين وجمال تزوجها محمد بن أبي بكر الصديق ثم مات فتزوجها عمر بن الخطاب ثم مات فتزوجها الزبير بن العوام ثم مات ثم تقدم الإمام علي بن أبي طالب لخطبتها فقالت له: يا أمير المؤمنين إني لأضن بك على الموت.

وأغلب الصحابة قد تزوجوا من الأرامل والمطلقات، بل كل زوجات الرسول ﷺ باستثناء عائشة كن من الأرامل والمطلقات. ومع ذلك لو حاولت إحدى الأرامل أو المطلقات الزواج مرة أخرى في هذا العصر لمزقتها النساء بألسنتهن إربًا.

والسلاح الذي يتسلحن به في كل ما يدعينه هو التمسك بالتقاليد والخوف من كلام الناس وحكاية التقاليد هذه من أكبر الأكاذيب في التاريخ خصوصًا لو جاءت على ألسنة النساء.

لأنه في الحقيقة لا يخضع للتقاليد في الدنيا كلها إلا المغفلون والمغفلات من البشر.

وأكثر الناس تشددًا في تطبيق التقاليد على غيره هو أكثر الناس استعدادًا لأن يدوسها بالأقدام إذا تعارضت مع مصلحة تخصه هو أو هدف يعمل على تحقيقه.

* * *

وما هي العادات والتقاليد هذه؟!..

إنها معتقدات العواجيز الذين امتلأت نفوس الكثيرين منهم بالشروخ والتصدعات

التـي أصابتهم بها كثرة هزائمهم في الحياة واجتمع فيها الجهل والشـيخوخة والعجز والإحبـاط وهـو مـا لـه أثـره الكبير فـي آرائهـم ومواقفهـم التي تتسـم عـادة بالجهل والسلبية.

إنها معتقدات العواجيز التي كم تحكمت في القرى والنجوع والأحياء والضواحى فأطفـأت براكيـن حمـاس وعطلـت برامج إصـلاح وميعـت قضايا وحقائـق وأحنت رؤوسًـا غراء وأقـرت مظالم وحرمات ومهـدت بوجه عـام الأرض للظالمين يعيثون فيها فسادًا.

وعلـى عكـس ما هو شـائع فـإن الـذي يحكـم العلاقـات الاجتماعية هو النسـاء الكبيـرات في السـن. وهـذا أمر يعلمه جيدًا كل مـا لديه الخبرة بأحـوال الناس ولكن هؤلاء في نفس الوقت لا يتحركن إلا في إطار محدد من القواعد الاجتماعية الظالمة للنساء لحساب الرجال والتى ترسبت على امتداد الأجيال.

وإذا كانـت الحقائـق والاعتقـادات والقواعـد الحاكمـة للعلاقات الأساسـية في المجتمع وكذلك معايير الصح والخطأ، والنافع والضار، والنجاح والفشل، والضوابط الأساسـية لتحديد القيمة الاجتماعية للآخرين كل ذلك يستقى من النساء المتقدمات في السـن بما يترسـب داخل نفوس أغلبهن من عقد وخرافات ومفاهيم جاهلية، فهل مـن الممكـن أن ننتظر مـن أبناء هـؤلاء أن يقودوا مجتمعنـا إلى الصحـوة الحضارية المنتظرة بينما اللاتي تقمن على تشكيل وعيهن الداخلى أمثال تلك السيدات.

وإذا كان المألوف أو العرف بوجه عام طرقًا نمطية في التفكير العقلى تعوق التطور الطبيعـى في التفكير وتحجب عن وعيه الرؤى الصحيحـة، فإن حركة تقدم المجتمع تكون رهنًا لمدى إصرارنا على نسـف هذه المفاهيـم والتقاليد والأنماط العقلية التي تعوق مسيرته.

إنه قد يكون للإنسان هدف مصيرى وقد يكون تحقيقه ممكنًا بمثابة ١ + ١ = ٢ هذا من حيث الدين ومن حيث الواقع ومن حيث المنطق ومن حيث القدرة، بل قد

يكـون ضـرورة تحقيق هذا الهـدف بمثابة الحياة أو الموت بالنسـبة لأطرافه وعلى الرغـم من سـهولة تحقيق هذا الهـدف من كل الزوايا السـابقة إلا أن البعض قد يجعل منه أمرًا مستحيلًا!!.. لا لشيء إلا لأمر واحد أنه ليس شائعًا.

ولا شيئًا حقيقيًا لدى المرأة عندنا إلا ما هو شائع.

وليـس هنـاك معيار آخـر يحتكم إليـه لدى أغلب النسـاء عندنا فـي تقديرهن للأمور غير هذا المعيار.

فالمفاهيم الدينية عندهن هي المفاهيم الشـائعة المتوارثة عن الإسـلام وهى في أغلبها مفاهيم جاهلية تسـودها الخرافات والأسـاطير والمعتقدات الشـركية وتعكس في داخلها ما تنطوى عليه من آثار سلبية. وليس هناك ما يسمى بالتفكير المنطقى العميق لدى النساء عندنا إنما هناك فقط ما هو شائع.

وعلى ذلك فالمنطقي لديهن فقط هو ما يتفق مع هذا الشائع.

وليس هناك علم ولا ثقافة.

فالعلـم ولاثقافـة هما ما ترثنـه وتتلقفنه من مفاهيم من النسـاء الأخريات لا سـيما العجائز أو الأكبر سـنًا التـي ترتبط بهن حتـى إذا أردات أن تتلقى مفاهيم أخـرى عـن طريق العلم والثقافة فهى لن تتقبل منهـا إلا المفاهيم التي تتفق مع المفاهيم التي أخذتها من هؤلاء النسـاء فما يتفق مع هذه المفاهيم يصير علمًا وما لا يتفق يصير جهلًا أو عبثًا لا جدوى من ورائه.

وبمعيار الشـيوع هذا فهن يفكرن في كل أمور الحياة تسـتوى في ذلك المرأة الجامعية والمرأة العادية.

وفـى الحقيقة فإن العائق الأكبر في وجه تقدم المرأة في مجتمعنا هو المرأة ذاتها.

وهـى ذاتها أيضًا السـجان الحقيقي الذي يكبلها بمواريـث عجيبة من الأغلال

والقيود ما أنزل الله بها من سلطان.

ومن الطبيعي أن النساء اللاتى أقصدهن، هن النساء المحافظات غير الواعيات في نفس الوقت اللاتى يشكلن أغلب مجتمعنا، أما الفاجرات من النساء والمتحررات الملحدات منهن اللاتي لا يحكمن شيء فإنهن يخرجن عن الدائرة التي يتوجه إليها كلامي أصلًا.

ولا عجب إذا قلنا إن المشكل الحقيقي لعقل هؤلاء النساء المحافظات والمرجع الأساسي لجل تصرفاتهن هو الخرافات والأساطير والعقد الجاهلية المترسبة في عقول النساء العجائز أو بوجه خاص سيدات المجتمع المحافظات اللاتي يطلق عليهن لفظ "القرشانات".

ومن تجرع الغيظ من تقاليد المجتمع عندنا وعاداته الجاهلية يستطيع أن يستقرأ تلك المفاهيم الجاهلية التي تسيطر على هؤلاء النساء.

فهن لا يملن إلا إلى الثبات.. الثبات.. الثبات.. والاستقرار.. الاستقرار.. الاستقرار.

والوجل الشديد من أية محاولة لتغيير الأمر الواقع، والرضا والتسليم بكل شيء وأي شيء.

كما يميل أغلبهن إلى الالتجاء إلى الخرافات يستمدن منها العون على تحمل قسوة الحياة التي تسببن هن أنفسهن في وجودها.

ومن هنا كانت غلبة المعتقدات والأعمال الشركية على الكثيرات منهن والتى تتمثل في الالتجاء إلى الأضرحة والمقامات يلتمسن منها العون والمساندة والبركة.

ومصيبة المصائب في التجاء بعضهن إلى أعمال السحر والشعوذة والمعارك المتبادلة بين هؤلاء في أذى بعضهن البعض بتلك الأعمال أو التخلص منها "فكها" وما يلزم ذلك من الاستعانة بشياطين الإنس والجن وهى حقيقة لها وجودها في

مجتمعنا وتدخل كلها في أعمال الكفر.

والغاية التي يبحث عنها هؤلاء هي الأمان. الأمان. الأمان.

والشائع الآن أن الأمان يتحدد في النوم فوق سرير من الثروة.

وحقيقة الحقائق في هذا الأمر أنه لا أمان إلا في الإيمان والرضا.

فالإيمان هو القوة والرضا هو القدرة على مواجهة شتى ظروف الحياة وتقلباتها، ولكن أني لنا أن نجد من يفهم ذلك.

ولأن هؤلاء النساء يحملنَّ ميراث القهر العبودي المترسخ في تقاليدنا فإنهن يفزعن من أية محاولة لتغيير كل ما هو قائم بالفعل مهما حمل من المجافاة والظلم، ولذلك فإن المسئول الأساسي عن تكتيف المرأة عندنا وتقديمها للذبح على يد بعض المتسلطين التافهين من الرجال هو المرأة نفسها.

والتبرير المتوارث لدى هؤلاء لتلك الحالة السلبية أمام أي ظلم والتي يسببها ذلك الفزع المترسب لديهن من أي صدام مع المجهول أن ما يحدث هو إرادة الله أو هو كما يقال في التعبير الشائع لديهن النصيب.

فالنصيب يكاد يكون الكائن الوحيد المتمثل أمامهن الذي يملك الإرادة أما نحن البشر وخصوصًا النساء مننا فعبارة عن كائنات لا إرادة لها تسوقها الأقدار حيث تشاء.

وبهذا المنطق يكرسن الخضوع والإذعان بالنسبة لكل ما يحدث في هذا العالم.. فتزج الفتيات في الزيجات اللامتكافئة باسم النصيب وتحيا المرأة في حالة من العبودية وتحيا عمرها في لهاث متواصل من أجل العمل على ترميم التصدعات المتفاقمة في البيوت التي تحيا على حافة الانهيار بشكل دائم باسم النصيب حتى يمزق نفوسهن هذا اللهاث المتواصل.

ولن يرث أبناء التمزق إلا التمزث ولن يرث أبناءالانكسار والرضوخ لكل واقع مرير إلا الانكسار والرضوخ.

وكيف من الممكن أن ينجب هؤلاء أجيالًا يملؤها العزم والتحدى والصمود على مواجهة قوي الاستكبار العالمية والجبروت الأمريكى والصهيوني؟!

والحقيقة أن هؤلاء النساء لا يكتفين بما رسخته حياتهن الاستعبادية الممزقة في ذهن أبنائهن وإنما هن يقمن بشكل مباشر بتلقين أبنائهن وحشو نفوسهن بالخوف والجبن والهلع من الصدام مع المجهول، كل ذلك على أساس أن الرضا بالأمر الواقع هو النصيب وقضاء الله وقدره.

ما لكن أنتن والعالم. عليكن أن ترضين بما قسمه الله لكن وما تقذفه لكن الدنيا وما يتفضلن به عليكن الظلمة والطغاة وأصحاب الشأن.

هذا هو نصيبكن الذي قسمه الله لكن وهل يحق لأحد أن يعترض على قسمة الله له؟!

مفاهيم الجهل والاستعباد والتمزق هذه هي المسئولة عن حالة التشوه العقلى والنفسي التي يعانيها الكثير من أبناء هذه الأمة. وكيف يستطيع جيل يحمل مثل هذه المفاهيم أن يواجه قوي الاستكبار العالمى التي لا تعتمد إلا على المنطق العقلى والقواعد العلمية في تقديرها للأمور.

هم امتلكوا المنطق العقلى والعلم ونحن استعاضنا عن المنطق والعلم والوعى الدينى بالجهل والانكسار والخرافة.

ولا تستطيع أن تعرف إلى متى يعتقد النساء عندنا أن الظلم هو نصيبهن من هذا العالم؟

إلى متى لا يفهمن أنه كما أن ما وقع من أحداث هو نصيب وما سيقع منها هو نصيب وإن مقاومة كل أمر واقع ومحاولة تغييره هو نصيب أيضًا؟ أما ذلك النصيب المطلق النهائي الذي يعتبرنه إرادة الله التي يجب التسليم بها فهو النتيجة النهائية من كل هذه الأمور.

وأقول ـ لمن يستطعن استيعاب مثل هذا الكلام ـ إنه ما دام ليس هناك من يطلع

على الغيب ليعلم ما الذي أراده الله لنا في المستقبل فليس هناك شيء يمكن اعتباره في علمنا نحن النصيب الحتمي والمطلق والنهائي فكل شيء قابل للتغيير في هذا العالم وتلك سنة الله في خلقه.

حقيقى أنه قد تكون هناك أمور معينة أراد الله نفاذها في هذا العالم لكننا لا نستطيع أن ندرك هذه الإرادة لكي يمكننا التسليم بأمر ما دون آخر فلا نعمل على محاولة تغييره.

وقد أردت من كل ما سبق أن أبين ما المفاهيم التي تحتل السلطة العليا في استيعاب المرأة ووعيها، ومن ثم في القرارات التي تتخذها في حياتها.

ولذلك فالفتاة أو المرأة عامة عندما تتخذ قرارًا ما مهما كانت خطورته في حياتها فإنها عادة تلتفت يمينًا ويسارًا تستقريء آراء النساء حولها في هذا القرار، ومن الصعوبة بمكان أن تجد واحدة منهن تستطيع أن تتحدى تلك التقاليد البالية التي تكبلها بها النساء الأخريات وخصوصًا العجائز منهن.

وهكذا توقف المرأة حياتها رهينة لتلك القيود.

* * *

التكيف مع البشاعة

من يضعف عن الخروج من المستنقع

يكيف حياته على العيش فيه

المصريون أكثر الناس قدرة على التكيف مع الواقع مهما كانت صعوبته بل ومهما كانت بشـاعته. والذي لا يسـتطيع أن يخرج من المسـتنقع يكيف حياته على البقاء فيه والروح التي تنزف وتتصدع وتسقط بعد أن تطعن طعنتها القاتلة لا ينقذها إلا الإيمان الهادر المتفجر وإلا فإنها تموت.

والحيـاة بغير روح هي نصيب كل من يذبح ويرضخ للسـكون، والحياة بغير روح هـي الحيـاة التي تملـك القدرة الخاصة على التكيف في المسـتنقع الذي تسـقط فيه، والقبضـة الحديدية التي تصنعها النسـاء اللاتى رسـفت عمرها فـي ذل العبودية على غيرهن من النسـاء اللاتي يسـقطن فيها تـكاد تعجزهن على الخروج منهـا، والذريعة الأساسـية التي من خلالها يحكمن قبضتهن عليهن هـي النصيب، فالنصيب دائمًا هو ذريعة الاستسـلام للرسـوف في العبودية عندنا فإذا كنت قد سـقطت في جهنم الحياة الدنيـا فإن النصيـب هو الذي ألقاك فيها ولا أحد يملك الخـروج من نصيبه.. رضيت أم لـم تـرض فعليك أن تتجرعـي المرار في صمت.. وأن يحتـرق وجودك أمامك في صمت.. وأن تصير كل الأشياء لا تعني أي شيء في صمت.

ليس هذا فقط، بل عليك ألا "نشـمتي" الناس فينا، بل عليك أن تُكذِّبي ما يرددونه مـن أننا قد بعناكِ. بـل تثبتين لهم أننا قد اخترنا لك الاختيار الدقيق الذي يناسـب هذا العصر وما دام هناك مال، فإنه من السهل إثبات ذلك.

وإذا كان هـذا منطق من تفرضـن اليد الحديدية وتضعن أجمل الفتيات في صفائح

الزبالـة وتحكمـن عليهـن الغطاء حتـى لا يخرجن منهـا فهناك منطق آخـر له وجاهته بالنسـبة لهؤلاء منطق يسمح لتلك السيدات بأن يأمرن تلك الفتيات أن تأكلن القمامة ويقلـن عليها أجمل الحلوي، وهو منطق التحايل على المهانة الخارجية! وهل توجد مهانة أكثر من أن تباع المرأة نفسها؟!.ولكنه منطق المتكبرات من هؤلاء النساء.

فإذا كن ضعيفات عن تحدي الرتاج الذي حكمت به النساء العجائز إغلاق الباب عليهن في جحيم العبودية وقد خسرن كل شيء..

خسرن كل النعيم الروحي الذي احترق تمامًا بعد أن نزفت الروح ذاتها وتصدعت وماتت. وخسرن أهم متع الجسد التي يؤدي فقدانها إلى فقدان التلذذ بأية متعة أو لذة مادية أخري.. خسرن كل ما يتعلق بالمقومات الحيوية لوجودهن.

إذا كن ضعيفات عن تحدى الرتاج الذي يحكم ذلك فإنهن لا يرون أن يضفن إلى ذلك مصيبة أخرى وهى مهانة النظر إليهن كجوار.

ومـن هنـا يبـدأ التعامل مـع الجنون ذاتـه على أنه أحـق حقيقة أو مـا يمكن وصفه بمنطقـة الجنون. والذي يخسـر كل شـيء فإنه يتقدم إلى المقصلـة ثابت الخطى وإذا صرخ الناس من أجله فإنه لا يبدى انتباهًا حتى لصراخهم.

وما أقوله ليس عجيبًا فقد شـاهدته بعيني رأسـي ولكي نسـتطيع أن نعيه ونفهمه لا بد أن نبصر قاع الإحباط والقنوط واليأس الذي يصدر منه في نفوسهن والصدع الذي يحتـدم بقتـل الرغبة في الأحلام التي تذبـح أما عيونهن وأردية "أثـواب" الحرير التي يحاولن بها إخفاء أوحال الأجسـاد النجسـة التي اعتصرت أجسـادهن وغرست فيها بذور الذبول والعفن.

ولهذا سيقلن أنهن اللاتي اخترن هذا المصير بإرادتهن وإنهن يهمن حبًا في هؤلاء الذين احترق وجودهن في بوتقة الحياة معهن. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * *

لماذا لا يكون الانفجار

أهون من الاحتراق في صمت؟

لماذا لا يكون

الانفجار أهون من الاحتراق في صمت؟

هل نحترق في صمت؟

هل نبصر أرواحنا تنزف أمام أعيننا ونحن نغوص في الصمت؟

هل يستباح كل شيء في وجودنا ونحن نسكن في الحريق بلا صراخ؟

هل يعتصر وجودنا كاسات سكر على موائد الطواغيت والمفسدين في الأرض بينما نحن نتجرع النيران والغيظ والظمأ؟

هل ليس لنا سوى العيش في صناديق القمامة نزبل فيها ونموت ونتحلل في العفن؟

هل ليس لنا سوى العيش في الحريق بينما الأحلام حولنا تحصدها المشانق؟

هل نخشى السيوف المشرعة في وجوهنا بينما السيوف التي تمزق أرواحنا لا تهدأ ولا تلين.

أي وجود هذا الذي نرتضيه ونحن نحيا الحياة في توابيت الظلم بلا حياة ما الذي يعنيه وجودنا إذا فقدنا الروح واحترق في وجودنا كل شيء جوهري في الحياة؟

هل نرتضي الحريق في صمت حتى نحال إلى رماد بدلًا من أن ننفجر في وجه الطواغيت والمفسدين في الأرض الذين يسحقون أرواحنا؟

هل نكتوي بنيران الحقيقة التي نحتويها بدلًا من أن نفجرها في أسوار الظلم والضلال التي تحيط بنا؟

ماذا يفيدنا التراجع إذا كان حائط الموت سيصدنا في النهاية؟

ولماذا لا يكون الانفجار أهون من الاحتراق في صمت؟

أسوار من الظلم والضلال لا حدود لها لا يرتضيها سوى العبيد وأغلال من الخرافات لا يرتضيها سوى المغفلين.

باسم الواقعية يسيغون استعبادنا بالاستسلام للأمر الواقع وباسم التقاليد والمفاهيم المفتراة على الدين يسوقون المغفلين منا بكل هدوء إلى الذبح.

إن الحياة لو امتدت في أروقة اليأس والعدم والكآبة وصارت كالعيش في تابوت متحرك أفلا يكون الموت الناقل إلى رحمة الله خيرًا منها؟!

وأي عقل هذا يدعيه الانهزاميون لكي يبرروا به استسلامهم المخزي لواقع مثل هذا؟

إنه إذا لم يكن أمامك بديل سوى أن تعيش في الحياة بلا حياة فإن الموقف العاقل الوحيد هو أن تتحدى ذلك الواقع الذي يفرض عليك ان تعيش هذه الحياة مهما كان ثمن هذا التحدي؛ لأنه على أي حال سيكون أقل كثيرًا مما تدفعه بالفعل باستسلامك له، وهل هناك خسارة من أن يخسر الإنسان كل ما هو جوهري في حياته؟

إن الذين يشترون آخرتهم بدنياهم يخسرون الدنيا ويكسبون الآخرة وما أربحها صفقة! أما الذين يرتضون الواقع الظالم المهين ثم يستمرءونه ويدافعون عنه ويناصرونه فإنهم لا يخسرون دنياهم فقط وإنما آخرتهم أيضًا.

هل على العشاق أن يعتذروا عن أحلامهم ويباركوا اغتصاب الطواغيت والمفسدين في الأرض لمن يعشقون.

هل نحيا بأرواح منتهكة ونكتفى بالطعام والشراب؟

هل تنتزع كينونتنا من داخلنا ونسحق بالأقدام أمام أعيننا ونكتفي بالبقاء لمجرد البقاء.

وما الذي يمكن أن يلهينا عن فجيعة الحياة بلا روح ولا كينونة؟

إن التخدير المتواصل الذي يمارسه البعض على نفسه سواء بالمخدر الكيماوى

أو مخدر الملذات المادية التافهة أو مخدر الاستغراق في المظاهر التافهة أو مخدر الانشغال في تحمل مسئوليات الآخرين كل ذلك لن يحجب عقولنا للأبد عن الوعى ببشاعة ما نحيا فيه وإذا كانت وسيلتنا في الحياة هي الهروب من الشعور بحقيقة الحياة فلماذا نعيشها أصلًا؟

لماذا لا يكون البديل لكل ذلك هو الانفجار؟.

هو المواجهة........؟.

هو وضع تلك الحقيقة أمام أعيننا للأبد وهي:

إما نكون أو لا نكون؟

* * *

الحب أيضًا يموت

شهدت الفترة من منتصف السبعينات إلى منتصف الثمانينات شبه مفرمة لحالات الحب الحادثة حين ذاك والتى مثلت الذروة العليا لحالات الفرقة فى الحب بسبب الضغوط المادية التى كان يتم الحديث عنها قبل ذلك .

فقد شهدت بداية هذه الفترة الهجمة البربرية العنيفة للمفاهيم النفعية (البراجماتية) الأمريكية على المجتمع المصرى مما أشاع لدى أرباب الأسر ممارسة ضغوط كبيرة لعرض بناتهن سلعًا لمن يدفع أكثر فى عقود مقنعة بالشرعية تسمى زواجًا أما ما بعد ذلك فقد تغللت هذه المفاهيم فى المجتمع حتى استقرت وغدت الكثير من الفتيات اللاتى تماثل ظروفهن مثل تلك الظروف هن اللاتى يقمن بأنفسهن بالبحث عمن يدفع أكثر شراءً لهن.

المهم أن هذه الفترة طرحت بقوة هذا السؤال الذى أثير كثيرًا على امتداد التاريخ:

كيف خضعت لهم ؟. إذن هي خدعتنى ولم تكن تحبنى ؟

إن الحديث حول الحيرة التى يتضمنها هذا السؤال يمثل الجانب الأعظم من الروايات والأشعار التى كتبت عن الحب على امتداد التاريخ ولا حل للإجابة على هذا السؤال إلا بفك الارتباط بين وجود الحب ةالقدرة على مقاومة الضغوط البشعة.

إنه فى داخل الأسر المحافظة (خصوصا ما قبل عهد النت والدش) يتم النظر إلى الفتاة فى هذا السن الذى غالبا ماتتم فيه هذه الزيجات القهرية (الثامنة عشر) على أنها مجرد طفلة ويتم التعامل معها على هذا الأساس وغالبًا ما تكون القسوة أكبر إذا كان رجل البيت هو الأم أو أي سيدة أخرى ، وما زاد الطين بلة هو تطبيق ماأراد الغرب فرضه علينا من تحديد سن الأطفال بما دون الثمانية عشر . وعلى ذلك فقد يكون من

الصعب جدا أن تكلل محاولات هؤلاء الفتيات فى المقاومة بالنجاح ، زمن ثم يغدو موضوع البكاء والنواح على الغدر والخيانة ترديدًا لما يأتى فى الكثير من الأغانى هو نوع من الخبل.

ولذلك فلابد أن نضع معيارًا آخر للحكم على إخلاص المحبوب بعد فك الارتباط بين وجود هذا الإخلاص والقدرة على المقاومة للضغوط التى تواجهه فإذا كانت التضحية هي المعيار الأساسى لوجود الحب فإن بذل الحد الأقصى من المقاومة للضغوط يكون هو المعيارلوجود هذا الإخلاص .

المهم أنه بعد فشل المحبوب فى مقاومة الضغوط غالبًا ما تأتى مرحلة من التكيف مع الوضع القائم ، هنا يبدأ خفوت الحب لدى المحبوب ، الأمر الذى يؤدى فى المقابل إلى خفوت الحب لدى المحب نفسه لأن الحب كائن حي بين طرفين لابديل لاستمرار حياته من الرعاية المخلصة من الطرفين ، وكل تقصير لهذه الرعاية من أحد الطرفين يقابله - بعد جهد ما من المقاومة- تقصير آخر من الطرف المقابل ، فإذا استمر هذا التقصير طويلا فلا شك أن الحب يموت فى النهاية.

حتى لو ظلت بقايا قليلة له لديهما فإنها قد تتحول إلى مجرد ذكرى.

* * *



الحل: داؤك هو دواؤك

الحل: داؤك هو دواؤك

قرأت مرة لأحد حكماء الفرس شعرًا يقول:

لا تذهب إلى البحر.

قلت لك حذار.. لا تذهب لا تذهب...

أما الآن وقد ذهبت.

فاسلم نفسك للتيار.

أنني أتفق مع هذا الحكيم في الحذر عند الذهاب إلى بحر العشق وأنه عند التعمق فيه فلا فائدة من النصيحة بالعودة ولكنني اختلف معه في قوله فأسلم نفسك للتيار فمن كان البحر قدره فعليه أن يكون سباحًا ماهرًا وليس سباحًا مستسلمًا.

والأحق أن يقال لمن لا جدوى من نصيحته من الشعاق:

أن داؤك هو دواؤك ولا حل غيره.

أكررها مرة أخرى.

داؤك هو دواؤك ولا حل غيره.

هل ما أقوله هذا عقل؟ هل هو جنون؟

الحقيقة أنه غاية العقل وغاية الجنون معًا؟ إنه عقل الجنون وجنون العقل أنه منطق الاحتراق بالعشق الذي ليس له سوى منطق واحد هو منطق ذاته.

والمشكلة ليست في فهم ما أقول ـ ولسوف أشرحه ـ ولكن المشكلة في القدرة على تطبيقه.

إن ما أقوله هو غاية العقل لأنه لا حل غيره.

وهو غاية الجنون لأن القدرة على تطبيقه تفوق إدراك العقل وهو منطق ذاته؛ لأن هو منطق الحب الذي لا منطق غيره.

احتـرق اسـتمر فـي احتراقك علـى الـدوام ولا تطفيء نـارك أبدًا، ولكـن إياك أن تتآكل.

جدد جراحك على الدوام لا تضمدها أبدًا، ولكن إياك أن تضعف.

اجعل نار عذابك هي وقود قوتك.

اجعل نار عذابك هي نار إصرارك على تحقيق الحلم.

إن وطـأة الآلام على قلب العاشـق هي التي تؤدي به إلـى الضعف والهزال وغيب العقـل والانهيـار ولا حل له إذا أراد أن يكون له حلًا.. إذا أراد أن يحقق حلمه بوصال محبوبـه وغيـاب أن يجعل وطأة هذه الآلام على قلبه هي سـبيله إلـى القوة والصمود وتفجير طاقات العقل الخلاقة وتحقيق المعجزات.

لا أقول لك تسـلى عن الألم فخبرات التاريخ في العشق تقول أن العاشق لا يسلى عن آلامه أبدًا وإنما غاية ما يحدث فيما يقال عنه أنه سلو أنه يستسلم للعجز بالهروب في غيبوبة التخدير المتواصل بأي أمر من الأمور.

أقـول لك إيـاك أن تقبل على نفسـك ذلك فتعيـش الحياة بلا حيـاة وتغدو الميت الحـي، ولكن حتى إن هـدأت نيرانك فعليك أن تجددها على الدوام وألف الحياة في جحيـم الدنيا واسـتمد من قوة إيمانك في تحملها قوتك فـي القدرة على تحقيق ما لا يستطيع الناس تحقيقه.

وتعود كيف تحيا في الحريق.

وإن كان يقال لك على امتداد التاريخ تسـلى بالأشـعار وسماع الأغاني فإني أقول لك: لا تفتح كتب الأشعار ولا تسمع الأغاني على الإطلاق.

إن طريقك إلى النجاة هو احتدام المشاعر، ولكن ليس ذلك الاحتدام الذي يخرج بك عن الواقع، ولكنه الاحتدام الذي يصهرك في هذا الواقع ويجعلك أكثر قدرة على منطقة الأمور لتبلغ القدرات الخاصة التي لا يستطيعها الآخرون.

أما الأغاني والأشعار فلا تعود إليها إلا إذا سكن احتراقك وهيهات أن يسكن.

أقـول لك لـو كانت حرقة العشـق تمضي بـك إلى الذبـول والهزال وتبـذل الهيئة فعليك أن تجعلها تمضي بك إلى التجلد والقوة والأناقة.

هل حرقة العشـق تمضي بك إلى التفكك والشـرود والهذيـان؟ عليك أن تجعلها تمضى بك إلى الواقعية والحنكة والدهاء.

أنت بنار العشق أقوى.

أنت بنار العشق أصلب.

لو استطعت أن يكون داؤك هو دواؤك.

فإن لم تستطع ذلك فطوبى للأفاعي والطواغيت والأفاقين والمفسدين في الأرض وكل الذين يرتكبون أبشع الجرائم ولا يدينهم أحد.

* * *

أهم المراجع

مرتبة بحسب أهميتها للكتاب

القرآن الكريم:

صحيح البخاري: الإمام البخاري.

صحيح مسلم: للإمام مسلم.

رياض الصالحين: الإمام النووي.

التفسير الكبير: الإمام الرازي.

تفسير القرطبي: الإمام القرطبي.

تفسير القرآن العظيم: للإمام ابن كثير.

تفسير البيضاوي: للإمام البيضاوي.

فتح الباري في شرح صحيح البخاري: للإمام ابن حجر العسقلاني.

شرح صحيح مسلم: الإمام النووي.

طوق الحمامة: الإمام ابن حزم.

رياض المحبين ونزهة المشتاقين: الإمام ابن القيم.

الزهرة: الإمام محمد بن داود الظاهري.

ذم الهوى: الإمام ابن الجوزي.

زاد المعاد: الإمام ابن القيم.

الداء والدواء: الإمام ابن القيم.

إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: الإمام ابن القيم.

أخبار النساء: الإمام ابن القيم.

الروح: الإمام ابن القيم.

معارج القبول: الإمام حافظ بن أحمد حكمي.

مجموعة التوحيد: الإمامان ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب.

العبودية: الإمامان ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب.

فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: الشيخ عبد الله آل الشيخ.

الإيمان: ابن تيمية.

العقيدة الطحاوية: الإمام الطحاوي.

شرح العقيدة الطحاوية: الإمام العز الحنفي.

شرح العقيدة الطحاوية: الشيخ الألباني.

نيل الأوطار: الإمام الشوكاني.

سبل السلام: الإمام الصنعاني.

المُحلي: الإمام ابن حزم.

بداية المجتهد ونهاية المقتصد: القاضى ابن رشد.

إحياء علوم الدين: الإمام أبو حامد الغزالي.

أحكام القرآن الكريم: الإمام أبو بكر بن العربي.

فقه السنة: الشيخ سيد سابق.

الحلال والحرام: د. يوسف القرضاوي.

فتاوى معاصرة: د. يوسف القرضاوي.

الفقه على المذاهب الأربعة: للشيخ الجزايري.

حجاب المرأة المسلمة: الشيخ الألباني.

كن قويًا بالإيمان: محمد إبراهيم مبروك.

الإسلام النفعي : محمد إبراهيم مبروك.

الحب في التراث العربي: د. حسن عبد الله.

الحب: ليوفكليس بوسكاجليا، ترجمة: فؤاد شاكر.

مشكلة الحب: د. فؤاد زكريا.

اثنين اثنين: أنيس منصور.

ألوان من الحب: أنيس منصور.

تحفة العروس: الاستنبولي

علم النفس الجنسي: أوسفيلد شفارتس.

علم النفس والأدب: د. سامى الدروبي.

الشخصية: ريتشاردس ـ لازروس، ترجمة: د. سيد محمد غنيم.

الحب والكراهية: أحمد فؤاد الأهواني.

المظهر والجوهر: إريك فروم.

الصحة والجنس

التوافق الجسدي: د. محمد فتحي.

الإسلام والحب: عبد الله ناصح علوان.

رحلتى في العصر متوحدًا: جارودي.

الفلسفة الحديثة: برتراند رسل.

الفلسفة الحديثة: يوسف كرم.

الأبله: دوستويفسكى.

أنف وثلاث عيون: إحسان عبد القدوس.

قصر الشوق: نجيب محفوظ.

* * *

الفهرس

* * *

محمد إبراهيم مبروك

صدر له:

- نقد الليبرالية
- لماذا نقول لا للنموذج التركي والتونسي؟
- الإسلام الليبرالى بين الإخوان المسلمين والعلمانيين والوسطيين. طبعة ثانية
- الإسلام الذي تريده أمريكا: الإسلام النفع.ي طبعة ثانية
- الإسلام والغرب الأمريكى بين حتمية الصدام وإمكانية الحوار.
- حقيقة العلمانية "جـ ١، جـ ٢".
- تزييف الإسلام وأكذوبة المفكر الإسلامى المستنير.
- موقف الإسلام من الحب بين الرجل والمرأة. طبعة ثانية
- كن قويًا بالإيمان، طبعة ثانية.
- مواجهة المواجهة.
- الصراع حول المادة وجوهر الحياة.
- الإسلام والعولمة طبعة ثانية.
- ابن رشد وفيلم المصير.
- علمانيون أم ملحدون.
- نظرية الفن الإسلامي.
- العلمانية طبعة ثانية
- دمي علي يديك ..شعر
- أنت أعطيت البراءة لقاتلينا "شعر".
- الرد على بابا الفاتيكان وهجوم الغرب على الرسول ﷺ.

تحت الإعداد للطبع:

- الإسلام الليبرالى بين الإخوان المسلمين والعلمانيين والوسطيين. طبعةثالثة
- قصائد همجية"شعر".
- نقد المذاهب والتيارات المعاصرة.
- غرام تلميذة "شعر".